THE MEDIOCRE

ميديوكر

فادي زويل



رواية

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

ميديوكر

رواية..

الكاتب: فادي زويل

عن الرواية..

هل يشعر حازم بالندم عند التضحية بوظيفته وأسرته وحياته المستقرة ويصبح مطاردا من ثلاث أجهزة أمنية؟

هل ينجح في الثورة على العادات والتقاليد الموروثة التي تجعل كل منا يعيش حياة نمطية لا تحتوي على أي إثارة؟

انها قصة مخابراتية مثيرة تدور أحداثها في اسرائيل، امريكا ومصر حيث تتصارع الدول الثلاث على معلومات أمنية في غاية السرية ووحده حازم من يمتلك المفتاح لفك شفرة هذه المعلومات.

مع بداية إحساسي بأن ضوئي بدأ في الخبو، وأنني أقترب من الاكتئاب لرفضي أن أكون كومبارسا، قررت أن أغير مسار حياتي حتى وإن تسبب هذا في هلاكي. أردت القيام بدور البطولة ولو لبضعة دقائق، كنت أنتظر أي إشارة أو دلالة لأغير مسار حياتي ولقد جاءتني الفرصة.

لقد قررت أن أكتب هذه المذكرات لأني أعلم أنني قد حفرت قبري بيدي، يجب أن تستوعب وتستفيد مما سوف تقرأه - وإذا أردت أن تغامر، فلتعرف قدراتك أولا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة لا بد من قراءتها

هل أنا حر؟

الحرية هي أن تعيش كما أنت بعيوبك ومميزاتك، آرائك ومعتقداتك، لا تحاول التصنع بما لستَ عليه لتكون مقربًا ومقبولًا من الآخرين.

الحرية هي أن تفعل ما تريد دون الخوف من عاقبة أفعالك ما دمت لا تضر أحدًا، أن تقضي وقتك مع من تحب بدون أي قيود، وأن لا تخاف من الفشل، فبدون الفشل لا يوجد نجاح.

هل أنا حر؟

الحرية هي حلمٌ للكثير منا، ولكن القليل مَن يستطيع الوصول إليه.

من منا ليس محاطًا بقيود تسجنه في عالم صغير وتعوقه عن نيل حريته، فأنت تدرس لتكون حاصلًا على شهادة، وتعمل من أجل المال وليس من أجل هدف تحس بشغف لتحقيقه، وتتزوج لكونك في مجتمع ينظر إلى الزواج كخطوة إلزامية تأتي بعد الوظيفة، وبعد الزواج يأتي الأطفال ومع الأطفال تصبح حياتك مُكرسة لتوفير التزامات أسرة كاملة من طعام وملبس وتعليم وترفيه، وفي لمح البصر تتسع نطاق مسؤولياتك وتجد أفكارك وطموحاتك مرتبطة برغبات أشخاص آخرين ظهروا في حياتك، أصبحت في حاجة إلى بيت أكبر، سيارة أكثر رفاهية، مدارس الأولاد، أثاث جديد... تطاردك متطلبات لا نهاية لها.

أين أنت؟ وأين أحلامُك؟

لقد كُنت أتمنى أن أكون من رواد الفضاء أو الباحثين في أسرار المجرات وعلوم الفلك...

أفاقني رنين الهاتف من هذه الأفكار، والتي تستحوذ على عقلي منذ فترة، نظرت إليه فوجدت رقمًا يبدأ بالأرقام ٩٧٢+، إنه الكود الدولي لإسرائيل، لم أكن معتادا على استقبال مكالمات من هذا المكان على هاتفي الشخصي.

- ألو...

- حازم؟

- نعم، أنا حازم!

- مرحبا حازم، أنا دافيد ألترمان، آسف للاتصال بك خارج وقت العمل وعلى هاتفك الشخصي.

دافيد ألترمان هو خبير تصميم برمجيات (سوفت وير) يعمل في نفس الشركة التي أعمل بها، أصله أمريكي يهودي من نيويورك ولكن والده قرر الهجرة في أوائل

التسعينات كجزء من معتقداته بأن إسرائيل هي الوطن الأزلي لليهود، وإيمانه الراسخ أن الكيان الصهيوني وإسرائيل في حاجة لأمثاله لتثبيت وضع دولتهم الحديثة.

حازم: لا يوجد مشكلة يا دافيد.

دافيد: كيف حالك؟ هل تقضي إجازة نهاية أسبوع سعيدة؟

حازم: نعم أنا بخير، كيف يمكنني مساعدتك؟

دافيد: أنا آسف مرة أخرى لأني أُكلمك في عطلة نهاية الأسبوع، ولكن أردت أن أعلمك أن رئيس مجلس إدارة الشركة في الولايات المتحدة قد وافق على تنظيم الاجتماع السنوي الاستراتيجي للشركة هذا العام في إسرائيل. وبما أنك مدير قسم الاستشاريين في الولايات المتحدة فقد طلب مني «شلومو» المدير الإقليمي أن أهاتفك شخصيًا لدعوتك لحضور هذا المؤتمر.

لم تكن المرة الأولى التي أُدعى فيها لزيارة إسرائيل، وقد كنت دائمًا ما أجد أعذارًا تمنعني من الذهاب، لكن هذه المرة أنا مستعد.

اسمي حازم إسماعيل الدمنهوري، من الإسكندرية، كنت من المتفوقين في المدرسة، أحب مادة الرياضيات كثيرًا لأنها المادة الوحيدة التي لا تعتمد على الحفظ، أحببت أيضًا مادة اللغة الإنجليزية لأنها كانت تمكنني من مراسلة الفتيات في الولايات المتحدة وكندا في سن المراهقة.

دخلت كلية الهندسة بالرغم أن مجموعي كان يسمح لي بدخول كلية الطب، وكان ذلك حلمًا لوالدي، لكني لم أتخيل أن أمضي حياتي في حفظ المراجع الطبية والتعامل مع الجثث والأمراض. قد يكون هذا تبسيطًا ساذجًا لمهنة الطبيب، ولكن هكذا رأيتها في ذلك الوقت. تمكنت من دخول قسم الحاسب الآلي في كلية الهندسة لشغفي بهذا المجال الجديد في أواخر التسعينيات، مجال البرمجيات.

خلال سنوات الدراسة في كلية الهندسة كنت دائمًا ما أكون ضمن الخمسة المراكز الأولى على الدفعة، ولكن دائمًا ما كان ينتابني إحساس أن ما ندرسه بالجامعة لا يواكب التطور الموجود في العالم الغربي؛ فقد بدأت تكنولوجيا الهواتف المحمولة وشبكات الاتصال اللاسلكية (وايرلس) في الظهور. وتطورت سرعات الإنترنت، وبدأت كثير من صفحات الإنترنت السماح بالبيع والشراء باستخدام بطاقات الائتمان في أمريكا وأوروبا بينما كنا نحن ندرس مناهج دراسية من السبعينات وأوائل الثمانينات.

كان حلمي دائمًا أن أتمكن من السفر إلى أمريكا أو كندا لإكمال دراستي وأكون على دراية بما يحصل في هذا العالم المتطور. بعد حصولي على بكالوريوس الهندسة تمكنت من مراسلة بعض الجامعات الأمريكية لطلب منحة دراسية لإكمال درجة الماجستير، وبالفعل تم قبول طلبي في جامعة ميريلاند القريبة من العاصمة واشنطن. انتقلت للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتمكنت من الحصول على الماجستير في عامين ونصف لم أزر فيهم مصر إلا مرة واحدة وكانت زيارة

قصيرة للغاية. كان تقديري العام مرتفعًا مقارنة بزملائي في نفس المرحلة. كانت رسالتي في موضوع تشفير المعلومات وهو ببساطة تغيير محتوى ونصوص الرسائل الإلكترونية حتى لا يستطيع قراءتها إلا من يمتلك مفتاح التشفير، وعملية التشفير هذه تتم باستخدام برامج شديدة التعقيد يصعب تفكيكها أو سرقتها.

حازت رسالة الماجستير على إعجاب البروفيسور جون نيومن، وهو من الدكاترة المشهورين في أبحاث تشفير المعلومات، وهو استشاري لمجموعة من الشركات الأمريكية العملاقة التي تعمل في هذا المجال. كان دكتور جون يعمل على تكوين فريق عمل لتطوير أحد نظم التشفير لصالح شركة عالمية اسمها ASR، وطلب مني الانضمام لهذا الفريق تحت قيادته وفي المقابل سيوفر لي منحة برعاية هذه الشركة لإتمام رسالة الدكتوراة. كانت هذه فرصة لا تعوض، فإلى جانب الخبرة التي سوف أكتسبها من العمل مع الدكتور جون، سوف توفر لي شركة ASR المال اللازم لإتمام أبحاثي من خلال إشراف جامعة ميريلاند والدكتور جون على رسالتي للدكتوراة.

مع الوقت تمكنت من التعرف على دكتور جون أكثر والتقرب منه، فهو يهودي تمكن جده من الهروب من ألمانيا مع بدايات الحرب العالمية الثانية، دائما ما يعتز بسرد القصص التي سمعها عن جده حين كان صغيرا، وكيف عانى اليهود خلال الحرب العالمية الثانية من الاضطهاد. دكتور جون كأمريكي ومؤمن بالمبادئ الأمريكية يعرف كيف يفرق بين العمل والدين، فخلال وقت العمل لا توجد أي تفرقة بين فريق العمل على أساس ديني أو عرقي أو لون، الكل يعمل من أجل نفس الهدف وهو الوصول إلى ابتكار أسلوب تشفير جديد يكون من الصعب اختراقه ولو لفترة من الزمن.

استطعت الانتهاء من رسالة الدكتوراة في أربع سنوات تمكنت خلالهم من توثيق علاقتي بالدكتور جون والشركة المساهمة في أبحاثي ورسالة الدكتوراة. طلب رئيس مركز الأبحاث مقابلتي للتحدث معي عن مشاريعي المستقبلية ولم أكن أدري خلال المقابلة في مكتبه في العاصمة واشنطن أنها «انترفيو» مقابلة توظيف غير رسمية.

في اعتقادي أن عدم معرفتي أن هذه المقابلة كانت بغرض توظيفي في الشركة كباحث من الأسباب الرئيسية التي أدت لتصرفي بتلقائية وثقة، وهو ما أكد لمستر مايكل والش رئيس مركز الأبحاث أنني الشخص المناسب لهذه الوظيفة.

في نهاية المقابلة قال لي مايكل أن دكتور جون رشحني لهذه الوظيفة، ورغم ثقته في دكتور جون إلا أنه أراد أن يقابلني بصورة شخصية لكي يتعرف على أفكاري ومشاريعى المستقبلية، وأنه لا يملك إلا أن يتفق مع دكتور جون أني سأكون مناسبًا لهذه الوظيفة.

بعد هذا اللقاء تملكني الإحساس بأنني أكثر إنسان محظوظ في هذا العالم، وأن أبواب الحظ والنجاح قد فُتحت لى.

لماذا إذن أبحث عن حريتي إن كنت إنسانا ناجحًا؟

انتظر حتى تصل إلى الأربعين وسوف تدرك أنك طوال هذه الفترة كنت تُهَيأ لكي تصبح «ترسًا» أو أداة تؤدي وظيفة معينة، متناهية الصغر ومتكررة. دورك في هذه الحياة دورًا ثانويًا، لا تظهر فيه إلا لبضع ثوان، مثل الكومبارس الذي يمشي في الشارع خلال المطاردة الرئيسية في الفيلم، فلا أحد يُلاحظك أساسًا، الكل يُركز في الأحداث الرئيسة التي تدور حول البطل ولا يعبأون بالأشخاص المتواجدين في خلفية الحدث.

مع مرور الوقت تجد نفسك تتساءل: «ما الذي يجب أن يتغير حولي كي أتمكن من تحقيق أحلامي؟» لكنك لا تجد إجابة واضحة للسؤال، فكل ما يدور حولك يدفعك للتأقلم مع دورك الثانوي، ويقوى إحساسك بأنك «ميديوكر».

«ميديوكر / Mediocre» هو مصطلح إنجليزي يصف الإنسان العادي، فهو إنسان يوجد له بدائل متعددة - سهل الاستبدال. هو إنسان غير متميز ولكنه أيضا ليس عديم الفائدة، لا يوجد لديه القوة لإحداث تغييرات جذرية ولكنه أيضا ليس ضعيفًا. في بعض الأحيان يداعبه الطموح وتمتلئ رأسه بالأفكار لكنه لا يمتلك الإرادة لتحويل هذه الأحلام إلى حقيقة. دائما في انتظار أن تأتيه الفرصة فهو غير مستعد للمغامرة. وحتى إن حاول وغامر فعادة ما تنتهي محاولته بالفشل لأنه غير مهيأ نفسيًا لتغيير حياته الروتينية وقبول المخاطرة.

«الميديوكر» هو من يستمع لآراء الناس ولا يثق بنفسه، يفضّل أن يُضيع الوقت في الشكوى والتذمر بدلًا من إيجاد الحلول.

إن أردت أن تقسم الناس إلى طبقات مختلفة فـ طبقة الميديوكر تمثل الغالبية العظمى منهم، فكل واحد من أفراد هذه الطبقة له وظيفة وإطار محدد لا يستطيع الخروج منه، ولهذا من الصعب أن يتعرف الإنسان الميديوكر على حالته لأن هناك الكثيرون مثله، أما الطبقات الأخرى كـالعلماء والفنانين، رجال الأعمال والشعراء والرياضيين، كل هؤلاء ينضمون إلى طبقات مختلفة تحتاج إلى روح الإبداع والمغامرة، غير نمطيين في أفكارهم وأفعالهم ولهذا فهم قلة.

عندما أدركت سن الواحد والأربعين أيقنت أن صفات الإنسان الميديوكر تنطبق عليّ، حاولت مقاومة هذه الأفكار وكالعادة شاركت من يُحيطونني بما أحس وكان الرد التلقائي «هذا شيء طبيعي، أنت تمر بأزمة منتصف العمر.»

ولكن مع القراءة والبحث أدركت أن ما أشعر به لن ينتهي بعد فترة معينة من الزمن، بل هي حالة سوف تستمر معي إلى الأبد، لقد تمت برمجتي بنفس السوفتوير المستخدم في تفعيل طبقة الميديوكر.

لم أكن أعلم ما يخبئه لي القدر...

مع بداية إحساسي بأن ضوئي بدأ في الخبو، وأنني أقترب من الاكتئاب لرفضي أن أكون كومبارسا، قررت أن أغير مسار حياتي حتى وإن تسبب هذا في هلاكي.

أردت القيام بدور البطولة ولو لبضعة دقائق، كنت أنتظر أي إشارة أو دلالة لأغير مسار حياتي ولقد جاءتني الفرصة.

لقد قررت أن أكتب هذه المذكرات لأني أعلم أنني قد حفرت قبري بيدي، يجب أن تستوعب وتستفيد مما سوف تقرأه - وإذا أردت أن تغامر، فلتعرف قدراتك أولا.

حازم الدمنهوري

تل أبيب ٤/٥/٢٠١٩

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هرتسليا

الإثنين - الأول من أبريل ٢٠١٩

لم أكن أتخيل في يوم من الأيام أن أسير على ساحل البحر المتوسط في مدينة هرتسليا الإسرائيلية. رؤية العلم الإسرائيلي بلونيه الأبيض والتركواز يتوسطهما نجمة داود يملؤني بالارتباك، فمنذ الطفولة وهذا العلم يرتبط معي بذكريات أليمة، نكسة ١٩٦٧ والتي لم أكن قد ولدت وقتها ولكني شاهدت أحداثها في الأفلام الوثائقية، وكيف استطاعت إسرائيل في ستة أيام الاستيلاء على القدس وسيناء والجولان، حكايات خالي الذي شارك في الحرب والذي اضطر إلى الرجوع من سيناء سيرًا على الأقدام والاختفاء لدى عرب سيناء حتى لا يقع في الأسر، ثم أفلام حرب السادس من أكتوبر وما سبقها من حرب الاستنزاف والانتصار الحربي ثم السياسي الذي حققه السادات. بعد خمس عشرة سنة من العناء وخسارة الكثير من الأرواح تمكنت مصر من استرجاع سيناء كاملة.

لاحظ دافيد، زميلي في العمل، تأملي للعلم الإسرائيلي على ساحل البحر المتوسط. هاجر دافيد إلى إسرائيل وهو في السابعة عشر مع أسرته والتحق بجامعة بن جوريون في إسرائيل ودرس علوم الحاسب الآلي. تأثر دافيد بالمجتمع الإسرائيلي وأصبح جزءًا من نسيج هذا المجتمع الذي يدافع عن الوجود الإسرائيلي بين النهرين وسامية العرق اليهودي عن باقي الأجناس، وهو ما لم يستطع والده أن يفعله، فبعد بضع سنين من استقرار ليفي الأب في إسرائيل لم يستطع التأقلم مع هذا المجتمع، سيطرة اليمين المتطرف على الحكومات المتتالية أو فوزه بالعدد الأكبر من الكراسي الائتلافية عزز سيطرة الطبقة اليهودية الأرثوذكسية على مقاليد الأمور، وكان من مظاهر هذا التطرف تعزيز التفرقة العنصرية بين الطوائف اليهودية المختلفة وأيضا الديانات والجنسيات الأخرى كالعرب والأفارقة.

قرر ليفي العودة إلى نيويورك هو ووالدة دافيد وأخته الصغيرة، لكن دافيد كان قد ارتبط بصديقته في الجامعة «ا□□يت» وقررا الاستقرار وبناء أسرة في أرض الرب – إسرائيل.

قال دافيد: أنا أعلم أن هذه هي زيارتك الأولى لإسرائيل، هل كنت تتوقع أنها ستكون دولة حديثة ومتقدمة هكذا؟

لقد كان دافيد محقا، فمنذ أن وطأت قدماي أرض إسرائيل وأنا أرى مبان شاهقة، وشوارع واسعة ونظيفة، ومستوى خدمات يضاهي مثيلاتها في أرقى الدول الغربية. ولكن الطريقة التي صاغ بها السؤال أثارت سخطي. من الطبيعي حين يسألك أحد عن رأيك أن ينتظر منك الإجابة، لكن دافيد قرر مسبقا أن إسرائيل دولة حديثة ومتقدمة بالفعل وما يتوقعه مني هو أن أوافق على ما يقول وأؤيده. الغرور هو صفة عامة في من تعاملت معهم من إسرائيل، فهم منذ الصغر يُلقَنون أنهم شعب الله المختار، وأن اليهود عامة، وإسرائيل خاصة، هم من يقود الإنسانية إلى الرقي والتقدم.

أجبت دافيد بطريقة دبلوماسية:

- أنا فعلا مندهش جدا! لقد كنت أعتقد أن الوضع الأمني في إسرائيل غير مستقر، وأن الشعب الإسرائيلي يعاني طوال الوقت كما تُشيع وكالات الأنباء في أمريكا من هجوم حماس والإسلاميين المتكرر، لدرجة أن زوجتي طلبت مني عدم الذهاب وإلغاء رحلتي إلى إسرائيل.

ضحك دافيد وقال: تل أبيب واحدة من أكثر المدن أمانًا في العالم، فمعدلات الحوادث من الجرائم الجنائية هي الأقل، ولا تقارن بمثيلاتها في دول الجوار ومن أجل هذا تجد أن معظم الشركات الكبرى لها مركز إقليمي في إسرائيل.

رددت سريعًا: لقد عاش أخي بضع سنوات في الإمارات، في إمارة دبي تحديدا، وقد زرته عدة مرات، فدبي أيضا تشتهر بمعدلات الأمان العالية والتطور والحداثة.

بدا على وجه دافيد بعض التردد ثم قال: لقد سمعت كثيرا عن مظاهر التقدم في دبي، وسمعت أيضا عن دولة قطر ولكن للأسف لا يسمح لنا بزيارة هذه الدول.

ابتسمت ابتسامة واسعة ثم قلت: بالتأكيد، فبعد حادثة اغتيال المبحوح في دبي، والتعدي على سيادة دولة ذات أهمية مثل الإمارات كان لا بد للإمارات أن تتخذ إجراءاتها الوقائية. وإن كان هذا ليس هو السبب الأساسي بالطبع، ولكن سياسات إسرائيل في المنطقة لا تشجع على بناء علاقات قوية مع جيرانها العرب.

نظر إليّ دافيد وعلي وجهه علامات عدم الاقتناع وقال: أنا أيضا لا أعتقد أن حوادث فردية لأجهزة المخابرات قد تكون السبب الأساسي لقطع العلاقات بين الدول، فهذه الحوادث موجودة في أكثر الدول المتقدمة، مثلما حدث مؤخرا بين بريطانيا وروسيا عندما اغتيل العميل الروسي سكاريبال وابنته يوليا بعد أن حُقِنا بالسم من قبل عملاء المخابرات الروسية الكي جي بي.

قاطعت دافيد: ولكن بريطانيا لم تسكت، وهددت بفرض عقوبات على روسيا. وقد تضامنت معها جميع دول الاتحاد الأوروبي وتم فرض إجراءات مشددة على دخول الروس إلى بريطانيا والعديد من الدول الأوروبية الأخرى.

أجاب دافيد: هذا صحيح ولكن بمرور الوقت ساهمت المصالح الاقتصادية والتجارية في تقليل حدة التوتر؛ فروسيا هي المُورد الرئيسي للغاز في أوروبا. لا تنسَ أيضًا أن بريطانيا تقوم بنفس الشيء فهي تُرسل عملاءها إلى روسيا لجمع المعلومات الاستخبارية.

يوجد شيء مشترك بيني أنا ودافيد، كل منا أمضى جزء كبير من حياته في الولايات المتحدة وتأثر بالعادات والتقاليد الأمريكية، وجزء أساسي من الثقافة الأمريكية هو التعايش مع الآخر وتفادي نقاط الصدام عن طريق إيجاد أرضية مشتركة لإدارة الحوار، خاصة إن كان هناك مصالح مشتركة بين الطرفين. لذلك كنت أعلم أن ما يدور بيننا هو مجرد محادثة عابرة لن تتطور بأي حال إلى أكثر من ذلك.

أما الاختلاف بيننا أن انتماءه لإسرائيل وأنه جزء من الكيان الصهيوني قلبًا وقالبًا، وأنا عربي متشبع بتاريخ وحضارة الأجداد.

في محاولة مني للخروج من الحديث في السياسة سألت دافيد: هل أنت مستعد لبدء المؤتمر يوم الأربعاء؟

دافيد: عليّ أن أعمل الليلة وغدًا صباحًا حتى أنتهي من التقرير الذي أعددته لرئيس مجلس الإدارة عن خطة تطوير برامج التشفير للثلاث سنوات القادمة.

- أنا أيضا مثلك، ما زلت أعمل على تقريري عن آخر التطورات في مجال التشفير في أمريكا والأنظمة الجديدة التي نسعى لطرحها في السوق الأمريكي في السنة القادمة.

قال دافيد: كما وعدتك غدًا في الظهيرة سوف أصحبك الى المدينة القديمة، أورشليم، لزيارتها. ولكن عليك العودة بمفردك لأن منزلي أقرب إلى أورشليم من هرتسليا.

أجبُت دافيد مبتسمًا: لا توجد مشكلة، يكفي أنه سيكون معي مرشد سياحي مجاني.

لقد قررت الشركة إقامة المؤتمر السنوي هذا العام في منتجع سياحي اسمه (أكاديا) في مدينة هرتسليا، تشتهر مدينة هرتسليا بكونها مصيف للأغنياء في إسرائيل لارتفاع أسعار الوحدات السكنية وقلة المعروض منها، عدد سكانها لا يتعدى ٩٥ ألف نسمة ومساحتها ٢٢ كم مربع، لقد سُميت المدينة بهذا الاسم نسبة إلى تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية الحديثة.

ذهبت إلى غرفتي بالمنتجع بعد هذه التمشية القصيرة مع دافيد قبيل الغروب، أطللت من نافذة الغرفة فرأيت ساحل البحر الأبيض المتوسط وأشجار النخيل المنسقة تنتشر في كل مكان، والأمواج العالية والتي ترتطم بالشاطئ الرملي بفعل الرياح. شممت رائحة اليود في الهواء فتذكرت الإسكندرية، كان شاطيء هذا المنتجع شبيها بشاطيء المنتزة في الإسكندرية، فهو من أحد الشواطيء التي ظلّت محتفظة برونقها إلى وقت قريب.

رأيت مجموعة من الشباب، فتيان وفتيات، يركبون الأمواج بواسطة ألواح ركوب الموج، يجدفون بأيديهم في البحر في انتظار الموجة المثالية، وعندما تأتي موجة مرتفعة وقوية ينهض راكبو الأمواج فوق ألواحهم بانسيابية واتزان وتدفعهم الأمواج لمسافة طويلة قبل أن تفقد قوتها بالقرب من الشاطيء. شعرت بالجوع وكان قد حان وقت العشاء فالشمس أوشكت على الغروب والساعة قاربت على السادسة (وهو الموعد الرسمي للعشاء في أمريكا) كنت أعلم أن مجموعات من المدعوين للمؤتمر قد وصلوا بالفعل وأن شلومو رئيس المكتب الإقليمي سيقيم حفل عشاء بالفندق للترحيب بالقادمين.

تحممت سريعا وارتديت ما يليق بالمناسبة، توجهت إلى المطعم الرئيسي للمنتجع ووجدت منضدة كبيرة عليها لافتة تحمل اسم الشركة التي أعمل بها، كان يجلس على المنضدة مجموعة منتقاة من العاملين بالشركة والذين يلتقون كل عام لمناقشة

نتائج الشركة السنوية وأهم مشروعات السنة القادمة، هي مجموعة ممثلة لكافة الأقسام ومراكز الأبحاث المنتشرة في القارات الخمسة.

كان شلومو يجلس على رأس المائدة ويتبادل الضحكات مع من حوله، لا بد وأنه سعيد لأن المؤتمر يعقد في إسرائيل هذا العام، فهو يصر على أن يأكل الطعام الحلال «الكوشر» وهو الطعام الذي لا بد وأن يشرف على طريقة إعداده رابي (حاخام) يهودي ليتأكد من أنه يتفق مع تعاليم التوراة.

عندما عُقد مؤتمر العام الماضي في المكسيك أحضر شلومو أكلة «الكوشر» الذي أُعد في إسرائيل معه والذي يكفيه لعدة أيام حتى لا يضطر لأن يأكل الطعام المحلي المُحرم حسب عقيدة اليهود. كان شلومو يحرص على أن يُنهي جميع اجتماعاته خلال أسفاره قبل يوم الجمعة، فعادة ما يستغل يوم الجمعة للعودة إلى إسرائيل لكي يستعد ليوم السبت، اليوم المقدس عند اليهود، يوم راحة الرب بعد أن خلق الكون بما فيه من أرض وسماء وجبال وبحار وكائنات حسب معتقداتهم. ولهذا يحرم على اليهودي المتدين أن يقوم بأي عمل في يوم السبت حتى الضغط على مكبس الكهرباء لإضاءة النور أو قيادة السيارة أو استخدام المصعد، فكل هذا يخالف تعاليم الرب.

كان العشاء أوبن بوفيه، أخذت طبقًا وكلي فضول وشغف لأتعرف على أصناف الطعام الموجودة في المطبخ الإسرائيلي، لأول وهلة اعتقدت أن إدارة المطعم قررت أن تكون قائمة طعام هذا المساء من المطبخ العربي، فكل الأصناف الموجودة من الأكل اللبناني والمصري، فتوش، بابا غنوج، الطحينة والسلطة الخضراء المصرية والتي تقطع الطماطم والخيار والبصل فيها قطع صغيرة. وفي الأطباق الرئيسية وجدت المسقعة والأرز بالخلطة والفراخ المحمرة، فجأة فركت عيني لأتأكد من أني لا أحلم، كان هناك منضدة كاملة مليئة بجميع أنواع المحاشي.

انتبهت على صوت زميلي الألماني مارك: أليس المطبخ الإسرائيلي مذهل؟ إنه أكثر شيء أحبه في إسرائيل، تنوع الأكل ومذاقه.

نظرت إلى مارك في اندهاش وقلت: مارك! هذا الطعام مصري عربي، أنا لا أرى أي صنف مختلف عما اعتدت أكله في مصر طوال عمري.

نظر إليّ مارك مستغربًا ومتسائلًا: فعلا؟ لم أكن أعرف أن المطبخ المصري مشابه للإسرائيلي.

لم أتمالك نفسي من الضحك وقلت ساخرًا: مارك، عمر دولة إسرائيل لا يتعدى ٧٥ عام أما المطبخ المصري فهو أقدم من ذلك بكثير.

مارك: اوه، لم أكن أعلم ذلك، كل ما أسمعه من شلومو ودافيد أن هذه الأكلات هي من المطبخ الإسرائيلي الذي يشتهر بالحمص، الفلافل، الكباب وهي الأنواع المفضلة لديّ في الطعام، لقد وجدت مطعم إسرائيلي في ميونخ يقدم هذه الأصناف وأصبحت دائم التردد عليه.

قلت لنفسي: يا الله! إنهم لم يحتلوا فقط الأرض ولكنهم ينسبون أصل مأكولاتنا لهم.

رجعنا إلى المنضدة وجلست أنا ومارك على كرسيين فارغين وكنا على مقربة من شلومو

توجه مارك بالحديث إلى شلومو مستفسرا: يبدو أن الأكل المصري والإسرائيلي فيهم الكثير من التشابه، لقد قال لي حازم منذ قليل أن هذه الأصناف مطابقة تماما لما يأكله في مصر.

نظر إليّ شلومو متسائلا: هل هذا صحيح؟

كنت واثق أنه يعرف الإجابة فغالبا قد عرف الإسرائيليون هذه الأصناف من الطعام من الطباخين ذو الأصول العربية وبمرور الزمن نسبوها إلى أنفسهم وسوقُوا للعالم على أنها أطباق إسرائيلية.

أجبت شلومو وقد بدأت بتذوق بعض الطعام: إن هذا الطعام شبيه جدا بالطعام الذي تصنعه والدتي في الإسكندرية.

قال شلومو: نعم يوجد العديد من أوجه التشابه بين إسرائيل وجيرانها في المنطقة، فأنا أتذكر جيدًا عندما كنت صغيرًا في الستينيات كانت إسرائيل لديها محطة تليفزيونية واحدة، كان والدي يغير المحطة على التليفزيون المصري كل يوم خميس في الساعة السادسة لنستمع إلى أم كلثوم.

أصابتني الدهشة: أنت تعرف أم كلثوم؟

أجابني شلومو: وفريد الأطرش وعبد الحليم، ولكن الآن مع تطور إسرائيل العلمي والتكنولوجي وظهور أجيال جديدة أصبح هناك الكثير من محطات التلفاز الإسرائيلية التي تبث من القمر الصناعي الإسرائيلي وتطورت صناعة الأفلام والغناء، فـ نِت فليكس مليء بالأفلام الإسرائيلية والتي حصلت على تقييمات عالية من المشاهدين من جميع أنحاء العالم.

قلت لنفسي «ماذا حدث منذ الستينيات حتى الآن وتسبب في ازدهار هذه الدولة المحتلة بينما العالم العربي أصبح لا حول له ولا قوة، يريد الغالبية من أبنائه الهجرة خارجه حتى ولو ألقوا بأنفسهم في البحر».

خلال العشاء تطرقنا إلى أحاديث مختلفة كان غالبيتها يدور حول العمل والمؤتمر الذي سيبدأ يوم الثلاثاء وينتهي الخميس، فقد كان جدول الأعمال مزدحمًا بالمناقشات وورش العمل.

انتهى العشاء في التاسعة وكان هناك إجماع من الحاضرين على تمضية بعض الوقت في البار لاستكمال الأحاديث وعادة ما تمتد السهرة في البار الى الواحدة بعد منتصف الليل، هاجمني الإحساس بالتعب فأنا لم أنم غير ٤ ساعات منذ أن وصلت إسرائيل، ما زالت ساعتي البيولوجية تعمل حسب التوقيت الأمريكي، وأيضا عليّ النهوض مبكرًا يوم الإثنين لإضافة الرتوش الأخيرة إلى تقريري الذي سوف أقدمه يوم الثلاثاء، أردت أن أكون متفرغًا تمامًا من الظهيرة لأذهب مع دافيد إلى القدس.

حلم لم أكن أتصور حدوثه أبدًا في حياتي ولن أكذب وأقول إنه كان من أهدافي؛ لأني كنت أعلم أنه مستحيل الحدوث، الذهاب إلى بيت المقدس والصلاة هناك، كانت صور مسجد قبة الصخرة دائمًا رمزًا للصمود وأن القدس عربية، مع المحاولات المستميتة من إسرائيل لتهويد المدينة ظلّ المسجد الأقصى ثالث الحرمين وقبلة المسلمين الأولى صامدًا وشاهدًا على هوية المدينة والحق المغتصب في الأرض.

وصلتُ إلى غرفتي وأطللت من النافذة مرة أخرى؛ لألقي نظرة على البحر المتوسط صديق طفولتي وشبابي، كم سَبحت ولعبت في هذا البحر القديم، أكلت من خيراته المتعددة، استنشقت هواءه النقي ولي معه الكثير من الذكريات، فعندما كان يحل الصيف تأخذني والدتي وأخي الكبير إلى كبائن شاطئ استانلي نلعب في الرمل وونسبح، وكانت هي تمارس هوايتها المفضلة التأمل في البحر، فهي لم تكن كالنساء الأخريات اللاتي يحببن أن يقضين الساعات في التحدث في الهاتف مع أصدقائهن أو في لقاءات الأندية الطويلة والتي تمتلئ بالنميمة، لا أتذكر أن كان لها الكثير من الأصدقاء فكانت تفضل القراءة والتأمل في البحر.

داعب هواء البحر أجفاني وشعرت بالنعاس فرقدت على سريري ولكن عقلي أبى أن ينام:

- ما هذا الجنون الذي تفعله؟ أتُضحي بكل نجاحاتك العملية والاستقرار الأسري الذي تنعم به من أجل خوض مغامرة شديدة المخاطر؟ فقط لأجل أن تثبت لنفسك أنك لست ميديوكر!!

- أنا لم أسعَ لهذه المهمة، فهي التي جاءت إليّ في وقتٍ كنت أحاول أن أكتشف فيه من أنا، مجيئها إلى في هذا الوقت كان علامة لي من القدر لا يمكن تجاهلها، فهي الفرصة التي لا تأتي إلا مرة واحدة.

- فرصة! أنت تتكلم وكأنك تستثمر أموالك في مشروع تجاري أو البورصة، وحتى هذه الأشياء تتطلب أن تكون المخاطرة مدروسة، ولكنك الآن تقتحم عالمًا لا تعرف عنه أي شيء، خبراتك فيه تساوي الصفر فأنت حتى لم تدخل الجيش ولم تمسك في حياتك مسدسا.

- ولكني تدربت على المصارعة الحرة والكيك بوكسينج عندما كنت في المرحلة الإعدادية والثانوية.

- نعم، كأي فتى في سن المراهقة ولكنك منذ أن دخلت الكلية فقدت أي اتصال بهذه الرياضات، اللهم إلا مشاهدة بعض المباريات المُذاعة.

- ما أفعله الآن لا يحتاج القوة البدنية ولكنه يحتاج الذكاء والحساب الدقيق المدروس لكل خطوة أفعلها.

- هل أنت أذكى منهم؟

بدأ الخوف يتسلل إليّ من هذا السؤال، أضأت المصباح الذي بجانبي وأخذت حبتين من المنوم الذي يلازمني في هذه الرحلات الطويلة؛ ليساعدني على الاستغراق في النوم عندما لا يرغب عقلي فيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

واشنطن

فبراير ٢٠١٩

دخلت إلى المنزل من الباب المؤدي إلى الجراج الملحق بالمنزل فوجدت نادية واقفة في المطبخ تُعد طعام العشاء، كغالبية الأسر الأمريكية وجبة العشاء تُقدم في تمام السادسة، قد تأقلمت على أن أكون في المنزل في السادسة وإن لم أنتهِ من عمل اليوم بعد، فبعد شرب الشاي بعد العشاء وهي العادة المصرية الأصيلة، أتجه إلى مكتبي لأنجز ما تبقى من العمل، وقد أستمر في بعض الأحيان مشغولًا في العمل حتى منتصف الليل.

كانت تقف بجانب نادية ابنتي الصغيرة فرح، والتي يؤرقها كثيرًا هذا الاسم لصعوبة نطقه بالإنجليزية فعادة ما ينطقه أصدقاءها «فره»، كانت تساعد أمها في تحضير العشاء والتي عادة ما تكون متفرجة بدلًا من تقديم المساعدة.

«السلام عليكم» هي التحية التي أصر على استخدامها في المنزل للحفاظ على البعض من هويتنا.

ردت نادية: وعليكم السلام، وردت فرح: هاي!

سألت نادية: كيف كان اليوم؟ هل من جديد؟

أجابت: كله تمام، لا جديد، روح غير هدومك، والأكل سيكون جاهز خلال عشر دقائق.

سألت نادية: أين سلمى؟

أجابتني نادية وفي صوتها بعض من عدم الرضى: في غرفتها بالدور العلوي تستمع إلى الموسيقى.

تزوجت من نادية بعد انتهائي من الماجستير، تعرفت عليها خلال إحدى زيارتي لمصر والتي لم أرَها بعدها إلا عند نزولي للزواج بعدها بعامين.

كنت أرفض الزواج من أمريكية أو من أي جنسية أخرى لأني أرغب في تربية أطفالى على العادات والتقاليد التي تربيت عليها، فلقد تعاملت مع فتيات من جنسيات متعددة خلال أعوامي الأولي في أمريكا، وعرفت أنه توجد اختلافات جذرية بين الشرق والغرب. توجد الكثير من الأمثلة الناجحة للتزاوج بين الحضارتين، ولكن غالبًا ما تسود العادات والتقاليد من إحدي الحضارتين على الأخرى، كنت أعرف من قرارة نفسي أنه في حالتي سوف تسود عادات وتقاليد الزوجة على أفراد أسرتي، لأني أقضي معظم الوقت بين العمل والدراسة.

لست مستعدًا لأن يناديني أطفالى باسمي في غالبية الوقت، وينظرون إلى كمجرد كاش ماشين، لم أرد لهم الحرية الغربية المطلقة، أو أن يأتي اليوم الذي تفاجئني فيه ابنتي أنها ستترك البيت للعيش مع صديقها وتبارك الأم هذه الخطوة.

أنجبنا سلمى بعد ١٠ أشهر من الزواج، فقد أحست نادية بالوحدة بعد الشهر الأول من مجيئها إلى أمريكا واستقرارها معي في العاصمة واشنطن، لم تكن تعرف أي أحد، وكانت لغتها الإنجليزية محدودة، وفي ظل انشغالى المستمر في عملي؛ أرادت نادية طفلًا يُلهيها وتستطيع عن طريق هذا الطفل أن تندمج مع المجتمع المحيط بها، كانت نادية شديدة الذكاء، فهي تعلم كزوجة مصرية أن مهمتها الأساسية أن تقوم بأعمال المنزل وتربية الأطفال وأن توفر لي سبل الاستقرار العاطفي، وفي المقابل كان على توفير الإمكانيات المادية وسبل الحياة المريحة للأسرة، على قدر ما كانت هذه المعادلة تريحني ولكن كان يغمرني هذا الأداء الميكانيكي بالملل والبرود.

جاءت فرح بعد سلمى بثلاثة أعوام في محاولة منا لكسر الروتين بالمرور بفترة حمل ووضع جديدة، وأن يجمعنا الاهتمام بطفل رضيع جديد، ولكن ما لم أحسبه أن غالبية وقت نادية أصبح موزعًا بين سلمى ذات الثلاث أعوام والمولودة الجديدة فرح، وغالبا إذا أردت المساعدة كنت أنتهي بأن أراعي سلمى حتى تأخذ نادية قسطًا من النوم أو تتفرغ لمراعاة فرح.

ومع مرور الوقت اكتشفت أن تربية الأطفال ليست مهمة سهلة، وخاصة عندما تكون في مجتمع مختلفٍ في عادته وتقاليده عما تعودت عليه، قررت مع نادية أن نندمج مع المجتمع الأمريكي مع الحفاظ على العادات والتقاليد العربية بقدر المستطاع، كنا نشارك الجيران والأصحاب بالاحتفال بعيد الشكر وميلاد المسيح ورأس السنة الميلادية، وأيضًا نوجه لهم دعوات الإفطار في رمضان ونوزع الكحك في العيد الصغير.

كنت أحرص على النزول إلى مصر مرة كل عامين؛ ليحتفظ الأطفال باللغة العربية وإن بدت مشوهة عندما ينطقونها، فكانت والدتي تضحك عندما تسمع سلمى تنطق ملوخية بحرف الهاء وتقول ملوهيا.

بعد انتهاء العشاء طلبت من نادية أن نأخذ الشاي في الحديقة الخلفية للمنزل لأني أريد أن أحدثها في أمرٍ هام، كانت حديقة منزلي صغيرة ولكنها جميلة التنسيق ومريحة، فقد كنت أدفع مبلغًا شهريًا لشركة متخصصة للمجيء مرتين في الشهر للعناية بالنباتات والتخلص من الحشائش الضارة، وبينما أنتظر نادية ألقيت نظرة على تليفوني المحمول وفتحت تطبيق شركة الطيران لأراجع تفاصيل الحجز.

جأت نادية حاملة الشاي وجلست بجانبي ثم قالت: خير، هل حدث شيء في العمل؟

نظرت إليها قليلا ثم قلت: أنا مسافر في مهمة أول أسبوع في أبريل.

نادية: إلى أين؟ ألمانيا كعادتك مؤخرًا.

نظرت اليها قليلا ثم قلت: إسرائيل.

نظرت إليّ نادية في رعب وقالت: أين؟ لا بد أنك تمزح.

أجبتها بكل جدية: سيُعقد اجتماع مهم هناك وقد طُلب مني أن أحضره.

- ولكنها ليست أول مرة يُطلب منك أن تَسافر إلى إسرائيل ودائمًا ما تجد الأعذار وتتخلف عن الذهاب.

- صحيح، ولكن هذه المرة مختلفة، رئيس مجلس الإدارة طلب مني أن أعرض نتائج فريق عملي خلال المؤتمر، وأن أشارك الخبرات التي اكتسبناها من تسويق السوفت وير الجديد مع البلدان الأخرى.

- ولكن كيف تستطيع دخول مصر بعد إسرائيل، انت كدا هتتعلق؟!

سكت قليلا فلم تكن سفريتي لإسرائيل هي المفاجأة الوحيدة، فجرت مفاجأتي الثانية: لقد قررت أن أذهب إلى مصر بعد أن تنتهي مهمتي في إسرائيل.

نظرت إليّ ذاهلة: من إسرائيل؟

- سوف أذهب إلى إيطاليا أولًا لأقضي يومًا هناك، وبعدها سوف آخذ الطيران الإيطالى للذهاب إلى مصر.

- وما هي الضرورة من نزولك إلى مصر في هذا الوقت؟ وكيف ستتمكن من الدخول إلى مصر وعلى جوازك ختم إسرائيل؟

- لقد استفسرت وعلمت أن في إسرائيل لا يطبعون أختامًا على جواز السفر، كما يمكنني استخدام الجواز الأمريكي في دخول إسرائيل والجواز المصري للدخول إلى مصر، إني أرغب في النزول إلى مصر لأني لم أرَ والدتي منذ فترة طويلة ولقد أخبرني محسن أخي أنها تُعاني من آلام في الظهر، أريد أن أطمئن عليها وأن آخذها للدكتور.

- طيب ابعت لمحسن فلوس وياخذها هو للدكتور.

بدأت نبرة صوتي تظهر فيه بعض العصبية: أنا لا أدري ما الذي يستدعي كل هذا القلق؟ أنا مسافر في مهمة عمل لمدة أسبوع لكي أحضر مؤتمرًا، وبعد ذلك أزور والدتي وأقضي معها أسبوعًا في مصر.

أجابت نادية: تتحدث وكأن سفرك إلى إسرائيل، ثم ذهابك إلى مصر هو شيء بسيط.

أحسست ببعض الندم أني أعلمتها بهذا الأمر؛ فهي عادة ما تزيد من توتري، كان من الممكن أن أقول لها أني ذاهب لألمانيا وبعد ذلك سأقضي أسبوع مع الوالدة، ولكنّ شيئا ما في داخلي أراد إعلامها تحسبًا للظروف، لا أريد إن حصل لي أي شيء أن تُفاجأ أني كنت في إسرائيل ولست كما قلت لها.

فجأتني هي بسؤال يطابق ما يدور في خاطري: طيب لو حصل لك حاجة هناك كيف يمكنني الوصول إليك؟

عرفت أنها أيقنت أني مصمم على السفر وبدأ عقلها في حساب المخاطر.

- سوف أكلمك كل يوم لكي أطمئنك، أيضا سوف أترك لكي نمرة دافيد، وإن جاء يوم لم أتصل بكِ فيه فلتتصلِ به، هو سيكون معي طوال فترة المؤتمر.

- و ماذا يجب أن أفعل أن حدث لك أي مكروه؟

- مثل ماذا؟

- لا أعرف، إنني لا أقرأ الغيب.

- إن حدث لي مكروه يمنعني من العودة، يمكنك التواصل مع مكتب الشركة هنا في واشنطن وسوف يقومون بمساعدتك، وأيضا يمكنك التواصل مع السفارة الأمريكية في تل أبيب.

كنت أعلم أن هذه الحلول لن تكون ذات قيمة وغالبا ما ستنعدم أخباري تمامًا إن فشلت الخطة، حاولت أن أكسر حدة التوتر، سألتها وعلى وجهي ابتسامة بلهاء: ماذا ترغبين في أن أحضره لك من هناك؟

ردت بسرعة: لا شيء طبعًا، عليك الذهاب إلى هذا المؤتمر، وأن تظل في الفندق لا تبرحه حتى يأتي ميعاد الطيارة، ربنا يستر وأنت داخل مصر لا يكون هناك أي علامة على حقائبك تدل على أنك كنت في إسرائيل.

أجبتها سريعًا: لا كدا أزعل، أنتِ كدا بتهنيني في ذكائي، سأقضي يومًا في إيطاليا لكي أتأكد أنه لا يوجد أي آثار من سفرية إسرائيل.

صمتُ لفترة قصيرة ثم عقّبت قائلا: إني أنوي الذهاب إلى المسجد الأقصى وأن أُصلي هناك.

- لقد سمعتُ أن هناك الكثير من المشاكل حول المسجد الأقصى وقوات الاحتلال تضيّق على المصلين للوصول إليه.

- إن شاء الله خير، لقد أبديت رغبتي لزيارة المسجد الأقصى في حديثي مع دافيد وقد عرض على أن يصحبني إلى هناك، لكنه سوف يتركني أدخل بمفردي لجزء المسلمين. لا بد وأن يظل أمر هذه السفرية سرًا بيننا، حتى البنات لا أريد أن يعرفوا بأمر سفرى لإسرائيل، فمن الممكن وهما في مصر أن تتحدث إحداهما بأمر هذه الرحلة.

أجابت نادية وفي صوتها نبرة توتر: ربنا يستر.

•

مر شهر مارس سريعًا وكان عليّ تحضير نتائج الربع الأول من السنة ومعالجة بعض المشاكل في المشاريع التي أشرف عليها، لم أشارك أي أحد قريب مني بأمر هذه السفرية، ولم أتطرق إليه مع نادية مرة اخرى.

في يوم السفر ودعت نادية والبنات وحاولت جاهدًا أن لا أظهر أي ملامح للتوتر، جاء سائق أوبر ليقلني إلى المطار، كان مظهره يوحي أنه في السبعينات من عمره، أبيض، ذو شعر ذهبي وعينيه زرقاء، حيّاني تحية الصباح وسألني عن وجهتي فقلت له مطار دُلس وهو المطار الدولي في واشنطن.

لم تمر دقائق من ركوبي السيارة والبدء في التحرك حتى أحسست بالراحة، راحة اتخاذ القرار والمُضي فيه وعدم الاستسلام للمخاوف والقلق. أدركت أن توتري في الشهر الماضي كان بسبب أسرتي، نادية وتوقعها لحدوث المخاطر والحوادث، رؤية سلمى وفرح وتوارد الأفكار إلى عقلي أن قد لا أستطيع رؤيتهم قريبا، عملي الذي لا ينتهي وكيف قد يتأثر إن حدث شيء.

الآن وقد ركبت السيارة متجهًا إلى المطار، أدرك عقلي أني مقتحم هذه المغامرة لا محالة، وأني تغلبت على أول عاقبة أمامي وهي الخوف من التغيير، لقد أصبحت عازمًا على تغيير مجرى حياتي من إنسان نمطي (ميديوكر) إلى شخص حر، أصبحت هذا الشخص المُصر على اكتشاف نفسه وإمكانياته، أنا الآن لا أعيش فقط من أجل نادية وسلمى وفرح، أو من أجل الحصول على منصب في عمل لم أعد شغوفًا به منذ زمن.

بعد أربعين سنة، هذه أول مرة أفعل شيئًا في حياتي وأكون أنا صاحب القرار الأوحد فيه بدون أي مؤثرات خارجية.

أفاقني صوت السائق وهو يحاول بدء حديثا معي: هل تمانع أن سألتك من أين جاءت؟ فلهجتك تدل على أنك لست من هذه النواحي.

لم أعد أنزعج من هذا السؤال والذي طالما ما يوجه إليّ ممن لا يعرفونني من المحيطين بي. في أول الأمر كان يضايقني السؤال وخاصة أن إنجليزيتي سليمة لا يوجد بها أخطاء، كان أكثر ما يثيرني حنقا عندما أتكلم مع سلمى أو فرح بالإنجليزية ويصححون نطقي للكلمات، خاصة فرح الصغيرة عندما تقول: هل قصدك أن تقول... وتعيد نفس الكلمة التي قلتها ولكن بذبذبات صوتية لا أسمعها، قرأت بحثا أن كل لغة لها ترددات صوتية معينة وتختلف من لغة إلى أخرى، تتراوح ترددات الموجات الصوتية الصادرة عن اللغة الإنجليزية بين ٢,٠٠٠ و١٢,٠٠٠ هيرتز، بينما تتراوح ترددات أصوات اللغة الفرنسية بين ١٥ و٢٥٠ هيرتز، وبين ١,٠٠٠ و٢,٠٠٠ هرتز. أما الروسية فتتراوح ما بين ١٢٥ و١٢,٠٠٠ هيرتز، وهذا يدل على أن بعض اللغات نبرتها أعلى أو أكثر انخفاضا من الأخرى، ومع تواجد اللهجات المتعددة لنفس اللغة يصعب للمهاجر الذي لم يقضي فترة طفولته ودراسته في هذا المكان أن يتقن لكنته، في العمل هناك من يستخدم لكنة الجنوب الأمريكي المميزة بمط الحروف الأخيرة من الكلمة وهناك لهجة الشرق الأمريكي وهي سريعة وفيها مدغ لكثير من الحروف وهناك لهجة الغرب الأمريكي ولهجة الشمال، كما يوجد اللهجة الإيرلندية المنتشرة في الشمال الشرقي لكثرة المهاجرين الأيرلنديين في هذه البقاع.

أحب دائما أن أختبر من يسألني هذا السؤال بسؤال مقابل فقلت: استنتاجك صحيح فقد عشت ما يقرب من ١٩ عام من عمري في واشنطن، هل تستطيع من لكنتي أن تعرف من أين أنا؟

نظر إليّ في حيرة فلم يتوقع مني مثل هذا السؤال ثم قال: هذه اللهجة شبيهة إلى أذني ولكن لا أستطيع التحديد بدقة؟

إجابته تدل على أنه لا يعلم وغالبا ما سوف يذكر اسم أي دولة حتى لا يظهر أمامي بأنه لا يعرف.

تابع قائلا: من البرازيل؟

تبسمت وقلت له: أنا من مصر، هل تعرف أين هي؟

لقد كنت أندهش كثيرا عندما جئت إلى الولايات المتحدة أن بعض الأمريكان لا يعلمون أين تقع مصر على الخريطة، ولكن مع مرور الوقت علمت أن غالبية الشعب الأمريكي يهتم فقط بما يدور حوله من أحداث في الولايات المتحدة ولا يعبأ بالأماكن الأخرى.

رد السائق مسرعا: لقد قضيت أكثر من ١٠ سنوات في ولاية نيوجيرسي وكان يوجد الكثير من المصريين هناك.

لقد كان محقا، فولاية نيوجيرسي وخاصة مدينة جيرسي سيتي تعتبر أكبر معقل للجالية المصرية في الولايات المتحدة وذلك لقربها من نيويورك ورخص الإيجارات فيها مقارنة بمدينة نيويورك الشهيرة.

ثم فاجأني بسؤال لم أتوقعه: أي نوع من المصريين أنت؟ هل أنت مصري مسلم أم مصري أرثوذكسي؟

كان سؤالا غريبا لي، توقف لساني عن الإجابة للحظات.

فسارع وقال: في جيرسي هناك أحياء يسكنها المصريين من الديانة المسلمة وأحياء أخرى يسكنها ذوي الديانة المسيحية الأرثوذكسية.

قلت له وعلي وجهي علامات الدهشة: أنا آسف ولكني أستغرب سؤالك، حيث اعتدت أن أعيش في مصر لم يكن هناك أحياء مختلفة لكلتا الديانتين، في منزل والدي حيث قضيت طفولتي كان المنزل مقسمًا إلى ٣ من الجيران المسلمين واثنين من ذوي الديانة المسيحية وكنت كطفل لي أصدقاء من كلتا الديانتين، وكمسلم لم أكن أنفر من أي من الأصدقاء أو الجيران المسيحيين.

- إني أُصدقك، فقد رأيت مثل هذا النموذج في جنسيات مختلفة، ظروف بلادهم الأصلية تجبرهم على التعامل مع بعضهم البعض، ولكن عندما يأتون هنا لأمريكا تبدأ هذه الأطياف في خلق تكتلات اقتصادية وسكانية متباعدة مثل الجالية الهندية فالسيخ والهندوس لهم مجتمعاتهم المنفصلة كذلك، اليهود الإشكنازيم والسفارديم ينتشرون خاصة في ولاية نوارك ونيويورك كل منهم يتواجد في أماكن معينة.

فكرت في ما قاله السائق لدقائق معدودة، قد يكون المكان حيث نشأت في الإسكندرية وبعض من الأحياء في المدن الكبرى حيث يتوافر المستوى المقبول من التعليم وفرص العمل تتضائل فيه مثل هذه الظواهر، ولكن طالما ما سمعنا عن حوادث الثأر والخطف والقتل بين عائلات المسلمين والمسيحيين في صعيد مصر وبعض الأحيان في الوجه البحري، كانت غالبا ما تحدث هذه الحوادث بسبب انتشار الجهل ومحاولة استخدام الدين في فرض السيطرة على قطعة أرض أو الحصول على منافع شخصية.

استرعى انتباهي ما قاله عن اليهود، فقد كان في مخيلتي أن سر قوة اليهود يكمن في اتحادهم، وأن اللوبي اليهودي في أمريكا يعتبر من أقوى المنظمات وأكثرهم قدرة على التأثير في دوائر صنع القرارات في الولايات المتحدة.

سألت السائق: لم أكن أعلم أن هناك اختلافات جذرية بين الطوائف اليهودية مما يجعلهم يفضلون العيش منفصلين.

أجاب السائق: أشدهم تطرفًا هو الطائفة الأرثوذكسية والتي يشتهر معتنقيها بالرداء والقبعات السوداء المميزة لهذه الطائفة وضفائر الشعر مع السوالف عند الرجال. فهم يعتقدون أنهم فقط المقبولين عند الله لأنهم آمنوا باليهودية الصحيحة المُنزلة في التوراة، أما باقي الأديان وحتى الطوائف اليهودية الأخرى فهم طبقات دُنيا، هم يعملون عادة بالتجارة ويمتلكون مجموعة من سلاسل المحلات الكبيرة، أيضا تجدهم يعملون في البنوك وشركات الأنظمة المالية المتخصصة في توفير القروض، أما اليهود الأكثر اعتدالا المعروفين بالليبراليين فتجدهم في جميع المجالات من إعلام وتكنولوجيا وصناعة وهم الأكثر تأثيرًا في صنع القرار في الولايات المتحدة نتيجة لنفوذها القوي وإمكانياتهم المادية.

نظرت إلى هاتفي وفتحت تطبيق جوجل وبدأت بحثا عن أطياف اليهود المختلفة في إسرائيل، أجمعت الصفحات على أنه بالرغم من أن تعداد اليهود الأرثوذكس لا يتعدى ٢٥٪ ولكنهم أكثر الطوائف تأثيرًا في قرارات الحكومة الإسرائيلية، وغالبًا ما تسقط الائتلافات السياسية إن لم تتحالف مع الطائفة الأرثوذكسية وغالبًا ما يكون لهم أكثر من وزير في أي وزارة إسرائيلية.

وصلت إلى المطار وكُلي عزم على أن أكمل بحثي عن أطياف المجتمع الإسرائيلي، ما أنا مقبل عليه في هذه الرحلة يتطلب معرفتي لأدق التفاصيل، أي معلومة صغيرة قد أجهلها قد تتسبب في افتضاح أمري وفشل المهمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تل أبيب

الأحد - ٣١ مارس ٢٠١٩

هبطت الطائرة في مطار بن غوريون بتل أبيب، بدأت دقات قلبي في التزايد وهاجمني كم هائل من الأفكار، لقد شرح لي زميلي في العمل، حيدر خان الباكستاني الأصل أمريكي الجنسية والذي قد زار إسرائيل أكثر من مرة، ماذا سوف يحدث في مطار إسرائيل.

قال لي حيدر: في مطار بن غوريون توجد غرفة مخصوصة لأمثالنا ممن لهم أصول عربية أو إسلامية، سوف يحتجزونك في هذه الغرفة ما بين ٤- ٦ ساعات.

أجبت حيدر بلفظ قبيح باللغة الإنجليزية والذي عادة ما يترجم إلى كلمة «اللعنة» في العربية وأضفت: ولكن أنا مواطن أمريكي ما دخلهم بأصلي العربي؟

أجاب حيدر: إنهم يعرفون أصلك من مكان الميلاد في جواز سفرك الأمريكي، والذي سيكون مكتوب فيه اسم بلد المولد مصر، بالإضافة إلى اسمك العربي، ثم أضاف حيدر بطريقة توحي بعدم الاكتراث: لقد تعودت على هذا الاستجواب، مع تكرار الذهاب لإسرائيل سيقل الوقت الذي يتم فيه استجوابك.

كررت اللفظ الأمريكي القبيح مرة أخرى ثم قلت لحيدر: وماذا يحدث في هذا الاستجواب؟

- سوف يتركونك جالسًا لفترة قد تطول إلى الساعتين أو أكثر، خلال هذه الفترة سيقوم مسؤول الأمن بإجراء تحريات عنك لكي يتأكد إن كان لك أي سجلات أمنية في إسرائيل أو أن كنت على قائمة المطلوبين، ثم سيقوم أشخاص مختلفين باستدعائك على فترات متباعدة إلى غرفة منفصلة وسوف يسألونك أسئلة عامة عن عملك وسبب مجيئك لإسرائيل، ثم تستمر الأسئلة لتصبح أكثر تفصيلا ودقة عن وظيفتك ومكان إقامتك وأسرتك، سوف يقارن هؤلاء الأشخاص إجابتك لكل منهم على حدا ليتأكدوا من أنك صادق وأن إجابتك متماثلة.

- هل سيحدث كل هذا معي لأني عربي الأصل؟

- إنها إجراءات أمنية ويوجد مثلها أيضًا عند الخروج، فلا بُد وأن تكون في المطار قبل الإقلاع بخمس ساعات أو قد لا تلحق الطائرة.

أردت التأكد من أن ما يقوله لي حيدر صحيح، في إحدى مكالمات العمل مع دافيد قلت له: لقد كنت أتحدث مع زميلنا حيدر ولقد قال لي أنه سوف يتم استجوابي عند الوصول إلى إسرائيل لأكثر من أربع ساعات حتى يتم السماح لي بالدخول وذلك بسبب أصلي العربي، هل هذا صحيح؟

رد دافيد بسؤال غير متوقع: في أي يوم سوف تصل إلى إسرائيل ؟

أجبته: يوم الأحد.

- هذا جيد، لأني لا أجيب على أي اتصالات من هاتفي في يوم السبت «شبات»، سوف يسألونك عن هاتف لمضيفك في إسرائيل يمكنك أن تعطيهم رقم هاتفي، وسوف يتصلون بي لسؤالي بعض الاسئلة.

- هل سيختصر هذا وقت الاستجواب؟

- لا، ولكنه جزء من التحقيق، هل تتذكر منذ متى ونحن نعمل سويا؟

- لأكثر من سنتين...

- نعم، سأقول لهم سنتين ولا بد أن تقول لهم نفس الإجابة فتكون إجابتنا متشابهة.

•

نزلت من الطائرة إلى مطار بن غوريون وبدأت أنظر لكل شيء حولي في تطلع وقلق، أول ما لفت انتباهي أن كل اللافتات الإرشادية مكتوبة بثلاث لغات؛ العبرية، العربية، الإنجليزية وبهذا الترتيب.

وجدت أمامي كلمة مرحبا بكم في إسرائيل باللغة العربية، مكتوبة على الحائط بخط كبير وبجوارها علم إسرائيل مرسوم بعرض الحائط، وجدت أمامي الكثير من الناس المتجهين إلى شباك الجوازات، أخذت أتطلع إلى الوجوه فقد كان المطار مزدحمًا، رأيت وجوهًا من جنسيات مختلفة فهذه العائلة تبدو أمريكية والأخرى تبدو من شرق أوروبا وها هي أسرة فيها أمٌ تلبس الحجاب الإسلامي والأب يبدو وجهه مألوف، لا بد وأنها عائلة فلسطينية أو من عرب إسرائيل.

وقفت في طابور الجوازات منتظرًا دوري، كان الطابور يتحرك ببطء، حاولت أن أتجنب التفكير في ساعات الاحتجاز المُقبل عليها، فأخذت أتفحص من حولي في محاولة لمعرفة جنسيتهم، رأيت فوجًا من السياح الآسيويين يقفون في صف آخر بجانبي، لماذا أتى هذا الفوج لهذه البلد؟ وهل سيتم استجوابهم جميعًا مثل ما سوف يحدث معي؟

توجه أول السياح الآسيويين إلى ضابط الجوازات وكان معه ملف فيه بعض الورق، سلّم الملف إلى ضابط الجوازات الذي أخذ يتفحص الورق لعدة دقائق ونظر إلى الشخص ثم ختم جواز السفر وسمح له بالمرور.

كان الدور قد جاء على العائلة التي تقف أمامي وكانت مكونة من أب وأم وطفلة صغيرة أدركت من لكنتهم وإنصاتي لبعض من حديثهم أنهم من سان فرنسيسكو، كاليفورنيا، توجهت العائلة إلى ضابط الجوازات والذي تسلم جوازات السفر، وأجرى حديثًا قصيرًا وباسمًا مع الأب والأم ثم ختم الجوازات وسمح لهم بالعبور.

بدأ الأمل يصل إلى قلبي، فلم أرَ أي أحد يُأخذ إلى غرفة خاصة والإجراءات تمر بسرعة وسلاسة.

اتجهت إلى ضابط الجوازات سلمته جواز السفر وورقة مطبوعة فيها عنوان الفندق في هرتسليا والمكتب في تل أبيب، نظر الضابط إلى جواز سفري ثم إليّ وأخذ في ادخال بياناتى على الكمبيوتر، للحظة أحسست بالاطمئنان وأن جواز سفري الأمريكي سيغنيني عن أي الاستجواب كما فعل مع العائلة الأمريكية من قبلي.

نظر إليّ ضابط الجوازات وقال بالإنجليزية: سيد حازم ما سبب مجيئك لإسرائيل؟

أجبته بسرعة وثقة: لقد جئت في زيارة عمل لمدة أسبوع، سوف أحضر مؤتمرًا لشركتي في مدينة هرتسليا، حيث أقوم بتمثيل قسم الاستشاريين في أمريكا الشمالية.

نظر إلى شاشة الكمبيوتر مرة أخرى واستمر في إدخال البيانات، ثم فتح بابًا خلفه ونادى على أحدهم، حضرت فتاة ترتدي الزي العسكري استطعت رؤيتها من خلف الشباك الزجاجي، أعطاها الضابط جواز سفري ثم نظر إليّ وقال: سوف تذهب مع زميلتي إلى غرفة الانتظار حتى نستطيع أن نجري بعض التحريات الأمنية عنك، جاءت الفتاة تحمل جواز سفري ومشت بجانبي لتقودني إلى غرفة الانتظار.

إذا لن يشفع لي جواز سفري الأمريكي لكوني عربيًا، كنت مستعدًا نفسيًا لحدوث ذلك بعد ما حكى لي حيدر ما حدث معه في أول زيارة، استسلمت للإجراءات وتعمدت أن أبتسم في وجوه مَن أمامي حتى لا أُظهر أي ضعف أو انكسار، اقتربنا من غرفة يقف عليها فتاتين في زي ملكي، إحداهما تشبه بشكل كبير مغنية لبنانية مشهورة في عالمنا العربي، كانت آثار عمليات التجميل والنفخ واضحة على خدودها وشفتيها وأجزاء أخرى من الجسم، فهي ممن يمكن وصفهم بالـ « كر□ي»، تضع كم معقول من المكيب مما ساعد على إظهار التحسينات التي أضافتها عمليات التجميل على وجهها، مع اقترابي من باب الغرفة، خرجت فتاة أخرى قصيرة وذات لون قمحي، بدأت هذه الفتاة حديثا مع فتاة الأمن الإسرائيلية شبيهة المغنية اللبنانية: لقد مر على انتظاري هنا ٤ ساعات (كانت الساعة العاشرة مساءً)، ولا أعلم إن كانت حقائبي ما زلت موجودة على سير الحقائب أم لا.

أجابتها الموظفة الإسرائيلية بنبرة تستطيع أن تميز فيها بعض الاستعلاء: لا تخافي، لا شيء يضيع في هذا المطار، بعد الانتهاء من الإجراءات الأمنية، سوف تجدين حقائبك ما زالت على سير الحقائب.

أجابت الفتاة وقد بدا عليها الإرهاق والضيق: لقد أصابني الإجهاد فقد استغرقت رحلة الطيران من حيث أتيت ما يزيد عن ست عشرة ساعة وأنا أرغب في الذهاب إلى الفندق لكي أستريح قليلا قبل بدء العمل في الصباح الباكر.

ردت الموظفة ببرود: للأسف لا أستطيع أن أحدد متى ستحصلين على تصريح الدخول لإسرائيل، عليكِ الانتظار حتى انتهاء الإجراءات.

أدارت الفتاة وجهها وذهبت لتجلس على أحد الكراسي الفارغة، أسرعت وجلست على الكرسي الفارغ بجنبها، وبدأت معها حديثًا لَعلّي أسليها وأهون عليها وقت الانتظار، قُلت مبتسمًا:شكرا! فقد عَلمت من حديثك مع الموظفة أنه سوف يكون امامي على الأقل ٤ ساعات من الانتظار.

نَظرت إليّ، ثم ابتسمت وقالت: قد لا تضطر لأن تنتظر لأربع ساعات، أعتقد أني سيئة الحظ.

- لا أعتقد أنه سوء حظ ولكني أعتقد أن طول الإجراءات مرتبط بمن أين أتيتِ، لقد حكى لي بعض الزملاء قصصًا مشابهة ولقد اضطروا للانتظار ٤-٦ ساعات، هل يمكنني أن أسألك من أين أنتِ؟

- أنا من البرازيل.

- ماذا؟! وهل يوجد مشاكل سياسية بين البرازيل وإسرائيل؟

- لا، ولكن جدي لأبي اسمه عبدول وهو من أصل لبناني، أنا لم ألتقِ به قط، ولقد انقطعت صلتي بهذا الفرع من العائلة منذ زمن كبير.

- الآن فهمت، أعتقد اسم جدك العربي هو ما تطلب احتجازك هنا للتحريات الأمنية.

- نعم، أعتقد كذلك، وماذا عنك من أين أنت؟

- في الواقع أنا من بلد جارة لإسرائيل، ولكن يبدو أنهم لا يحسنون استقبال الجيران، أنا من مصر.

ضحكت وقالت: اوه، لا بد وأن التحريات عنك سوف تأخذ وقتًا أطول، لا أدري ماذا أقول لك ولكن أتمنى لك حظًا سعيدًا.

ابتسمت لها وقُلت: لا عليكِ فأنا فخور بكوني عربيًا، فأنت لا تعلمين كمّ الترحاب والتسهيلات التي ألقاها عندما أسافر للبلاد المختلفة ويعلمون أني عربيّ، فالجالية العربية منتشرة في كل مكان.

- صحيح، يوجد الكثير من اللبنانين والفلسطينين المهاجرين في البرازيل، لقد كانت صديقتي المقربة في الجامعة من فلسطين.

- أنا أعتقد أن اللغة العربية واحدة من أقوى اللغات الحية في العالم لانتشار المهاجرين العرب في كل مكان، لكم أتمنى أن تتعلمها ابنتاي.

- كيف لا يتكلمون العربية وأنت عربي؟ هل زوجتك من جنسية مختلفة؟

- لا هي مصرية أيضا ولكننا نعيش في الولايات المتحدة منذ فترة زمنية كبيرة، والبنتين تستطيعان فهم ما نقول بالعربية ولكن دائمًا ما يفضلون التحدث بالإنجليزية.

- لا تمل من المحاولة، سيعرفون أهمية تعلم لغتهم الأم عندما يكبرون في السن ويرون كيف تفتح لهم هذه اللغة أبوابًا وفرصًا قد لا يقدر غيرهم على الوصول إليها.

دخل موظفٌ سمين، مستدير الوجه، أصلع الرأس، يرتدي زي موظفين المطار الرسمي ويحمل بيده جواز سفر، نادي الموظف بصوت عالي: سلفيا عبدول.

نظرت الفتاة إليه ورفعت يدها في فرحة وقالت: أنا.

ثم نظرت إليّ وقالت: أخيرًا سأتمكن من الذهاب إلى الفندق وأنال بعض الراحة، لكم أشتاق إلى السرير.

ضحكت وقلت لها: أتمنى لك حظًا سعيدًا.

أجابتني: لقد سعدت بمحدثتنا وحظا سعيدا لك أيضًا.

أخرجتُ كتابًا من حقيبة ظهري لأقرأه، نظرتُ أمامي قبل البدء في قراءة الكتاب، فوجدت فتاة صغيرة في السن قد تكون ما بين ال١٨ و٢٠ عام تنظر إليّ مبتسمة، كانت تشبه الأولاد في تسريحة شعرها ولباسها حتى أنني احترت قليلًا لتحديد إن كانت فتاة أم ولدًا، ولكن إحساسي غالبني بأنها فتاة، كانت تجلس على الكرسي المقابل لي ولم يكن بعيدًا عني، ابتسمت لها وأدركت أنها كانت تُنصت للحوار الذي دار بيني وبين سلفيا، ولعلها تريد أن تضيع بعض الوقت بالحديث أيضا فقلت لها: منذ متى وأنت منتظرة؟

ردت بصوت أنثوي تأكدت منه أنها فتاة: قاربت على الساعتين ولقد تم استجوابي مرة واحدة.

- هذه أول مرة لكِ في إسرائيل؟

- لا، فأهل والدي يعيشون في رام الله، ومنذ وفاته أحضر مرة كل عامين لأقضي بعض الوقت معهم فأستعيد ذكرياتي مع والدي، لم أكن قريبة منه خلال فترة مراهقتي وخاصة بعد انفصاله عن والدتي، فلم أزر فلسطين قط إلا بعد وفاته، قد قررت أن أوطد علاقتي بهذا الطرف من العائلة.

- أنا آسف لموت والدك.

- شكرا، لقد سمعت أنك من مصر، لقد كنت أسمع والدي يتحدث كثيرا عن مصر وأنا طفلة، لكم تمنيت أن أزور مصر في يوم من الأيام.

- نعم أنا من مصر، ولكنني هاجرت إلى الولايات المتحدة منذ تسعة عشر عامًا.

- هل ما زلت تزور مصر؟

- نعم، فلي بنتين في سن المراهقة معي في أمريكا وأحرص على أن يزورا مصر بصفة متكررة؛ لكي يكونا على اتصال مع الأهل ويتعلما العادات والتقاليد العربية، ولكنها مهمة صعبة خصوصا في هذا السن، من أين أنت؟

- من ألمانيا، برلين.

- لقد كنت في ألمانيا من شهر تقريبًا ولكني كنت في ميونخ.

- يوجد الكثير من العرب في ميونخ سواء طلاب أو من يذهبون للسياحة.

- نعم، فهي بلد جميلة ومركز للأعمال، أذهب هناك باستمرار حيث يوجد المكتب الإقليمي للشركة التي أعمل بها هناك.

- وفي ماذا تعمل؟

استمر حديثنا لمدة نصف ساعة، ومن وقت لآخر يظهر موظفو الأمن ينادون على أحد الجالسين لاستكمال إجراء التحريات، تعرفت على اسمها ساندرا، وكانت في الواحد والعشرين من العمر. توفت والدتها الألمانية مؤخرًا ولم تكن والدتها على علاقة بأهلها في ألمانيا ولا تعرف ساندرا عنهم الكثير، فأصبحت عائلتها الوحيدة والتي تحرص على الاتصال بهم هم أهل والدها في رام الله، لا تتحدث العربية ولكنها بدأت في دراستها لتتمكن من التفاعل مع أهل والدها عند زيارتهم، وصفت لي كم تحب الترابط الأسري بين العائلات العربية، فكثيرا ما كان الوالد يجلس معها وهي صغيرة ويأتي بألبوم الصور ويسرد لها قصص أقاربه وأقرانه في فلسطين، كان دائمًا ما يدمع عندما يرى صورة والده الذي توفي ولم يستطع الذهاب لرؤيته؛ لأنه لم يكن قد حصل على الجنسية الألمانية بعد ولم تكن إسرائيل لتسمح برجوع المهاجرين الفلسطينيين مرة أخرى إلى فلسطين، تبادلنا أرقام التليفونات والعناوين لعلنا نلتقي في يوم من الأيام.

جاء أحد موظفي الأمن ونادى بصوت عالي: حازم إسماعيل الدمنهوري.

لقد نطق اسم حازم صحيحًا، لم يعانِ من نطق حرف الحاء كما يحدث للكثير ممن لا ينطقون العربية، رفعت يدي وتوجهت إليه وقد بدأ التعب يحل بي، قادني إلى غرفة أخرى يجلس فيها موظف أمني آخر يبدو صغيرًا في السن، طلب مني الجلوس وكان مشغولًا بإدخال بعض المعلومات على الكمبيوتر، دققت النظر إليه فوجهه يبدو من النوع المألوف في المنطقة العربية وخاصة الشرق الأوسط، فقد تجد شبيها له في مصر أو لبنان. كان نحيفًا، تظهر عظام الجبهة والخدود في وجهه من النحافة، له شارب كثيف وعينين زائغتين دائمة الحركة ومنخار طويل، نظر إليّ مبتسمًا وقال: أول مرة في إسرائيل؟

- نعم.

- دعني أعطيك نبذة عن الإجراءات التي تمر بها الآن، وإذا كان لديك أي سؤال لا تتردد في سؤالي.

لم أرد عليه، فلقد تمكن مني التعب والإرهاق إلى حد أنني أردت أن أحتفظ بالمخزون المتبقي من الطاقة، لكي أتمكن من الوصول الى الفندق والانهيار على السرير.

- نحن نقوم ببعض التحريات الأمنية عنك للتأكد من أنه لا توجد أي شبهات أو أنك من المطلوبين في سجلاتنا الأمنية، سوف أسألك بعض الأسئلة وبعد ذلك ستذهب الى غرفة الانتظار مرة أخرى وسوف يكون هناك مقابلات أخرى مع زملاء اخرين، في هذا الوقت لا أستطيع تحديد عدد المقابلات أو الوقت اللازم لإنهاء الإجراءات.

لقد كنت مهيأً نفسيًا لهذه المقابلة ولم يكن عندي أي سؤال، قلت لنفسي فلتسأل ما عندك قبل أن أغط في النوم وأنا أمامك.

- لماذا أتيت لإسرائيل؟

- لكي أحضر مؤتمرًا تقيمه الشركة التي أعمل بها في إسرائيل.

بدء تواتر الأسئلة: ما هي طبيعة الأعمال التي تقوم بها شركتك؟ وما هي وظيفتك في هذه الشركة؟ أين تعيش حاليًا؟ منذ متي وأنت تعيش هناك؟ هل أنت متزوج ولديك أطفال؟ أعطني أسماء أفراد العائلة وتواريخ الميلاد، ماذا تنوي أن تفعل في إسرائيل؟ هل تنوي زيارة أي مكان آخر بجانب مقر الشركة والمنتجع حيث سوف يقام المؤتمر؟

- نعم، أنوي الذهاب إلى أورشليم مع أحد زملائي الإسرائيليين الذي عرض عليّ اصطحابي إلى هناك.

- متى تنوي الذهاب إلى أورشليم؟

- يوم الثلاثاء بعد الظهيرة وسأعود إلى الفندق بعد تناول وجبة العشاء في المدينة.

- هل يمكنك أن تعطيني بيانات هذا الزميل الذي سوف يصطحبك إلى أورشليم.

- أعطيته ورقة كانت جاهزة معي وفيها كل بيانات دافيد.

نظر إلى الورقة ثم إليّ، أخذ في إدخال البيانات ثم نظر إليّ مرة أخرى وقال: هل ممكن أن تعطيني جوازك المصري لآخذ منه صورة؟

أفرز جسمي جرعة أدرينالين أضاعت إحساسي بالتعب ووضعت عقلي في قمة التأهب، فأنا أحتفظ بجوازي المصري في حقيبة الظهر في جيب خفي لكي أستخدمه أثناء دخولي إلى مصر، ولكنني لن أعطيه له ليحتفظ بنسخة فإني لا أريد أن أربط جنسيتي المصرية بهذه الزيارة.

قلت له: لم أحضر جوازي المصري لتجنب أي مشاكل مع السلطات المصرية عند دخولي إلى مصر.

أجابني: ولكنني أرى تأشيرة دخولك إلى مصر على جواز سفرك الأمريكي.

أجبته سريعًا: نعم، في هذه المرة كانت قد انتهت صلاحية جواز سفري المصري واضطررت إلى استخدام الأمريكي.

ضحك وقال: لا تقلق فنحن لا نضع أي أختام على جوازات السفر، سوف نطبع لك فيزا وستظل معك حتى تخرج من إسرائيل، هل ستذهب إلى مكان آخر بعد إسرائيل وقبل الرجوع إلى الولايات المتحدة؟

قلت: نعم، سوف أقضي بعض الأيام في إيطاليا للسياحة.

ضغط على زر وقال لي: يمكنك الآن الرجوع إلى صالة الانتظار وسوف يقوم أحد زملائي باستدعائك لاحقا.

قادني موظف الأمن إلى صالة الانتظار وقد بدأ عقلي يتسأل: هل صدّق أنه ليس معي الجواز المصري؟ ماذا سوف يحدث إن فتشوا حقيبة الظهر ووجدوا جواز السفر الآخر؟ هل كنت أحمقًا عندما كذبت عليه بشأن جواز السفر المصري؟

لا يمكن التراجع الآن وحتى إن اكتشفوا الجواز الآخر؛ سوف أرفض إعطاءهم إياه حتى وإن انتهي الأمر بترحيلي.

لكن هذا معناه فشل المهمة، ورجوعي إلى أمريكا مرة أخرى، إلى حياة «الميديوكر»، ليس فقط ميديوكر عاديًا ولكن فاشلٌ أيضا.

كان مقعدي جالسًا فيه مسافرٌ آخر أفريقي يقرأ في جريدة باللغة الإنجليزية وكان لا يوجد أثر لساندرا، لعلها استدعيت لمقابلة أخرى أو أنهم أنهوا تحرياتهم وتركوها تذهب.

لم أكن أرغب في الحديث مع أي أحد فوضعت سماعات التليفون في أذني لكي أستمع إلى الموسيقى وأخرجت الكتاب الذي أحاول قراءته من حقيبة الظهر، حاولت التركيز في القراءة مع الاستماع إلى الموسيقى الهادئة في الخلفية.

مرت حوالي٣٠ دقيقة حتى جاء موظف الأمن مرة أخرى ونادى اسمي، ثم اصطحبني لمقابلة محقق آخر في غرفة مختلفة، توالت عليّ الأسئلة وكانت مشابهة لحد كبير لما سُئلت في التحقيق الأول ولكن زاد عليها أسئلة متعلقة بتحركاتي في إسرائيل، والتفاصيل المتعلقة بالاجتماعات التي سوف أحضرها، ذهبت مرة أخرى إلى صالة الانتظار وحاولت النوم ولكن لم أستطع، حوالى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل جاءت موظفة أمن ونادت اسمي فتوجهت إليها وكان معها مجموعة من الأوراق أخذتني إلى صالة أخرى، وظللنا واقفين في هذا المكان؛ قالت لي: هذه آخر مرحلة في المقابلات قبل طباعة تصريح دخولك إلى إسرائيل، سوف أراجع معك بعض المعلومات سريعًا للتأكد من خلو ملفك من الأخطاء.

أحسست ببعض الاطمئنان وقلت لها مبتسمًا: لكم أشتاق إلى الذهاب للسرير فإني لم أرَه منذ مدة طويلة.

لم تبادلني الابتسام وشرعت في تكرار نفس الأسئلة التي قد سُئلتها في المرات السابقة ولكن هذه المرة كانت أسرع حيث أنها كانت تقارن إجاباتي بما هو مكتوب في الملف لديها.

بعد الانتهاء قالت لي: يمكنك الآن الذهاب إلى صالة الانتظار، سأقوم بطبع تصريح الدخول وأحضره لك.

أحسست أني لا أرغب في دخول غرفة الانتظار مجددًا؛ فقد أصابني الاكتئاب من طول الانتظار فقلت لها: أيمكنني أن أظل واقفًا هنا فقد مللت الانتظار في الغرفة الأخرى.

نظرت إليّ وقد رأت في عيني شعوري بالملل والتذمر؛ فقالت: انتظرني في الطرقة أمام هذا المكتب حتى أحضر لك التصريح.

وقفت في الطرقة حيث توجد العديد من اللوحات التي تحتوي على صور مطار بن غوريون في أزمنة مختلفة، البعض منها أبيض وأسود ويحتوي على طائرات من طراز قديم وأخرى ملونة توضح مراحل تطور المطار، في إحدى اللوحات الملونة

لمحت صورة نتنياهو الرئيس الحالى للحكومة الإسرائيلية محاطا بالعديد من الناس فيما يبدو افتتاح مرحلة جديدة من المطار.

أحسست بالحركة حولي فنظرت إلى الخلف فوجدت موظفة الأمن تمد يدها بورقة مطبوعة ثم قالت: مرحبا بك في إسرائيل، يمكنك الآن الذهاب إلى سير الحقائب وسوف تجد حقائبك في انتظارك.

أحسست بالرهبة عندما قالت لي «مرحبا بك في إسرائيل»، على خلاف البلدان الأخرى والتي عادة ما يصحبك الفضول عند زيارتها انتابني إحساس غريب بالخوف، لعل هذا الخوف نابع من إدراكي أن إسرائيل بالنسبة لي كعربي هي دائما العدو، فأنا الآن أخطو أول خطواتي داخل هذه البلد ولا أدرِ إن كان سَيُنظر إليّ كـ العربي الغير مرحب به أم كالأمريكي الباحث الصديق!

أخذت الورقة المطبوعة وتوجهت إلى سير الحقائب، مررت بصالة الانتظار فألقيت نظرة بداخلها لعلّي أرى ساندرا ولكني لم أرَها، فلا بُد وأنها قد حصلت على تصريح الدخول أيضا، وهي في طريقها الآن لزيارة أهل أبيها في رام الله، أحسست بالحزن من أجلها فهي تمر بهذه التجربة في كل مرة ترغب فيها بزيارة أهلها في فلسطين.

وجدتُ حقائبي بجانب السير، أخذت حقائبي وتتبعت اللافتات المكتوبة باللغات الثلاثة وكنت أقرأ العربي منها، خرجت من المطار واتجهت إلى موقف التاكسي القريب من بوابة الخروج، كان التاكسي يقف في طابور طويل ومنظم، استقبلتني موظفة المطار وكانت تبدو إفريقية سألتني بإنجليزية جيدة: إلى أين أنت ذاهب؟

أجبتها: منتجع أكاديا بهرتسليا.

نظرت إلى ورقة في يدها وقالت: ١٦٠ شيكل.

سألتها: هل يمكن الدفع بالفيزا كارد؟

ردت: طبعًا، يمكنك أخذ التاكسي التالى في الدور.

جاء سائقٌ عجوزٌ، يمشي منحني الظهر، شعره أبيض كالثلج، أخذ مني حقائبي وسأل الموظفة عن مكان إقامتي بالعبرية.

دخلت الى السيارة الحديثة وجلست في الخلف فلم أكن أرغب في إجراء أي حديث، ما زالت الرهبة من المكان تتملكني ولا أشعر بالراحة.

بعد ٢٠ دقيقة من خروجنا من مبنى المطار بدأت معالم المدينة تظهر، مباني زجاجية شاهقة العلو مبنية بشكل معماري مميز، أعلى كل مبنى يوجد شعار إحدي الشركات الكبري في مجال التكنولوجيا، الشوارع واسعة ويوجد الكثير من التفرعات والكباري الضخمة، ما زالت جميع اللافتات الإرشادية وأسماء الشوارع مكتوبة باللغات الثلاثة ودائما العربية في المنتصف بين العبرية والإنجليزية.

بدأ السائق في التحدث بإنجليزية ركيكة كان يصعب عليّ فهم أغلبها: أول مرة لك في إسرائيل؟

- نعم.

- نحن الآن في تل أبيب عاصمة الشركات حديثة النمو «سترت أبس» في العالم ؛ من أين أتيت؟

- من الولايات المتحدة، ولكن أصولي من مصر.

نظر إليّ السائق في المرآة محدقا في ملامحي، ثم تحدث بعربية متقنة حاول أن يغلب عليها اللكنة المصرية ولكن كان يشوبها بعض من الفلسطينية واللبنانية: من أين أنت من مصر؟

فاجأتني لغته العربية وقلت: من الإسكندرية، لهجتك العربية ممتازة؛ أين تعلمت العربية هل يدرسونها هنا في المدارس؟

- أعتقد الآن بدأت تُدرّس في المدارس، ولكن على أيامي تعلمتها من جيراني العرب في حيفا، كنت دائما ما ألعب مع أولاد الجيران وآكل معهم فقد كان طعام والدتهم أكثر جودة من طعام والدتي.

- هذا مبهر، تعلمت العربية فقط من اللعب مع أولاد الجيران؟

- والتليفزيون أيضا فكثيرا ما كُنا نشاهد أفلام ومسرحيات عادل إمام وسعيد صالح، مسرحيتي المفضلة العيال كبرت.

- وهل ما زلت على علاقة بهؤلاء الجيران من العرب؟

- للأسف توسعت المدن في إسرائيل، وتزوجت وسكنت في تل أبيب، بُنيت بعض المستعمرات حيث كنا نسكن في حيفا ولم أعد أسمع عنهم أي شيء.

ثم أضاف: لقد زرت المغرب عدة مرات، وما زلت أذهب بشكل متكرر؛ فزوجتي من أصل مغربي وما زال لديها عائلة هناك، لقد أعاد لهم ملك المغرب أملاكهم في أوائل الألفية الثانية بعد ما سُلبت منهم لأكثر من خمسين عامًا.

أجبته: ولكن اللكنة المغربية تختلف تماما عن العربية الفصحى وباقي اللهجات العربية، فهي أصعب في الفهم والتعلم.

ضحك السائق ثم قال: لقد احتفظت زوجتي باللغة الأمازيغية والتي توارثتها عبر الأجيال، وقد كانت تتكلم بها في المنزل غالبية الوقت فتعلمها أولادنا وتعلمتها أنا أيضا.

أخذت أفكر في ما قاله الرجل فهو يعرف العربية والأمازيغية والعبرية، بينما لم أنجح في أن أجعل ابنتَاي تتقنان اللغة العربية.

رأيت الكثير من اللافتات التي تحمل صورة نتنياهو وخلفه فريق ممن يرتدون البدل الرسمية، قد خمنت أن يكونوا وزراء حكومته، كان هناك لافتات لأشخاص

آخرين أيضا يظهرون كفريق عمل آخر، سألت السائق: ما سر هذه اللافتات المنتشرة في الشوارع؟

أجابني: إن انتخابات الحكومة الإسرائيلية الأسبوع القادم.

- هل سترشح نتانياهو لفترة أخرى؟

- في ظل الإدارة الأمريكية الحالية، والأحداث المتوترة مع إيران يعتبر هو من أفضل الاختيارات فإنهم يحبونه في واشنطن، هو صديق مقرب من ترامب.

فاجأني هذا التحليل السياسي من سائق التاكسي، ففي أمريكا نادرًا ما تجد سائقي التاكسي مهتمين بالسياسة والانتخابات، فهم يعملون ليلا ونهارًا لمصارعة الرأسمالية القاتلة، فلكي يتمكن السائق من العيش حياة كريمة في أمريكا فلا بُد أن يعمل أكثر من ١٢ ساعة يوميا، لا وقت له للسياسة والمشاركة في الانتخابات، أما في مصر فعادةً ما يستخدم سائق التاكسي صوته للحصول على معونة مادية أو كرتونة مساعدات خلال موسم الانتخابات.

وصلنا إلى المنتجع وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا، ساعدني السائق وحامل الحقائب في إنزال حقائبي.

توجهت إلى مكتب الاستقبال فوجدت فتاة آسيوية هناك، دُهشت أن إسرائيل أصبحت تنافس دول المنطقة الأخرى مثل دول الخليج في الاستحواذ على العمالة الآسيوية ، يبدو أن هذه العمالة وجدت ما يكفي من المغريات في سوق العمل الإسرائيلي للتوافد عليه و الاستقرار في هذه البلد.

كانت الفتاة تتكلم الإنجليزية بطلاقة، أخذت مني البيانات وبينما كانت تُدخل بياناتي على الكمبيوتر سألتها: من أين أنتِ؟

أجابتني: من الفلبين.

منذ متى وأنتِ تعملين في إسرائيل؟

منذ ثلاثة أعوام.

هل تتحدثين العبرية؟

ما زلت أتعلمها، عادة ما أستخدم الإنجليزية فغالبية الناس هنا تفهمها.

هل تُحبين العمل هنا؟

المقابل المادي جيد، وأستطيع أن أقضي بعض الوقت كل عام مع أهلي في الفلبين.

طَلبت العامل لأخذ حقائبي، صعدت إلى الغرفة وكنت في حاجة إلى النوم، أخذت شور سريع واستلقيت على السرير، بعثت رسالة إلى نادية أني خرجت من المطار ووصلت الفندق، كنت في غاية الإرهاق وأحتاج للنوم، سوف أكلمها في الغد.

لقد تمت أول خطوة بنجاح، الدخول إلى إسرائيل، أخذتُ أسترجع تفاصيل مهمتي الأساسية والتي أتيت إلى إسرائيل من أجلها، فلم يكن المؤتمر هو السبب الأساسي

لمجيئي هنا ولكنني جئت في مهمة أكثر خطورة، نظرت إلى ساعة المنبه بجانبي وجدتها الرابعة صباحًا، عليّ أن أصحو في الثامنة لأتمكن من مقابلة دافيد وزملاء آخرين للتحضير للمؤتمر والذي سيُعقد يومي الأربعاء والخميس، أخذت حبتين من الدواء المنوم، ثم فتحت كتابي أقرأ فيه حتى يأتي المنوم بمفعوله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القدس (أورشليم)

الثلاثاء - ٢ أبريل ٢٠١٩

بعد الظهيرة اتجهت مع دافيد كما وعدني إلى القدس، لكم أشتاق إلى رؤية المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، هناك أسرى بالرسول في ليلة الإسراء، ثم عُرج به إلى السموات السبع حيث أمر بفرض الصلاة، لكم تمنيت أن أرى مسجد قُبة الصخرة والذي دائما ما تكون صورته رمزًا لما تمثله القدس للمسلمين.

بدأت يومي منذ الصباح الباكر، انشغلت في اجتماعات تحضيرية متعاقبة كان من الممكن أن تمتد حتى المساء، ولكنني اعتذرت لزملائي في العمل لانشغالى في المساء بالذهاب لزيارة المدينة القديمة، القدس (أورشليم).

أخذني دافيد عبر الطريق السريع من هرتسليا إلى أورشليم والذي يتجنب المرور بتل أبيب المزدحمة في هذا الوقت، كان الطريق يمر بأراضي زراعية ممتلئة بأشجار الموالح والعنب والزيتون، رأيت الكثير من التلال الخضراء المزروعة على جانبيّ الطريق، توجد بعض القرى الصغيرة المتفرقة هنا وهناك فكان الريف يُشبه إلى حد كبير ما تراه في الريف الأوروبي. أخذت أتأمل المزارع من حولي حتى مررنا على تجمع معماري كبير مبني على الطراز الأمريكي الحديث، المباني متوسطة الارتفاع لا تزيد عن أربعة طوابق يعلوها السقف الأحمر المائل وتمتد على مساحات واسعة، سألت دافيد: هل هذه بدايات القدس؟

أجابني دافيد: كلا، هذه مستعمرة حديثة بُنيت لتوطين المهاجرين اليهود، المباني في أورشليم ذات طراز معماري مميز ومختلف، سوف تلاحظه عندما نقترب من المدينة.

نظرت إلى المستعمرة وتخيلت كم من البيوت العربية طُرد منها سكانها الأصليين وهُدمت لتُبنى هذه البيوت الحديثة لاستقبال المستعمرين الجدد.

استطرد دافيد: دعني أعطيك نبذة عن التقسيمة السُكانية للمدينة قبل أن نصل إليها، المدينة القديمة أورشليم مقسمة إلى أربعة أجزاء:

- الربع المسيحي: ويقع في الشمال الغربي من المدينة وقد بُني حول كنيسة القيامة المشهورة لدى جميع الطوائف المسيحية بأنه مكان قيامة المسيح. وتُسيطر عليها حاليا الطائفة الأرثوذكسية المسيحية ولكن يأتيها الزوار من جميع الطوائف والديانات الأخرى.

- الربع اليهودي: حيث يقع الحائط الغربي والذي يعتقد اليهود أنه أكثر الأماكن قربًا من المعبد، معبد سليمان ولهذا يتعبدون عنده.

- الربع المسلم: ويوجد فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة حيث يعتقد المسلمون أن رسولهم صعد إلى السماء وقابل باقي الرسل من هذا المكان.

أجبت دافيد: نعم فهو من أكثر الأماكن قدسية لدينا.

استطرد دافيد: أما الربع الرابع والأخير فهو الربع الأرميني وهو الأصغر حجما، تواجَدَ الأرمن في المدينة منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ولقد تبنّي الأرمن الديانة المسيحية كديانة قومية لهم ولكنهم انفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية.

بدأت المزارع في الاختفاء، وبدأت المباني البيضاء المبنية من الحجر الجيري الضخم في الظهور، يبدو عليها العراقة والمتانة ولا يظهر عليها أي آثار من القدم أو التهالك.

قال دافيد: لقد كان إجباريًا على سكان القدس تحت الاحتلال الإنجليزي في أوائل القرن العشرين أن يتم بناء البيوت بنوع معين من الحجر الجيري الأبيض، ويطلق عليه حتى الآن حجر أورشليم وكان إلزاميًا أن يُبني المنزل على الشكل المُضلع وأن تكون الأسطح مستوية، ولهذا ستجد هذا النمط المعماري متكرر في جميع أنحاء المدينة، ولمتانة وقوة أحجار أورشليم فقد تمكنت هذه المباني من مقاومة جميع العوامل البيئية حتى الآن وما زالت تحتفظ برونقها، أما المباني التي دُمرت في حرب ٦٧ قامت الدولة الإسرائيلية بإعادة بنائها بنفس المواد والطراز المعماري.

بدأ سكان المدينة من اليهود ذوي الرداء الأسود الطويل والقبعات السوداء في الظهور بشكل مكثف، فهم يتحركون في تجمعات عائلية كبيرة وكل عائلة معها عدد كبير من الأطفال.

قال دافيد: لقد دخلنا إلى المدينة من الجزء الجنوبي الغربي حيث توجد مساكن اليهود الأكثر تشددا في المدينة.

سألت دافيد: ألا يسمح لسكان الطوائف الأخرى بالسكن هنا؟

أجاب دافيد: أنا كيهودي لا أفضل السكن هنا، فمن يسكن هنا هم جماعات شديدة التزمُت. فعادة ما يغلقون الشوارع تمامًا يوم السبت لإعاقة السيارات من الحركة، وغالبًا ما يفضلون التعامل والتجارة في محيط مجتمعاتهم المغلقة، هم يقضون معظم الوقت في دراسة تعاليم التوراة والتلمود بدلا من العلوم المدنية الحديثة، هذه الطوائف المتشددة لا تمثل أكثر من ٢٥٪ من تعداد دولة إسرائيل، ويتركزون في القدس وما حولها من قرى. أما الـ ٧٥٪ الباقين فهم أكثر تفتُحًا على الطوائف والديانات الأخرى.

قلت لدافيد: ولكنك وشلومو تمتنعان أيضا عن العمل في السبت ولا تأكلون إلا الكوشر.

ضحك دافيد: بالرغم من ذلك فهذه الطوائف المتشددة تعتبرنا غير ملتزمين بتعاليم التوراة ولسنا مؤمنين بالإيمان الصحيح. ولكن على عكسهم الطائفة التي أنتمي إليها لا تُمانع دراسة العلوم الحديثة والتعامل مع الشعوب الأخرى مع عدم المساس بالثوابت العقائدية وتعاليم التوراة.

توجه دافيد إلى الجراج العمومي أسفل الأرض وبعد أن ركن السيارة أخذنا المصعد إلى الطابق الأرضي ثم بدأنا في التمشية في شوارع المدينة القديمة حتى وصلنا الى بوابة «چافا» وهي أحد مداخل المدينة الأثرية المقدسة. يحيط بالمدينة سور ضخم

وعالي، يبدو عليه القدم والأصالة، لمحت منارة فوق السور تشبه المئذنة، فسألت دافيد: ما هذا المبنى؟

أجابني دافيد: لقد تم بناء هذا السور في عهد العثمانيين لحماية المدينة، ولهذا سوف ترى الكثير من المنارات التي تم بناؤها على الطراز الإسلامي وكان الغرض منها الحراسة.

مع اقترابي من بوابة چافا أصابتني رعشة من رهبة الموقف وعظمة البناء، فكم قاوم هذا السور الضخم المئات من هجمات الطامعين في الاستيلاء على المدينة وكم من البشر مات حول هذا السور دفعا عن المدينة ضد المحتل.

أخذنا الباب إلى أزقة ضيقة حيث توجد بعض الساحات الممتلئة بالتماثيل الرومانية وأعمدة المعابد القديمة، اجتهد دافيد في محاولة شرح الأحداث التاريخية المرتبطة بهذه الساحات ولكنني لم أهتم كثيرًا فكان كل تركيزي في الإسراع لرؤية المسجد الأقصى.

فجأةً لمحت قبة الصخرة بلونها الذهبي المميز، فالمسجد يقع على هضبة مرتفعة وخلفها جبل أخضر جميل، يا إلهي ها أنا أمام المسجد الأقصى أحد أقدس الأماكن لدى المسلمين، نظرت فوجدت على مرمى بصري أسفل المسجد حائطًا طويلًا يتجمع عنده الناس، وأغلبهم يلبسون الزي اليهودي الأسود، هذا إذن ما يُسمى بحائط المبكى المقدس عند اليهود، لم أكن أتخيل أن موقعه أسفل المسجد تمامًا هكذا، لم أستطع أن أتكلم لفترة فقد كانت كل حواسي مستغرقة في تأمل هذا المنظر المهيب.

بعد وهلة نَظرتُ إلى دافيد وقلت: معذرة فقد أسكتتني رهبة المكان، لم أكن أتصور أنني في يوم من الأيام سآتي إلى هذه البقعة المقدسة والتي تعتبر مهد جميع الأديان.

قال دافيد: لا تقلق، فبعض الناس عندما يرون المدينة القديمة تصيبهم حالة من الهوس المعروفة بمتلازمة أورشليم، عادةً ما يرفض هؤلاء الناس الرجوع إلى بلادهم ويبذلون قصارى جهدهم للبقاء في أورشليم لما تبقى من حياتهم.

أرجعت نظري مرة أخرى إلى المسجد والحائط أسفله، الآن فقط أدركت لماذا المشكلة الفلسطينية الإسرائيلية ظلت كل هذا الزمن بدون حل، ينبغي أن ترى بعينيك جغرافيا المكان لتدرك مدى صعوبة تقسيم البلدة إلى القدس الشرقية عاصمة لفلسطين، وأخرى غربية عاصمة لإسرائيل، فالحائط المقدس لدى اليهود هو سور المسجد الأقصى والذي يعتقد اليهود أنه بُني فوق معبد سليمان، كيف يمكن أن يُقسّم هذا المكان؟ سيسيطر عليه القوي فقط!

قال دافيد سأرشدك إلى البوابة حيث يمكنك العبور إلى المسجد، وسأظل هنا أصلي عند الحائط ولنتقابل خلال ساعة من الآن لتناول وجبة خفيفة معًا، ثم سأتركك في المدينة لتتجول بها بحريتك.

كنت أنتظر اللحظة المناسبة لأُفاتح دافيد بسر مهمتي، نعم سوف أذهب لأصلي في المسجد الأقصى وأسأل الله الصبر والمساعدة والإلهام لعله يستجيب لي في بيته

المقدس، ثم أفجر مفاجأتي لدافيد كما خططت، فنحن بعيدا عن مكان العمل، في مكان لا يعرفنا فيه أحد ولا مجال لمقاطعة حديثنا.

ذهبت إلى حيث أشار لى دافيد، وعبرت بوابة أمنية تفصل بين الجزء اليهودي والمسلم وكان يوجد عليها تواجد أمني مكثف، أول ما عبرت البوابة اختلفت روح المكان، فقد تحولت الأزقة الضيقة إلى الأسواق العربية المألوفة، البائعين يفترشون الأرصفة أمام الدكاكين ويعرضون أنواع البضاعة المختلفة من المخبوزات والحلويات كالبقلاوة والسمسمية، مواد العطارة والبخور، الأقمشة والثياب المحلية وكانت الأزقة تَعُم بالحركة والنشاط. لم أستطع تبين الطريق إلى المسجد الأقصى، وجدت رجلًا واقفًا على باب دكان سألته عن الطريق إلى المسجد؛ فأشار إلى الأمام، ثم قال اسلك هذا الطريق حتى تجد بوابة المغاربة، أسرعت الخطى إلى الطريق الذي أشار إليه البائع دون الالتفات إلى أي من البضاعة أو المحلات المنتشرة في الأسواق فقد كان الشوق إلى رؤية المسجد الاقصى يحثني على الإسراع في الطريق. أخيرًا وجدت بوابة عملاقة الحجم، اقتربت منها وأنا لا أرى ما حولي، فجأة أوقفتني فتاة ترتدي زيًا عسكريًا وتحمل مدفعًا رشاشًا، قالت لي بالعربية: إلى أين أنت ذاهب؟

كان شكلها يوحي بأنها عربية الأصل، ولكن زيها العسكري كان يحمل العلم الإسرائيلي، فلا بُد وأنها من عرب إسرائيل.

قلت لها: أرغب في الصلاة في المسجد الأقصى.

- من أين أنت؟
- من الولايات المتحدة.
- هل يمكنني رؤية جواز سفرك؟

أعطيتها إياه، نظرَت قليلًا فيه وقالت مبتسمة: أنت من أصل مصري؟

أجبتها: نعم.

- هل معك أي أداة حادة أو سكين؟
- لا، إنني أرغب فقط في الصلاة.

ابتسمت ثم أوسعت لى الطريق لأعبر من البوابة، بمجرد عبوري البوابة لقيته أمامي، مسجد قبة الصخرة بقبته الذهبية ومبناه المربع، كانت هناك ساحة كبيرة يوجد فيها حديقة ونافورة وأماكن للوضوء، بينما أتفحص المكان من حولي لمحت على يميني المسجد الأقصى، والذي يبدو مبناه أكثر قدمًا من مسجد قبة الصخرة وأكبر حجمًا.

لم تكن ساحة المسجد الأقصى ممتلئة، لم يكن وقتًا من أوقات الصلاة، ولكن كان توجد بعض العائلات العربية من سكان المدينة، والأطفال يلعبون في الحديقة وحول نافورة المياه، ذهبت إلى الوضوء في الساحة ثم توجهت إلى المسجد، سرَت في

جسدي رعشة عندما دخلت من الباب، لم يكن هناك الكثير من الناس فتوجهت إلى مقدمة المسجد قريبًا من المحراب ثم شرعت في الصلاة، دعوت الله أن يغفر لي، وأن يقف معي وأن لا أُفضح، دعوته أن يهديني إلى الطريق الصحيح فقد التبست عليّ الطرق، فأنا لا أدري إن كان ما أفعله هو الصواب أم أنه سيؤدي إلى هلاكي ثم قلت الدعاء « يا رب إن كنت تعلم أن في هذا الأمر خيرًا لي في حياتي وآخرتي فقربه مني، وإن كان فيه شرٌّ لي فباعد بيني وبينه»، وبكيت في سجودي وأنا أطلب من الله العون والإرشاد، لقد أجبرتني هيبة المكان وروحانيته على الخشوع والتسليم.

أنهيت صلاتي وأحسست براحة وهدوء، توجهت بعد ذلك إلى مسجد قبة الصخرة وقد كان مزدحمًا بوفد من السياح الأتراك، كانوا رجالًا ونساءً يلبسون الملابس البيضاء ويحملون الأعلام التركية، وبينهم على ما يبدو أنه مرشد يحدثهم عن تاريخ المسجد. رأيت الصخرة، وهي المكان الذي عرج منه الرسول الى السماوات السبع، وقد بُني المسجد فوقها تكريمًا لمكانة هذه الصخرة في الإسلام. نظرتُ إلى ساعتي وكان أمامي عشر دقائق فقط على ميعادي لمقابلة دافيد أمام بوابة چافا. لم أكن قد اكتفيت من مسجد قبة الصخرة بعد، نظرت إلى الصخرة وحدثتها: سوف آتي إليك قريبًا وأظل واقفًا بجانبك حيث وقف رسول الله.

بكت عيني مرة أخرى، استدرت ولبست حذائي وخرجت من ساحة المسجد الأقصى متجهًا إلى حيث ينتظرني دافيد. أسرعت في خطاي وكنت أحس بطاقة غريبة، فكانت حركتي خفيفة ولا أحس بالتعب بالرغم من قلة النوم والانشغال في العمل طوال الفترة الصباحية.

وجدت دافيد ينتظرني عند المكان المحدد وكان يضع فوق صلعته طاقية اليهود المشهورة، حيّاني ثم سألني: كيف كانت زيارتك للمسجد؟

أجبت دافيد: أكثر من ممتازة، شكرا لمساعدتك لي في تحقيق هذه الأمنية. ولكن نصف يوم لا يكفي لزيارة المدينة القديمة.

ضحك دافيد ثم قال: الآن يوجد لديك عذر للمجيء إلى إسرائيل مرات أخرى، هل أنت جوعان ؟

أجبت دافيد: جوعان جدا، أتعرف مكان هادىء يقدم أكلًا جيدًا ونستطيع أن نتحدث فيه بهدوء.

قال دافيد: أعرف مكانًا جيدًا يقدم أجود أنواع شرائح اللحم المشوية ولكنه مكلف، يمكننا الذهاب إن كنتَ ستدفع الحساب.

ابتسمت ثم قلت: لا توجد مشكلة، سوف أدفع الحساب.

قادني دافيد إلى مطعم الاكليبتس، وطلبت من النادلة أن نجلس في مكان هادئ ومنعزل، كان المطعم شبه خاليا فلم يكن قد حان موعد وجبة العشاء بعد.

طلبنا بعض مقبلات الطعام، طلب دافيد النبيذ الكوشر وطلبت عصير البرتقال؛ نظرت إلى دافيد ثم قلت له: أنا لم آتي هنا لحضور المؤتمر فقط.

ابتسم وقال: لقد كان من الواضح أن زيارة أورشليم على قائمة أولوياتك في هذه الزيارة.

غمرني إحساس بالسعادة أنه لم يلحظ عليّ أي توتر خلال اليومين الماضين، فهذا يعني أنني استطعت إخفاء مشاعر التوتر التي تنتابني منذ أن وصلت إسرائيل.

سكت لمدة نصف دقيقة ثم قلت لدافيد: المخابرات المصرية طلبت مني المجيء إلى إسرائيل، لأنهم يريدون أحد أجهزة التشفير عالية السرية والتي تستخدم في حدود ضيقة في مجالات الاستخبارات.

تملكت دافيد نظرة ملؤها الرعب وعدم التصديق: لا بد وأنك تمزح، ما دخلك أنت بالمخابرات المصرية؟

أجبتُ دافيد في هدوء محاولا أن أُخفف من توتره: في العام الماضي قد استقبلت دعوة لحضور أحد المؤتمرات العلمية بشأن التشفير في إسرائيل، وكان مؤتمرًا مهمًا ولكني رفضت الحضور بسبب ما قد يسببه ذلك من مشاكل لي في مصر، وأنا لا أرغب في إثارة أي مشاكل مع الحكومة المصرية.

ظل دافيد صامتا، منتبها إلى كلامي، منتظرا المزيد؛ استطردت قائلا: عندما ذهبت إلى زيارة أهلي في مصر في هذا العام وكعادتي قضيت بعد الأيام في القاهرة لمقابلة أصدقائي والأهل ممن انتقلوا إلى العمل في القاهرة منذ زمن واستقروا بها، وفي أحد الأيام التقيت بابن عمتي عصام وهو مقدم في المخابرات الحربية المصرية، تحدثنا في أمور كثيرة ثم سألته «ماذا يمكن أن يحدث إذا زرت إسرائيل لحضور مؤتمر علمي؟»

أجابني عصام بعد وهلة من التفكير «إن كانت خططك المستقبلية الاستقرار في مصر في يوم من الأيام، فهذه السفرية لن تساعدك لأن اسمك سوف يكون مسجلا لدى المخابرات العامة، وسوف يكون من الصعب عليك أن تتقلد أي من المناصب القيادية أو الهامة، أما إذا قررت أن تستقر في أمريكا وتأتي إلى مصر فقط في زيارات قصيرة فلن يكون له أي تأثير عليك.»

كان دافيد ما زال منصتا ومنتبهًا لما أقول ولم يقاطعنِ؛ استطردت قائلا: شعرت بالراحة من إجابة عصام رغم أنني لم أحدد بعد ما هي خططي للاستقرار على المدى الطويل ولكنني لا أطمح في أي مركز قيادي في مصر، فهذه المراكز صعبة المنال.

لم أكن أعلم أن سؤالى البسيط هذا سوف يفتح عليّ أبواب جهنم، زارني في الشتاء التالى لزيارتي لمصر أحد عملاء المخابرات المصرية في منزلي في واشنطن، وطلب مني قبول أي طلب لزيارة إسرائيل في الشهور القادمة، وعندما أخبرته أني أرفض هذه الزيارات لتجنب المشاكل مع السلطات المصرية كانت إجابته أن مصر

تحتاج لمساعدتي في الحصول على أجهزة التشفير عالية السرية والتي تَصنع هنا في إسرائيل.

سكت قليلا ثم وجهت كلامي لدافيد: أرجو أن تكون قد فهمتَ الآن لماذا اختاروني أنا.

أجاب دافيد: ولكن كيف عرفوا بطبيعة عملك؟ ألم يدركوا أنه ليس لك أي تعامل مع هذه الأجهزة الدقيقة وأنك تعمل فقط كاستشاري؟

لم ينتظر دافيد حتى أجيب على السؤال ولكنه استطرد قائلا: انتظر دقيقة؛ لا تقل لي إنهم طلبوا منك تجنيدي ليحصلوا على هذه المعلومات!

آلمني قليلا ما قاله دافيد وكأنه يُقر بأنني عديم الفائدة، ولكنني لم أكترث كثيرًا فأنا أعلم جيدًا كم هو مغرور، أجبته ببعض العصبية: دافيد أنا لا أريد أن يكون لي أي صلة بهذا الموضوع، فأنا لا أريد التضحية بكل ما حققته في الشركة من نجاح ومنصب ذو دخل متميز واستقرار أسري، لأجد نفسي متورطًا في مهمة تجسس قد تنتهي بي مقتولا في أحد الأزقة.

أحسست من نظرة دافيد أنه لا يعرف كيف يتصرف مع هذه المفاجاة؛ قال لي وفي صوته نبرة من الشك والحيرة: ولماذا اخترتني أنا لتخبرني بهذه القصة؟ وماذا تتوقع مني أن أفعل؟ فأنا مجرد باحث في تطوير برامج الكمبيوتر ولا علاقة لي بأي من أجهزة الأمن والمخابرات.

انتظرت قليلا ثم نظرت إليه وكان وجهي ظاهرا عليه الاضطراب، كنت أحاول أن أرتب أفكاري لأتمكن من كسب ثقته: إنك الإسرائيلي الوحيد الذي أعرفه منذ زمن، أكثر من سنتين، ولقد عملنا معًا خلال هاتين السنتين في العديد من المشاريع ولقد تمكنا من النجاح معًا ولم نُلقِ بالا للاختلافات التي بيننا في الأصل والديانة أو أي من الاختلافات السياسية الأخرى، سكت قليلا ثم أكملت قائلا: إنني لم أكن أريد أن يكون لي أي علاقة بأجهزة الاستخبارات، إنني أقرأ التاريخ جيدًا وأعرف أن الموساد الإسرائيلي يتعمد تصفية كل من يشكل خطرًا على إسرائيل لكي يكون هذا عنصر ردع لمن تسول له نفسه، إنني لجأت إليك لأسألك النصيحة، فلو كنت أعمل مع المخابرات المصرية لكنت حاولت أن أستغل معرفتي بك لمحاولة الحصول على أحد أجهزة التشفير، ولكن هذا مثير للشك، وبعد تفكير عميق قررت أن مساعدة أجهزة المخابرات المصرية سوف يترتب عليه فقدان كل شيء بما فيه حياتي، إنني حقيقة لا أدري ماذا أفعل.

جاءت نادلة المطعم بأطباق المقبلات ورصتها بهدوء، ثم أحضرت كأس النبيذ إلى دافيد وعصير البرتقال الذي طلبته، نظرت إلينا بابتسامة وقالت: هل حددتم ماذا ترغبون لأطباق العشاء الرئيسة؟

لم نجد أنا ودافيد الوقت للنظر إلى قائمة الأطباق الرئيسية وكنت أعلم أنه لن يستطيع أي منا التركيز في اختيار الطعام ؛ أجبت الفتاة بطريقة تلقائية: صراحة لم نجد

الوقت الكافي للنظر إلى قائمة الطعام ولكني أثق في اقتراحات الشيف، ما هو الطبق المفضل لدى الشيف؟

قالت: إذا كنت تحب الأسماك فيوجد لدينا سمك السبريم المشوي مع الخضراوات المشوية والأرز، أما إن كنت تحب قطع اللحم المشوية، الشيف يُرشح قطعة الفيليه منيون مع البطاطس المهروسة والاسبرجس المشوي.

قلت لها: سآخذ طبق السمك المشوي.

نظرت إلى دافيد والذي كان ما زال يفكر في ما قلته له منذ لحظات، كنت أدرك حُبه للحم فنظرت إلى النادلة وقلت لها: صديقي سيأخذ طبق اللحم المشوي.

نظرت إلى دافيد فأطرق رأسه موافقا على الاختيار، أسرعت الفتاة بأخذ قوائم الطعام وتركتنا لتكملة حديثنا.

كانت نبرات الشك ما زالت في صوت دافيد عندما قال: ألم يعرض عليك جهاز المخابرات المصرية أي إغراءات لقبول المهمة؟ ألم يحاولوا تدريبك على أدائها؟!

أجبت دافيد في ثقة: أنا لا أدري مدى معرفتك بأجهزة المخابرات المصرية ولكن ما أعرفه عنهم أنهم لا يضعون أمامك الكثير من الاختيارات. فقد أخذ عميل المخابرات يسرد لي كيف أن هذه العملية سوف تأتي على مصر باستفادة عظيمة، حيث أن هناك البعض من الرسائل المشفرة والتي تخرج من داخل مصر إلى أماكن متعددة في الخارج لا تستطيع أجهزة المخابرات فك شفرتها، وهم لديهم الشك في أن بعض هذه الرسائل تستخدم في تنظيم الأعمال الإرهابية والتخريبية في مصر، وأنني كمصرى أمامي فرصة عظيمة لخدمة بلدي عن طريق الحصول على هذا الجهاز، ولقد حاولوا بالطبع إغرائي ببعض المحفزات، كمساعدة بعض من أفراد أسرتي في الحصول على وظائف مجدية وتسهيل الحصول على عقارات في أماكن مميزة في البلد والحماية التامة ما دُمت ملتزمًا بالتعليمات.

سألني دافيد: وما هي التعليمات والخطة التي طلبوا منك تنفيذها للحصول على جهاز التشفير؟

أجبته قائلا: لقد طلبوا مني أن أستغل انعقاد المؤتمر في إسرائيل لبناء علاقات قوية مع مطوري أجهزة التشفير ولقد أعطوني بعض الأسماء مثل نيكولا بنيامين وجولان أراااد ولم أكن قد سمعت بهذه الأسماء من قبل.

عقد دافيد حاجبيه وقال: كيف عرفوا هذه الاسماء؟

أجبت دافيد: عندما سألتهم قالوا إنهم لا يستطيعون الإجابة عن هذا السؤال، ولكن لهم مصادرهم والتي أكدت أن هذين الشخصين هما المسؤولان عن تطوير وإنتاج أجهزة التشفير عالية السرية في إسرائيل.

- ثم ماذا يحدث بعد توطيد العلاقة معهما؟

- الخطوة التالية هي أن أسألهما أسئلة عامة عن بعض أنواع أجهزة التشفير الأقل حداثة من النوع الذي لم تتمكن أجهزة المخابرات المصرية من الحصول عليه ومعرفة إذا كان يمكن لأحدهم مساعدتي لتوفير البعض منها لبيعها لحسابي الخاص وفي المقابل أعطيه عمولة مجزية.

- ماذا أن رفضوا؟

- لقد دربني عميل المخابرات المصرية على مجموعة من الأسئلة وكيفية إدارة الحديث معهما، وعن طريق الإجابات التي سوف أحصل عليها منهما أستطيع أن أستشف إن كان عرضي سوف يجعل أحدهما يقبل التعاون معي وإمدادي بالجهاز، قد يكون في حاجة مادية للمال أو لا يمانع من كسب المزيد من المال بجانب مرتبه الأساسي من الشركة، وعندما أتيقن أن واحدًا منهم قد بلع الطعم يجب أن أركز على هذا الشخص فقط، فكما قالوا لي لا يمكن العمل مع الاثنين معًا.

نظر إليّ دافيد ولقد أحس بجدية ما أقوله عندما سمع الخطة التي رسمتها المخابرات المصرية: يا الهي، لقد أوقعت نفسك في ورطة كبري يا حازم وأنت الآن تورطني معك.

أجبت دافيد: إني آسف ولكن لم يكن أمامي أي خيار آخر غير أن أنفذ ما طلبوه مني، وإن كنت خائفًا من عواقب معرفتك بهذه المهمة، فإني لن أبوح لأي أحد بمعرفتك بها، وكأن هذا الحديث لم يحدث.

قال وفي صوته نبرة غضب: لا يجدي هذا الكلام مع هذه الأجهزة يا حازم، تحت وطأة التعذيب سوف تقر بكل شيء، لقد أصبحت متورطا معك بالفعل.

جاء الطعام ولم نكن قد أكلنا أي شيء من مقبلات الطعام حتى هذه اللحظة، وضعت النادلة الأطباق الرئيسية أمامنا ثم ذهبت وبدأنا أنا ودافيد في الأكل بهدوء فلم يكن هناك المزيد من الكلام يقال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القاهرة - بداية الحكاية

أغسطس - ٢٠١٨

لقد تعودت عند زيارتي لمصر أن أقضي بضعة أيام في القاهرة، فمنذ صغري وأنا أعشق هذه المدينة الكبيرة المليئة بالأماكن المثيرة. على عكس سكان القاهرة الذين عادة ما يهربون من حرارة الجو والزحام إلى الإسكندرية والساحل الشمالي، أُصر على قضاء بعض الوقت في القاهرة في الصيف. فهي فرصة لبناتي أن يشاهدوا تاريخ بلدهم العريق من الأهرامات وقلعة صلاح الدين والمتحف المصري وغيرهم من الأماكن الأثرية في القاهرة، في إحدى المرات أخذتهم إلى خان الخليلي وشارع المعز ومنطقة وسط البلد فهذه المناطق تربطني بكثير من الذكريات في مرحلتي الثانوية والجامعة، حيث كنت أحرص على الاشتراك في رحلات القاهرة كل عام، فهي تملأ روحك وعقلك بعبق التاريخ، فنون العمارة الفرعونية والقبطية والإسلامية أكبر دليل على تقدم الدولة المصرية في عصور مختلفة في كافة المجالات. فأول مستشفى تخصصي للعيون في العالم هي مستشفى الناصر قلاوون في وسط شارع المعز ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر، والمتحف المصري بالتحرير المليء باختراعات وابتكارات الدولة الفرعونية في العصور المختلفة والتي يعود أكثرها حداثة إلى أكثر من ألفي عام مضت. زيارتي لهذه الأماكن تبعث فيّ التفاؤل مرة أخرى، فلقد مرت مصر بمراحل كثيرة من الصعود والهبوط ولكن ما تركه لنا الأجداد من تراث يثبت أن تاريخنا مليء بصانعي التاريخ والحضارات.

لم تكن هذه الأماكن التاريخية تستهوي نادية وسلمى وفرح كثيرًا، فهم لا يُقدرون القِدم وينجذبون إلى كل ما هو حديث، كان أكثر ما يستهويهم في القاهرة هو مكان التزلج العملاق في مول مصر، ورخص أسعار التزلج هناك مقارنة بأمريكا، يحبون السهر والتمتع بخدمات الفنادق ذات الخمس نجوم بما فيها من العروض الترفيهية وحمامات السباحة العملاقة، كنت أحاول أن أستدرجهم للمجيء معي لمشاهدة الأماكن الأثرية في القاهرة ولكن دائمًا ما كانت حجتهم أن الطقس شديد الحرارة وأنهم يفضلون قضاء النهار في حمام السباحة بالفندق أو التزلج وقضاء الليل في الشوبنج والمولات والسهر في الكافيهات إلى أوقات متأخرة وكالعادة أفعل ما يريدون لكي يكونوا سعداء.

في أحد أيام شهر أغسطس الحارة اتفقت مع ابن عمتي عصام على الالتقاء، فقد مرت أكثر من سنتين منذ أن التقينا آخر مرة، اتفقنا على الالتقاء في مول كايرو فستيفال سيتي حيث نتناول العشاء في المحل اللبناني المشهور عنب والذي يقع الجزء الخارجي منه على النافورة الراقصة مباشرة.

كعادة معظم المصريين وصل عصام وزوجته ريم وابنه علي وابنته إيمان متأخرين ساعة عن الميعاد الذي حددناه، وقد كنا شغلنا أنفسنا بأخذ الصور بجانب النافورة الراقصة والاستعراضات التي تتم حولها، كان الطقس مقبولا فلم يكن الحر شديدا

بما يلائم شهر أغسطس، كانت تهب علينا نسمات صيفية رقيقة ساعد اتساع المكان على انتشارها.

كان الطعام متميزًا خاصة لي ونادية حيث نفتقد هذه النوعية من الطعام فطلبنا الكثير من المقبلات، فتوش، سودة، سجق بدبس الرمان وكانت المشاوي هي المسيطرة على الأطباق الرئيسية، دارت أحاديث كثيرة عن مدارس الأولاد، ومقارنة الحياة في الغربة بالحياة في مصر، بعد انتهاء العشاء أخذت ريم زوجة عصام نادية والأولاد للتمشية في المول، طلب عصام شيشة العنب والقهوة التركي وطلبت أنا الشاي بالنعناع.

نظر إليّ عصام ضاحكًا وقال: ما دام الستات خرجوا يتمشوا في المول تبقى اطمئن لن يرجعوا حتى يغلق المول أبوابه عند منتصف الليل.

أجبته ضاحكًا: لا أصدق أن سلمى وفرح سيصمدان كل هذا الوقت في التسوق، فهما يتسوقان اون لاين لكرههم لتضييع الوقت في التمشية في المولات.

- ولكنهم سوف يرون هنا أشياء لا يرونها في مولات أمريكا ..المشغولات اليدوية والزجاج والتقاليع المصرية التي لا تنتهي.

- يا ريت يبقى الواحد يعرف يكلم معاك شوية ويكون لديهم الفرصة للاختلاط بأقاربهم، صحيح يا عصام أنا كنت عايز آخذ رأيك في حاجة.

- اؤمر يا حازم أنت أخويا الصغير.

يكبرني عصام بسنتين ولكنه كان صديقي المقرب خلال فترتي الطفولة والمراهقة، كان منزل عمتي يبعد محطة ترام واحدة من منزلنا وكان لدينا الكثير من الصداقات المشتركة، وتشهد شوارع الإسكندرية على مغامراتنا الرعناء من خناقات مع أولاد الأحياء المجاورة أو التلصص على بنات الجيران، كان عصام لعبي، ولم يكن يعبأ بالمذاكرة حتى قبل وقت الامتحان بأسبوع، ولهذا حصل على مجموع ضعيف في الثانوية العامة ولكنه كان ذكي ومشهور في الشارع بأنه جريء وفهلوي، دخل عصام الكلية الحربية وكانت مناسبة له، فقد تمكن عصام من إفراغ طاقته في تدريبات الكلية المختلفة وخاصة تدريبات الصاعقة، بعد تخرجه تخصص في سلاح المركبات لعدة سنوات ثم انتقل إلى المخابرات الحربية بناء على توصيات من مرؤوسيه.

- أنا في موضوع يؤرقني في الشغل وعايز آخذ نصيحتك.

ضحك عصام ثم قال: هو أنا فتِك وأفتي في كل حاجة، ولكن كيف يمكنني أن أنصحك في شيء يخص عملك؟

لم أضحك على تعليقه فقد كنت مترددًا كيف أفتح معه الموضوع، لاحظ عليّ عصام القلق

- خير يا حازم، فيه إيه؟

- من حوالى أربعة أشهر كان هناك مؤتمر مهم في مجال أمن البرامج والتشفير، هذا المؤتمر بمثابة ملتقى لكبرى الشركات والعلماء المشتغلين بهذا المجال ويعتبر فرصة ذهبية للاطلاع على أحدث الأبحاث والمنتجات في مجال التشفير.

سكتُّ للحظات، كان عصام في أشد درجات الانتباه لما أقول ولم يقاطعنِ، أكملت كلامي: طلب مني مديري في الشركة التي أعمل بها الذهاب لهذا المؤتمر وكنت سعيدًا لاختياره لي، لكنه عندما أطلعني على مكان انعقاد المؤتمر فما كان مني إلا أن اعتذرت وأبلغته عدم قدرتي على الذهاب.

هنا تكلم عصام: لماذا؟ أين كان مكان المؤتمر؟

- إسرائيل.

سكت عصام للحظات ثم سألني: لماذا رفضت؟ فيمكنك الدخول إلى إسرائيل بجواز سفرك الأمريكي.

- صراحةً، أنا لا أريد أي مشاكل مع النظام في مصر، فإني أزور مصر بشكل متكرر وأخاف أن تضعني هذه الزيارة على القائمة السوداء.

- ولماذا تهتم؟ فما زال يمكنك الدخول إلى مصر بجواز سفرك الأمريكي في أي وقت ولن تتعرض للمضايقات، العلاقات المصرية الأمريكية علاقات إستراتيجية ومهمة لمصر، بجانب هذا فإنه يوجد اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل.

- أهتم لأنني ما زلت أحلم بالاستقرار في مصر في يوم من الأيام.

- كيف ؟ وأنت لديك وظيفة مميزة في أمريكا، وبنتين هما أمريكيتين أكثر من كونهم مصريتين، وأصدقاء وحياة اجتماعية استثمرت فيهم من عمرك عقدين من الزمن.

- لا أعرف يا عصام، هناك دائما شيء يربطني بمصر ولديّ إحساس أني سوف أعود مرة أخرى.

- إن كنت تريد نصيحتي، إذا كنت كما تقول مازلت تفكر في العودة في مصر وأن تستقر وتبحث عن عمل، فلا يُفضل أن تذهب إلى إسرائيل لأن ذلك قد يثير العديد من علامات الاستفهام عنك في مصر، وخاصة أن أصبح لك خصومًا في عملك أو عملت لدي أحد الجهات السيادية فسوف تمثل هذه السفرية عائقا لك، أما أن قررت الاستقرار في أمريكا فلك كامل الحرية في الذهاب الى إسرائيل.

- لا يوجد رجال أعمال مصريين ذهبوا إلى إسرائيل لإتمام صفقات تجارية ؟

- يوجد رجال أعمال مصريين يتعاملون مع إسرائيل، ويوجد كذلك رجال أعمال إسرائيليين يأتون إلى مصر من الوقت إلى الآخر، ولكن كل ذلك يتم بمعرفة الأجهزة الأمنية من كلا الطرفين والدليل أنك إذا قررت زيارة إسرائيل كمصرى وليس أمريكي الجنسية ستمر بسلسلة إجراءات مختلفة تمامًا، فلا بُد لك من الحصول على فيزا وموافقة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ليسمح لك بالدخول.

أحسست من كلام عصام أنني اتخذت القرار الصائب بعدم الذهاب، فآخر ما أرغب فيه أن يصبح لي سجل لدى أجهزة الأمن والمخابرات في أي مكان في العالم.

سألني عصام: هل يمكنك أن تشرح لي ببعض التفصيل طبيعة عملك في مجال البرمجيات؟ فعالم السوفت وير والبرمجة من أحد هواياتي الشخصية المفضلة.

أخذت أروى لعصام بعض التفاصيل عن عملي في مجال التشفير، وكيف أساعد عملائي من الشركات الكبرى في الولايات المتحدة باختيار نظام التشفير الأكثر أمانًا والمحافظة على معلومات وأسرار هذه الشركات في سرية تامة، مر الوقت سريعًا وإذا بنادية وريم والأولاد أمامنا وهم حاملين أكياس التسوق المختلفة، كانت الساعة قد قاربت على منتصف الليل، ضحك عصام وقال لي: ألم أقل لك؟

افترقت العائلتين واتجهت أنا وعائلتي إلى فندق الجي دبليو ماريوت حيث نقيم، سعدت بلقاء عصام وأسرته وتحدثنا في الكثير من المواضيع المشتركة والتي قلما تتحدث عنها وأنت بعيد عن مصر، لم أكن أتخيل أن هذه المقابلة سوف تغير مسار حياتي ١٨٠ درجة، فكيف لي أن أدرك أن هذه المقابلة مع عصام سوف تقحمني في عالم المخابرات والجواسيس!

•

في اليوم التالي وفي مبني المخابرات المصرية كان عصام جلسًا في مكتب العقيد حسام الدين المنشاوي بعد أن طلب مقابلته لأمر مهم.

بدأ عصام الحديث: فاكر يا فندم الاجتماع الذي كنت ترؤسه الأسبوع الماضي والذي كنا نناقش فيه كيف فشلت صفقة الأسلحة الصينية والتي كانت تدار بسرية تامة بعد تسرب الخبر إلى جهات أجنبية أحالت دون إتمام الصفقة.

أجابه العقيد حسام: نعم، ليست هذه الصفقة وحدها، ولكن اتفاقيات أخرى للتصنيع المشترك للأسلحة مع الهند والمجر كلها فشلت بسبب تسرب الأخبار في مراحل مبكرة قبل إتمام الاتفاقيات وسعي الدول الأخرى المصنعة لأسلحة مماثلة أو التي لا ترغب أن تمتلك مصر مثل هذه الأنواع من الأسلحة المتطورة إلى إفشال الاتفاقيات قبل إبرامها.

أضاف عصام: ومع البحث المكثف تمكنّا من اعتراض بعض الرسائل المشفرة المرسلة عن طريق الإنترنت من داخل مصر إلى جهات خارجية، ولكن وسيلة التشفير لم تكن بأي من الطرق التي نستطيع التعامل معها وفك شفرتها، ولكن خبير الشفرات استطاع تحديد الشركة المصنعة لجهاز التشفير المستخدم عن طريق تحليل التكنولوجيا المستخدمة في التشفير ومقارنتها مع طرق التشفير التي تستخدمها الشركات المصنعة لأجهزة مماثلة.

أجاب حسام: هذا صحيح وبعد التحريات تأكدنا أن الشركة المصنعة لهذه التكنولوجيا المتقدمة هي شركة ASR الأمريكية ولكن مركز الأبحاث القائم على

إنتاج أجهزة التشفير عالية التعقيد يوجد في إسرائيل، ويتم إنتاج كمية محدودة للغاية من هذا النوع، ويتم بيعها لدول معينة وبسرية شديدة خوفًا من أن تقع أسرار هذه التكنولوجيا في أيدي دول غير صديقة، وحتى نستطيع أن نحصل على واحد من هذه الأجهزة فلن نعرف من المتورط في تسريب هذه المعلومات داخل مصر ولا الجهات المستفيدة من هذه المعلومات.

ساد الصمت لعدة دقائق ثم قال عصام: أعتقد أن لديّ طريقة للحصول على جهاز تشفير من مركز الأبحاث في إسرائيل، ثم بدأ عصام في سرد الحديث الذي دار بينه وبين حازم خلال لقائهم ليلة الأمس.

نظر العقيد حسام إلى عصام وهو يروي ما حدث مع حازم باهتمام شديد، بعد ما انتهي عصام سأله العقيد حسام: ما الذي يجعلك تعتقد أن حازم سوف يرغب في مساعدتنا؟

أجابه عصام: حازم ما زال مرتبطًا بمصر، طوال الحديث معه ليلة أمس لم يكف عن ذكر كيف أنه يريد لابنتيه أن تتعرفا على عادات وتقاليد بلادهم، وأن هذا لن يتم إلا عن طريق الاستقرار معهم في مصر لفترة من الزمن، وكيف أنه يفتقد تمضية المزيد من الوقت العائلي في مصر مع والدته وأخوه، والمصاعب التي يواجهها من الحياة المادية وضغوطات الشغل في أمريكا.

- و لكنه صبر على كل هذه المصاعب لمدة عشرين عامًا، لماذا يهتم الآن بتقديم المساعدة لمصر وتعريض نفسه للخطر؟

- لأن طوال العشرين عام الماضية لم تأتيه الفرصة كهذه، أنه بحكم منصبه الآن وإمكانية سفره إلى إسرائيل يمكنه أن يضع يده على معلومات قد تساعدنا في الحصول على جهاز التشفير، ولكني أيضا أفهم سؤالك يا فندم وإجابتي عليه أن إحساسي يؤكد لي أن حازم لن يتأخر عن مساعدة بلده.

قام العقيد حسام من على كرسيه أذنًا بانتهاء المقابلة، وقال لعصام: شكرًا يا عصام على مشاركتي هذه المعلومات، أريد أن أقضي بعض الوقت في التفكير في أخطار عملية مثل هذه وأكيد سأعود إليك إن احتجت أي معلومات عن حازم.

أدا عصام التحية العسكرية وخرج من مكتب العقيد حسام وهو على يقين بأن حسام سوف يقوم ببناء ملف كامل حول حازم الدمنهوري ودراسة شخصيته جيدًا قبل الموافقة على البدء في أي خطوات.

جلس العقيد حسام إلى مقعده ورفع سماعة التليفون وتحدث إلى الشخص على الطرف الآخر: أنا عايز ملف كامل عن حازم إسماعيل الدمنهوري من أول مراحل دراسته في ثانوي والجامعة حتى الآن، وكل المحيطين والمقربين منه، نشاطاتهم السياسية، الدينية وأي علامات حمراء بخصوصهم.

وضع العقيد حسام السماعة وقال لنفسه بصوت عالي: لو حازم ده طلع فعلا الشخص المناسب للحصول على جهاز التشفير، يبقى أخيرًا هنعرف مين اللي بيسرب المعلومات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخطة

خريف ٢٠١٨

كان شهر سبتمبر قد أوشك على الانتهاء، وقد انكسرت حرارة الجو في القاهرة إلى أوائل الثلاثينات ولكن العقيد حسام يأبى أن تكون درجة حرارة مكتبه أعلى من ١٨ درجة مئوية. كان العقيد حسام جالسًا على مكتبه وأمامه المقدم أحمد عفيفي من المخابرات العامة، يربط الاثنين علاقة وثيقة منذ عدة سنوات عندما عَمِلا معًا في عملية «أبابيل» والتي اشتركت فيها المخابرات الحربية والمخابرات العامة في تقصي المجموعة الإرهابية التي هاجمت كمين الواحات وفرت إلى ليبيا. كانت عملية ناجحة إلى أبعد الحدود فقد تمكن حسام وأحمد عن طريق التنسيق بين الجهازين من القبض على المخطط الرئيسي للعملية وتمكن جهاز المخابرات من استخلاص معلومات غاية في الأهمية ساعدتهم على إحباط عمليات أخرى كانت على وشك التنفيذ، كان أحمد عفيفي ما زال رائدًا في ذلك الوقت وكان هو العنصر الخامل المزروع من قبل المخابرات المصرية داخل خلية المتطرفين في ليبيا، تمكن أحمد من تزويد حسام بمعلومات هامة عن أعضاء الخلية وأماكن تواجدهم والوقت المناسب لشن الهجوم للقبض على عناصر الخلية الأشد خطورة. قام حسام بالهجوم في الوقت المحدد عن طريق إسقاط فرقة صاعقة مصرية بواسطة المروحيات في المكان الذي حدده أحمد ونجح في القبض على عناصر التنظيم الإرهابي بدون حدوث أي إصابات في القوات المصرية. بعد نجاح المهمة تمت ترقية كلا منهما إلى الرتبة التالية ومنحهم وسام البطولة للقوات المسلحة المصرية.

توجه حسام إلى أحمد بالسؤال: هل قرأت ملف حازم الدمنهوري الذي أرسلته لك الأسبوع الماضي؟

أجابه أحمد: نعم، قرأته.

- وما رأيك؟ هل تعتقد أنه الشخص المناسب للمهمة؟

- التحريات التي قمنا بها لا تُظهر عليه أي شُبهات، لا علاقة له بأي منظمات متطرفة، لا يوجد له أي نشاط سياسي ملحوظ أو سلوكيات مشينة. فهو إنسان عادي، من أسرة متوسطة، متفوق في دراسته، تمكن عن طريق الاجتهاد في عمله أن يحصل على وظيفة مهمة في واحدة من أكبر الشركات الأمريكية في مجال التشفير. وحسب تقرير مكتبنا في السفارة لا يوجد عليه أي ديون غير دين المنزل والذي يسدده بانتظام، لا توجد له أي علاقات نسائية خارج نطاق الأسرة.

- هل تعتقد أنها قد تكون محاولة من الإسرائيليين لزرع عميل لهم؟ لقد عاش ما يقرب من العشرين عامًا في الولايات المتحدة ويعمل في شركة لها مركز أبحاث في إسرائيل.

- وارد، ولهذا أريد أن أقابله وأن أتكلم معه، أيضا سوف يساعدني الحديث معه التأكد من أنه الشخص المناسب للمهمة أم لا.

- كم من الوقت تريد لتحضير خطة متكاملة لتجنيد وتدريب حازم لإتمام المهمة إذا اتضح أنه الشخص المناسب؟

- يلزمني أسبوعين لاختيار فريق العمل، وتحضير المهام التي يتطلب تنفيذها لإتمام العملية، عندها سأكون مستعدًا لعرض الخطة عليك وعلى اللواء ناصر رئيس المخابرات.

- أحمد هذه الخطة لا بُد وأن تكون في غاية السرية، أنت تعلم أهمية هذه العملية، فلن نتمكن من معرفة كيفية تسرب المعلومات الخاصة بصفقات الأسلحة إلا عن طريق فك شفرة الرسائل المبعوثة من داخل مصر وتحديد مصدرها والذي غالبا ما سيكون شخص من الداخل وله القدرة على معرفة مثل هذه المعلومات السرية.

- لا تقلق يا فندم، سأنتقي فريق العمل جيدًا، فهم ممن عملت معهم سابقًا ولا شك في ولائهم للدولة المصرية.

- تمام، سأحدد اجتماعًا مع اللواء ناصر كمان أسبوعين لنطلع على خطتك.

قام العقيد حسام ومد يده إلى أحمد وقال: ربنا معاك.

أجاب أحمد بعد أداء التحية العسكرية: تمام يا فندم.

أحمد عفيفي معروف ممن حوله من الأهل والأصدقاء وزملائه في جهاز المخابرات أنه كالصندوق الأسود، يصعب فتحه أو معرفة ما بداخله ولكنه يحتوي على كثير من الأسرار. فمنذ تخرجه من الكلية الحربية والتحاقه بقوات الصاعقة وقد أسندت له مهام في غاية الخطورة والتعقيد. شاهد الموت بعينيه أكثر من مرة ويمتلئ جسده بالجروح الغائرة وآثار الطلقات التي لم تصبه بمقتل. قرر منذ تخرجه أن مع عمله هذا لا يصلح له الزواج، فهو معرض للقتل في أي لحظة ومعظم الوقت يكون مسافرًا في مهمة تحت غطاء، ولا يمكن أن يفضح شخصيته الحقيقية. عرف أنه إذا دخل في أي علاقة طويلة سوف تنتهي حتما بالفشل، ولهذا كانت أي علاقة نسائية له تستمر بضعة ليالى ولا تتعدى الأسبوع.

كانت وظيفته بجهاز المخابرات تمده بالإثارة والمتعة التي تغنيه عن الحاجة إلى الزواج والأسرة، فهو يعلم أن ولاءه الوحيد هو لجهاز المخابرات. نجاحاته في مهماته المتتالية ساعدته على كسب ثقة رؤسائه وأعطاه الكثير من الصلاحيات. فهو يستطيع الاتصال بأي سفارة مصرية وطلب معلومات مفصلة عن شخصيات أجنبية أو مصرية في هذه البلد، له فريق عمل من أكفأ الضباط في جهاز المخابرات يعملون تحت قيادته لتنفيذ المهام الحرجة. حاصل على الحزام الأسود في رياضة الجودو والتي يستمتع بممارستها عندما يحصل على إجازة ويهوى القراءة والاستماع إلى الموسيقى خاصة على متن الطائرات في رحلاته الطويلة.

حضر أحمد العديد من الدورات التدريبية ودرس الكثير من المعلومات عن المهن المختلفة، ففي مهماته المتعددة قد يتقمص أحمد دور دكتور أسنان أو صيدلي أو مهندس كمبيوتر حسب نوع المهمة التي يتطلب القيام بها مما يسهل عملية زرعه في الأماكن التي يتطلب جمع المعلومات منها. أحمد يستغل أيضًا معرفته بهذه المهن

في الإيقاع بالسيدات في علاقاته الغرامية العابرة، فمن وقت إلى آخر يتواجد أحمد في بارات فنادق الخمس نجوم في القاهرة، والتي يختار فريسته منها بعناية فهو يُفضل غير المصريات فهنّ أيضا يبحثن عن علاقة عابرة خلال زيارتهم لمصر من أجل الإثارة والمتعة وتنتهي هذه العلاقة عادة مع خروجهم من مصر.

لم يكن أحمد عفيفي بالشخص الاجتماعي فهو حد الطباع، جاف في تعاملاته مع الآخرين، أصبح سلوكه الجاف هو وسيلته لصد الفضوليين عن حياته الخاصة، حتى في عمله كان من المعروف أنه من الأفضل أن تظل بعيدًا عنه قدر الإمكان؛ فالعمل معه يولد ضغطًا عصبيًا شديدًا وهو لا يقبل الفشل، إن وكلت له مهمة فهو لا ينام حتى يدرس أدق التفاصيل ومراجعة كافة أنواع المخاطر التي قد تواجه المهمة وكيفية التعامل معها.

توجه أحمد إلى منزله في شارع التسعين في التجمع الخامس، فهو يسكن في بناية تتكون من أربعة طوابق يسكن هو في الطابق الرابع، فهو لا يفضل أن يسكن أحد فوقه من أجل الخصوصية. تمكن من شراء هذه الشقة الغالية في هذا المكان في القاهرة وفرشها بفرش مودرن مكلف بفضل المكافآت المالية التي كان يحصل عليها من جهاز المخابرات بعد عملياته الناجحة وأيضا لم يكن عنده أي من المسؤوليات الأسرية والتي قد تستنفذ أمواله باستمرار.

أحضر أحمد جهاز الكمبيوتر الشخصي وجلس على منضدة الطعام وكان الليل قد حل، يستطيع رؤية أنوار البنايات الأخرى من البلكون أمامه، كانت هذه البنايات على بعد كافي مما يتيح له العمل بخصوصية وبدون إزعاج. أدخل كلمة السر الخاصة به للولوج إلى قاعدة البيانات الخاصة بجهاز المخابرات وبحث عن ملف حازم الدمنهوري، قال لنفسه: يا ترى ما قصتك يا دكتور حازم؟

أخذ يُراجع المعلومات الخاصة بحازم مرة أخرى، ثم استخرج ملفًا آخر عن شركة ASR وأخذ يقرأ المعلومات المتوافرة عن مركز الأبحاث في إسرائيل، فمنذ أن تمكن خبير التشفير في جهاز المخابرات المصرية من تحديد الشركة المطورة لنظام التشفير الذي يستخدم لتسريب المعلومات لجهات خارجية، وقد كلف العقيد حسام عملاء المخابرات الميدانين في إسرائيل بتجميع كافة المعلومات الممكنة عن العاملين في هذا المركز.

أخذ يستعرض ملفات العاملين في مركز الأبحاث الواحد تلو الآخر، توقف للحظات عند ملف نيكولا بنيامين فهو يهودي مهاجر من أوروبا الشرقية، من بُلغاريا تحديدًا. هاجر نيكولا إلى إسرائيل منذ خمس سنوات بعد انفصاله عن زوجته نينا في بُلغاريا، لم تكن زوجته يهودية مثله فهي لم تكن متدينة على الإطلاق، ولديه منها ابنة، سارا، كانت تبلغ من العمر ثلاثة أعوام عندما ترك نيكولا بُلغاريا. كان نيكولا مدمنًا على لعب القمار، خسر الكثير من الأموال جراء لعبه القمار، وكان من المعتاد أن تنشب بينه وبين زوجته نينا خلافات عنيفة تنتهي بأن يضربها ثم يترك البيت لعدة أيام ثم يأتي معتذرًا وطالبًا الصفح. في أحد هذه المرات أبلغت نينا البوليس والذي منع نيكولا من الاقتراب من المنزل، ورفعت نينا قضية طلاق

استطاعت بها أن تتحرر من نيكولا وإدمانه للقمار. بعد الطلاق وفقدانه حق رؤية ابنته إلا يومين فقط في الأسبوع مر نيكولا بفترة اكتئاب عنيفة، وأصبح لا يستطيع الاستغناء عن الأدوية المضادة للاكتئاب. في أحد الأيام رأى نيكولا إعلانًا على السوشيال ميديا يروج لهجرة اليهود لإسرائيل وبدء حياة جديدة حيث تلتزم الحكومة الإسرائيلية بتوفير المسكن والعمل المناسب للمهاجرين الجدد، كانت من الوظائف المطلوبة بكثرة مبرمجي الكمبيوتر. أراد نيكولا البدء من جديد ورأى في إسرائيل المكان المثالى لهذه البداية.

لم تكن البداية بهذه السهولة التي كان يعتقدها نيكولا، فعندما وصل نيكولا لإسرائيل لم يجد فرص العمل بانتظاره، كانت الأفضلية دائما لليهود الغربيين القادمين من غرب أوروبا والولايات المتحدة، أما اليهود القادمين من روسيا وشرق أوروبا فكان لا بُد لهم من إجراء معادلة حتى يتمكنوا من الحصول على وظائف قيمة. استمر في العمل في وظائف متواضعة لمدة عامين حتى يستطيع أن يتكفل بالمبلغ المطلوب لإجراء المعادلة وكان خلال هذين العامين يزور سارا مرة كل عام في بُلغاريا، تزوجت نينا من شخص آخر بعد طلاقهِما بعام وأصبحت سارا ابنته أكثر ارتباطا بزوج أمها من والدها الذي تراه مرة في العام. بعد عامين تمكن نيكولا من الحصول على المعادلة وتمكن من الحصول على وظيفة في مركز أبحاث لشركة ASR العالمية في إسرائيل. كانت هذه الوظيفة فرصة مثالية له للهروب من واقعه المرير، توقف نيكولا عن زيارة ابنته وأصبح يقضي معظم وقته في مركز الأبحاث لتطوير برامج التشفير واستطاع في فترة قصيرة أن يبني برامج تشفير معقدة حازت على الثناء من العاملين معه.

جولان آراد يبلغ من العمر خمسين عامًا، تم تسريحه من الجيش الإسرائيلي في الثمانينات بعد ضبطه متلبسًا ببيع أسلحة خفيفة لعناصر الجيش اللبناني. توجه إلى الولايات المتحدة واهتم بدراسة تكنولوجيا المعلومات وحصل على رسالة الماجستير والدكتوراه في تطوير برامج التشفير عالية التعقيد ونشر الكثير من الأبحاث وحصل على العديد من شهادات براءة الاختراع في هذا المجال، طلبت منه جامعة بن غوريون الإسرائيلية العمل معها في تطوير وتدريس تكنولوجيا التشفير تحت رعاية شركة ASR العالمية وأغرته بمرتب سنوي يتعدي ٤٠٠ ألف دولار أمريكي والذي لم يكن يحلم بالحصول عليه في أمريكا، قبل جولان الذهاب مرة أخرى إلى إسرائيل بالرغم من ذكريات تسريحه المؤلمة من الجيش ومعاناته بعدها ولكن المال كان اهتمام جولان الأول والأخير.

بدأ أحمد يفكر «لا بُد وأن يكون واحدًا من هذين الاثنين هو نقطة الضعف والتي سوف تمكنا من الحصول على جهاز التشفير»

قطع صوت رسالة قادمة إلى الهاتف حبل أفكار أحمد، نظر أحمد إلى الهاتف فوجد اسم "سوسو"، فتح الرسالة وقرأ محتواها «وينك حبيبي، اشتقتلك كتير بدي أشوفك قبل ما أرحل على لبنان غدا بكير، هستناك اليوم نسهر سوا، يلا باي حبيبي»

«سُهى» فتاة لبنانية في أول الثلاثينات تعمل كمغنية في إحدى الفنادق الكبري في القاهرة، وقَع معها الفندق عقد مغري وبموجبه تقضي أربعة أسابيع في القاهرة وأسبوعين في لبنان.

رآها أحمد في إحدى الليالى عندما كان سهرانًا في الملهى الليلي الخاص بالفندق ورآها تغني، كان صوتها مليئا بالطرب والأنوثة تضفي عليه اللهجة اللبنانية سحرًا خاصًا. كانت تلبس فستانًا قصيرًا، ضيق يبرز مفاتنها، توزع ابتسامتها على من حولها من رواد النادي الليلي الذين يتراقصون حول أنغام الأغنية وصوتها الخلاب، أخذت سُهى تتجول بين الرواد واقتربت من أحمد، رفع أحمد كأسه تحية لها وغمز لها بعينيه وعلى وجهه ابتسامة إعجاب، بادلته سُهى الابتسامة واستمرت في أداء فقرتها، عندها قرر أحمد أنّ سُهى سوف تكون مغامرته النسائية المقبلة. نادى أحمد على الوايتر وأظهر له ورقة بمائتي جنيه وقال له: سوف أعطيك مثلهم لو ذهبت للمغنية وأخبرتها أن هناك معجبًا يريد أن يُبدي إعجابه الشخصي ويدعوكِ على العشاء.

ابتسم الوايتر وأخذ المال وقال لأحمد: حاضر هبلغ الآنسة سُهى.

كانت هذه إشارة جيدة بأن سُهى ليست متزوجة مما يجعل مهمة أحمد أسهل بكثير، تمكن أحمد من السهر مع سُهى في هذه الليلة ولم تخيب هي ظنه، فهي كانت جديدة في القاهرة ولم تُكَوّن صداقات بعد، كانت منفتحة للتعرف على أصدقاء جدد وكان أحمد من النوع المفضل لديها من الرجال، فجسمه الرياضي الرشيق الغير مبالغ فيه، لباسه الأنيق، شعره الأسود الناعم والذقن الخفيفة التي تُضفي عليه طابع الرجولة الشرقي جعلها تنفتح معه في الكلام ولا تبالى بأي قيود. في هذه الليلة تكلما لساعات طويلة عن كل شيء الغناء والفن، العادات والتقاليد، الحب والجنس، أخبرها أحمد أنه مهندس معماري ناجح، ساهم في تصميم العديد من المدن السكانية الراقية في القاهرة والساحل الشمالى مع شركات كبرى من الإمارات والسعودية.

طلب منها أحمد أن تغني خصيصا له هو لوحده الليلة، وفي المقابل يأُخذها في جولة لتزور معالم القاهرة في اليوم التالي والتي لن يستطيع أحد أن يُريها هذه الأماكن مثله. كانت سُهى قد وقعت في شباكه بالفعل، ذهبت معه إلى منزله وقضى معا ليلة مليئة بالطرب، والحب والغرام.

رد أحمد على رسالة سُهى «وأنا كمان اشتقتلك أكتر، سأحضر لرؤيتك الليلة».

كان أحمد في حاجة إلى بعض من الطاقة الإيجابية للاستعداد لمهمته الصعبة القادمة. التقى أحمد بسُهى بعد أداء فقرتها في الملهى الليلي، جلسا معا على الطاولة وبدأت سهى بالحديث: شو وين اختفيت حبيبي؟ من بعد الويك إند اللي قضيناه سوا، ما سمعت عنك أي شيء، اشتقتلك كتير..

- وأنا كمان يا سُهى وحشتيني جداً، بعدما تركتك انشغلت بالتحضير لسفري لدبي مع رئيس مجلس الإدارة يوم الأحد القادم.

- شو! ما جابت لي سيرة عن هي السفرية؟

- أنا نفسي لم أكن أعرف بأمر هذه السفرية، هناك مجموعة مستثمرين إماراتيين عجبهم تصميماتي وطلبوا من رئيس مجلس الإدارة أن نزورهم لنوقع معهم عقد تطوير مشروع سكني كبير في الإمارات.

- لمتى راح تقعد في دبي؟

- حتى الآن أسبوعين ولكن هناك احتمال أطوّل أكتر من كدا.

- ما حتكون موجود لما أرجع من لبنان؟

- هما ال ٤ أسابيع لحقوا يخلصوا؟

- إيه، أنا كمان اشتقت كتير لأهلي وسمعت أن الماما بعافية شوي.

- ألف سلامة على الماما.

- تسلم حبيبي.

- طيب نحتفل مع بعض الليل قبل السفر؟

ضحكت سهى ضحكة تدل على الموافقة والرغبة في هذا الاحتفال: ولو، لا بد نحتفل الليلة أكيد.

ودع أحمد سُهى على باب منزله، طبع على خدها قبلة وابتسم لها قبل أن ترحل، فهو يعلم أنها آخر مرة سوف يقابلها. فهو لن يرد على مكالمتها مرة أخرى وحتى إذا حاولت أن تأتي للمنزل فهو على اتفاق مع البواب بعدم السماح لأي امرأة بالصعود من غير خبر مسبق منه. قد تتألم سُهى لبضعة أسابيع ولكنها سرعان ما ستنشغل بعملها ومعجبيها وستنسى أحمد مع مرور الأيام.

•

كان شهر أكتوبر قد أوشك على الانتصاف عندما اجتمع أحمد بالعقيد حسام واللواء ناصر في غرفة سرية في مكتب المخابرات المصرية. بدأ العقيد حسام بالحديث موجها كلامه إلى اللواء ناصر: النهاردة يا أفندم سوف نستعرض مع معاليك الخطة التي وضعها المقدم أحمد للحصول على جهاز التشفير من مركز أبحاث شركة ASR في إسرائيل، أنا قمت بمراجعة الخطة مع أحمد وأستطيع أن أؤكد أنني على قدر كبير من الثقة أن الخطة سوف تُمكننا من الحصول على جهاز التشفير.

عقب اللواء ناصر: هذه الخطة لا بد وأن تظل سرية للغاية، فنحن لا نعلم من الذي سرب هذه المعلومات حتى الآن ولكن لا بد وأنه من داخل المؤسسة وله القدرة على الحصول على معلومات بمثل هذه الأهمية.

أجاب أحمد وحسام في نفس الوقت: تمام يا فندم.

سأل اللواء ناصر: من سوف يكون في فريق العمل لهذه المهمة؟

أجاب أحمد: لقد اخترت لهذه المهمة الدكتورة ريم السلاب، دكتورة قسم الحاسب الآلى في جامعة عين شمس والحاصلة على الدكتوراة في مجال التشفير.

أجاب اللواء ناصر: إني أعرف الدكتورة ريم جيدًا، فهذه ليست أول مرة تعمل فيها معنا في إحدي عمليتنا الخارجية، عندما احتجنا لخبير لتشفير مراسلتنا مع عملائنا في سوريا، والتعرف على نوعية الشفرة التي يتعامل بها جماعة أنصار السنة في سيناء كانت هي من أحد الأسباب الأساسية في نجاح المهمة.

أجاب أحمد: مظبوط يا فندم، فنحن في حاجة إلى خبير يستطيع أن يتكلم مع حازم بنفس اللغة ويحلل المعلومات التي سوف يرسلها حازم سريعًا وبدون إثارة أي شُبهات.

سأل اللواء ناصر: هل تحدثت معها بشأن المهمة؟

أجاب أحمد: ليس بعد، فقد كنت بانتظار عرض الخطة على سيادتكم وأخذ الموافقة وبعد ذلك سأتحدث مع الدكتورة ريم، ولكنني على ثقة أنها سوف تقبل المهمة.

- ما الذي أعطاك هذه الثقة؟

- دكتورة ريم تعتبر التدريس في الجامعة من أهم أولويتها، هي امراة غير عادية، لا تُلقي بالا لما قد تهتم به أي فتاة في عمرها مثل الزواج والأطفال والحياة الأسرية المستقرة، فهي تجد كامل متعتها في تطبيق العلم الذي تتقنه في مجال التشفير واستخدام هذا العلم في حل الألغاز المعقدة وإظهار براعتها في تحدي الهاكرز الدوليين.

- هل يوجد أحد آخر سينضم إلى الفريق؟

- نعم يا فندم، النقيب عبدالرحمن، تمكنّا من زرعه في إسرائيل منذ عام، فهو يتكلم العبرية بطلاقة وسوف يكون أداة اتصلنا بحازم في إسرائيل، والمقدم إيهاب السباعي وهو أحد العاملين في مكتب الملحق العسكري في سفارتنا بواشنطن، لقد عملت معه شخصيًا في أحد المهمات السابقة وتقريره في الخدمة فوق الممتاز، سيعمل إيهاب على جمع المعلومات اللازمة عن حازم في الفترة القادمة وسيكون حلقة الوصل معه في الولايات المتحدة.

بدأ أحمد في شرح تفاصيل الخطة للواء ناصر، يأمل أحمد أن يعطيه اللواء ناصر الضوء الأخضر لتنفيذ المهمة لكي يبدأ في التحضير للسفر إلى واشنطن مع الدكتورة ريم في أقرب وقت، فعملية مثل هذه سوف تستلزم وقتًا طويلًا لدراسة حازم جيدًا وإعداده لمثل هذه المهمة الحرجة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اللقاء الأول

١٠ نوفمبر ٢٠١٨

خرج حازم بعد الانتهاء من وجبة العشاء لإلقاء القمامة في سلة المهملات خارج منزله في إحدى ضواحي العاصمة الأمريكية واشنطن، لاحظ حازم وجود سيارة لايكسس حديثة سيدان موديل SR ذات لون رصاصي غامق تقف أمام الواجهة الأمامية لمنزله، وقف يستطلع من في السيارة ولكنه لم يتمكن من رؤية من بداخلها لحجب زجاجها الأسود الرؤية، كان الجو باردًا وتتساقط قطرات المطر الخفيفة، ترجل أحدهم من مقعد السائق في السيارة واتجه نحو حازم، كانت ملامحه شرق أوسطية، يرتدي معطفًا أسودًا ثقيلًا يخطو خطوات ثابتة وواثقة، وقف قليلًا أمام حازم وعلي وجهه ابتسامة ثم سأله: حضرتك الدكتور حازم؟

كان الرائد إيهاب يعلم جيدًا انه الدكتور حازم، فقد كان يراقبه على مدار الساعة في الأسابيع الماضية لجمع أكبر قدر من المعلومات عنه.

تفاجأ حازم من هذه الزيارة غير المتوقعة فعلاقاته محدودة جدًا بالجالية المصرية في واشنطن، لا وقت عنده ليقضيه في خلق صداقات أو علاقات اجتماعية، فهو منشغل بالعمل في معظم الوقت، كما أنه لم يقابل هذا الشخص الذي يقف أمامه من قبل.

أجاب حازم: نعم، أنا حازم، من حضرتك؟

أجاب إيهاب: اسمي محمد جمال وأنا أحد العاملين في الملحق الثقافي في السفارة المصرية، أنا آسف إن كنت قد جئت من غير ميعاد ولكنه أمر مهم والسفارة في حاجة إلى مساعدتك.

كان حازم ما زال غير مستوعب مَن هذا الشخص الذي يزعم أنه من السفارة واقتحم خصوصيته هكذا، رد حازم مستفسرا: وهيّا السفارة تعرفني منين؟ وما هو الشيء الذي تحتاجني فيه السفارة؟ لا بُد وأن هناك التباسٌ في الأمر.

أجابه إيهاب: السفارة المصرية سوف تستضيف بعض العلماء المصرين في مجال البرمجة والحاسب الآلى في مؤتمر هنا في العاصمة واشنطن للاستفادة من خبرتهم واستشارتهم في بعض الأمور الخاصة بتطوير التعليم والبحث العلمي في مصر، ولقد رشحك الدكتور مصطفى محسب دكتور الهندسة الكهربية في جامعة تكساس لتكون أحد المدعوين لهذا المؤتمر.

كان حازم قد قابل الدكتور مصطفى من قبل في أحد المؤتمرات في جامعة تكساس في أوستن، وقد دار حديث طويل بينهما عن تطور علم البرمجيات ووسائل التشفير الحديثة، وقد أبدى الدكتور مصطفى إعجابه بآراء حازم وطلب منه أن يأتي في الشتاء المقبل لجامعة تكساس لإلقاء محاضرة عن تطور علوم التشفير وكيفية استخدامها في تأمين البيانات الشخصية لمستخدمي الإنترنت.

قال حازم: نعم لقد التقيت بالدكتور مصطفى في أحد المؤتمرات في ولاية تكساس، ولكن لماذا رشحني أنا شخصيا؟

أجاب إيهاب بتلقائية شديدة، فقد تدرب على نص هذا الحوار عدة مرات قبل لقائه بحازم:أحد المواضيع المهمة التي سيتم مناقشتها في المؤتمر هو أنظمة تشفير البيانات المختلفة والمتاحة حاليا في مجال تكنولوجيا المعلومات، وكيف يمكن لمصر الاستفادة منها لتأمين تصفح آمن عبر الإنترنت وحماية المؤسسات المالية والحكومية من الاختراق، لهذا رشح الدكتور مصطفى اسمك وقد قام المكتب الثقافي بعمل بعض الأبحاث عن المرشحين في هذا المجال وكان اسمك هو الأجدر بين المرشحين الآخرين.

شعر حازم ببعض الفخر أن تم انتقائه هو بالذات من أجل هذه المهمة فقال لإيهاب والذي يظن أن اسمه محمد: ومتى سيتم عقد هذا المؤتمر يا أستاذ محمد؟

أجابه إيهاب: سيقام المؤتمر على عدة أيام متفرقة بعد إجازة عيد الشكر في الأسبوع الثالث من نوفمبر، ولكن ستبدأ عملية التسجيل للمشاركين من الغد، ولقد جئت اليوم لأدعوك لحضور جلسة التسجيل والتعرف على بعض المنظمين للمؤتمر.

- غدا؟ ولكن لدي عمل ولا بد من الذهاب إليه.

ارتسمت ابتسامة على وجه إيهاب: ونحن لا نريد أن نعطلك عن عملك، غدا مجرد لقاء لمدة ساعة للتسجيل والتعارف بين المشاركين في المؤتمر وللاتفاق على المواعيد التي سيتم فيها نقاش الموضوعات المختلفة، سيكون اللقاء في الساعة الثانية عشر، وعادة ما يكون ذلك الوقت هو وقت استراحة الغداء في العمل، سنقوم بتوفير وجبة غداء خلال الاجتماع للحاضرين حتى لا تضيع عليهم استراحة الغداء.

أخرج إيهاب ورقة من جيب معطفه ومد يده إلى حازم بكارت: هذا هو عنوان الفندق الذي ستُعقد فيه جلسة التسجيل للمؤتمر غدًا.

أخذ حازم الورقة ونظر إلى عنوان الفندق فوجد أن عنوان الفندق يقع في نفس الحي حيث يتواجد مقر عمله، فالمسافة بين عمله ومكان الفندق لا تتعدى ٥ دقائق سيرًا على الأقدام.

عاجله ايهاب قائلا: وإذا حصل ولم تجد لك رغبة في المشاركة في أي من اللقاءات الأخرى، فسوف نتفهم ذلك تمامًا، وأعدك أنه لن يكون هناك أي ضغوطات لإجبارك على المشاركة إن لم يكن لديك الرغبة في ذلك.

صمت حازم لبرهة، فبالرغم من تفاجئه من الطلب، إلا أن ترشيح اسمه ليكون عضوًا في مؤتمر مثل هذا أشبع غروره، نظر حازم إلى داخل المنزل ثم إلى ايهاب وقال: أنا آسف أنني لم أدعوك للمنزل، ولكن لم نكن نتوقع زيارة أحد وسيحل موعد نوم بناتي قريبًا.

ابتسم إيهاب وقال: أنا اللي آسف أني اقتحمت خصوصيتك بدون سابق إنذار وإن شاء الله تتعوض قريبا، ما رأيك هل قررت أن تحضر غدا؟

نظر حازم إلى إيهاب لثواني معدودة وقال: نعم سوف أحضر غدا في الميعاد.

رجع إيهاب إلى السيارة وعلى وجهه ابتسامة عريضة فقد نجحت أول خطوة في الخطة وتمكن من إقناع حازم بالحضور غدًا، ركب إيهاب السيارة وكان المقدم أحمد يجلس داخل السيارة منتظرا في تأهب لمعرفة قرار حازم، انتظر حتى دخل إيهاب السيارة وأدار المحرك وبدأت السيارة في الحركة، عندها قال أحمد: من ابتسامتك يبدو أن حازم قد ابتلع الطُعم.

أجاب إيهاب: حصل يا فندم.

لم يبتسم أحمد وإنما بدت عليه الجدية وقال: الآن لا بُد وأن نرجع إلى غرفتنا في الفندق للتدريب على نص الحوار الذي سيدور بيننا وبين حازم في الغد، حازم إنسانٌ ذكي وأنا محتاج إلى أن أتكلم معه غدا دون التطرق للمهمة للتأكد إن كان يصلح لها أم لا.

نظر حازم إلى الورقة التي في يده وقد أصابها بعض البلل، فأسرع متوجهًا إلى الداخل وقد قرر أنه لن يخبر نادية عما حدث بينه وبين مندوب السفارة، فهي بطبيعتها القلقة سوف تسأل الكثير من الأسئلة وسوف يسبب لها ذلك توترا ليس له داعٍ.

•

عند الساعة ١١:٤٠ صباحا، قرر حازم التوقف عن العمل والتوجه الى عنوان الفندق الذي أعطاه إياه مندوب السفارة، كان حازم يعلم أن الفندق لا يبعد أكثر من ٥ دقائق عن مكان عمله ولكن حازم يفضل دائما الوصول مبكرًا، فهو يكره التأخير. كان الالتزام بالمواعيد من أحد أسباب الجدال بينه وبين نادية زوجته في بداية الزواج، على عكس التقاليد السائدة في مصر أنه لا مانع من التأخير عند ارتباطك بميعاد لأنه عادة ما يوجد عذر تستطيع أن تستخدمه لتبرير هذا التأخير، بعض هذه الأعذار يكون واهيًا وغير مقبول من وجهة نظر حازم مثل «الدنيا كانت زحمة»، في هذه الحالة السبب الحقيقي للتأخير هو أن صاحب هذا العذر كسول وغير مسؤول ولا يُقدر وقت الآخرين، فالأجدر به أن يحسب الوقت اللازم للوصول في الموعد مع وضع بعض الوقت الاحتياطي لأي ظرف طارئ بدلا من استخدام الأعذار.

بينما حازم في طريقه إلى الفندق أخذ يفكر إن كان هذا المؤتمر هو بداية الطريق للمساعدة في تطوير مجال التكنولوجيا في مصر والذي قد ينتج عنه أن يتمكن حازم من الرجوع والاستقرار في مصر مع أسرته، هل بعث الله مندوب السفارة إليه لأنه يعلم أنه في حيرة من أمره، فهو يرى كل يوم أن ارتباط بناته ونادية وحتى هو شخصيًا بالعادات والتقاليد الأمريكية يزداد قوة، لكن شيئًا ما بداخله يرفض هذا التحول ويذكره دائمًا بأنه من أصل عربي، لقد قرأ حازم عن هذا الإحساس بازدواج الهوية عند المهاجرين وخاصة في الجيل الأول منهم، فالاندماج يصبح غاية في

الصعوبة لأن ما تربي عليه هذا المهاجر من عادات وتقاليد وهوايات وذكريات يختلف تمامًا على ما تربى عليه أهل البلد في المهجر من نفس الفئة العمرية.

في كثير من الأحيان عندما يتحدث حازم مع جاره أو أحد زملائه في العمل ويستشهد هذا الشخص في سياق الحديث بموقف سياسي قد حدث في أمريكا في ستينيات القرن الماضي أو بأحد الأفلام الأمريكية القديمة أو اسم رياضي معروف ينتاب حازم الإحساس بوجود حلقة مفقودة لا تساعده على الاندماج التام في هذا المجتمع، فهو لديه ذكريات مختلفة، لا أحد هنا يعرف الأهلي والزمالك، كرة القدم الأمريكية مختلفة تمامًا عن باقي أنحاء العالم، ولن تجد أحد من السكان المحليين على معرفة بالموسيقى والفن المصري/ العربي، الأشياء المشتركة بين الثقافتين محدودة للغاية وهو ما لا يساعدك على أن تخوض في أي أحاديث عن الذكريات والأحداث الماضية، ولكن حازم أيضًا لم يكن مُلمًا بما يحدث من تغيرات في مصر، ففي العشر سنين الأخيرة أصبح هناك جيل جديد من المغنيين ونجوم الفن والرياضة والسينما، حتى نمط الحياة السياسية تغير تمامًا عما عهده عندما كان في مصر، دائمًا ما ينتاب حازم هذا الإحساس بعدم استقراره على هوية معينة فهو نصف أمريكي نصف مصري.

على العكس تمامًا بنتاه سلمى وفرح واللاتي وُلدن وتربين في أمريكا فهما لا تُعانيان من هذه الحلقة المفقودة مع المجتمع الأمريكي، فهما تتابعان الأفلام والموسيقى المحلية، وعلى دراية تامة بالمجريات السياسية والثقافية في هذا المجتمع، فعادة ما يطلب منهم إجراء أبحاث في المدرسة عن سياسات أمريكا الداخلية والخارجية وتوجيه النقد لهذه السياسات، فكلا من سلمى وفرح لا تتوانيان عن مهاجمة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وسياسات الحزب الجمهوري، مع العلم أنك إذا قرأت مبادئ وتوجهات هذا الحزب ستجد أنه الأقرب إلى تفكيرنا كعرب، فالحزب الجمهوري يرفض زواج المثليين والإجهاض وهم متحفظين في مسألة الهجرة ولا يوجد عندهم المقدرة على استيعاب الآخر والحرب دائمًا هي أحد الاختيارات المتاحة لحل الاختلافات السياسية مع الدول الأخرى، أليس هذا شبيها بما يحدث في مجتمعنا العربي؟

اتصال سلمى وفرح بمصر محدود للغاية، ذكرياتهما في مصر تتمثل في زيارات قصيرة وسريعة والتي مع مرور الوقت أصبحت مملة لعدم إتقانهما اللغة العربية ومعرفتهما بمجريات الأمور في مصر.

هل هذا هو وقت الرجوع إلى مصر؟

وجد حازم نفسه أمام الفندق، عند دخوله رأى الرائد إيهاب في صالة الاستقبال، كان إيهاب مرتديًا بدلة أنيقة يضع فيها دبوسًا عليه علم مصر.

- دكتور حازم، أهلا وسهلا لقد أتيت في ميعادك بالتمام.

- أهلا بك، بصراحة لقد أتيت مبكرًا عن ميعادي عشر دقائق، هي عادة لا أستطيع تغييرها، فعادة ما آتى مبكرًا عن ميعادي لكي أتفادى أي ظرف طارئ قد يتسبب في

تأخيري.

- هذا أفضل بكثير من أن تأتي متأخرًا، على العموم نحن مستعدين ومن الممكن أن نبدأ على الفور.

أحسّ حازم بالاستغراب، قال لإيهاب: ماذا عن المدعوين الآخرين؟

تدارك إيهاب نفسه قائلا: كما تحدثنا في البارحة فالغرض من المقابلة اليوم هو تعريف حضرتك بأهداف المؤتمر وإن كان لديك الاستعداد للمشاركة سنطرح عليك بعض الأسئلة لتحديد مجال وكيفية المشاركة، نحن على علم بأن معظم الشخصيات المؤهلة لحضور هذا المؤتمر عادة ما يكون لديهم وقت محدود، ومن أجل هذا فنحن حريصين على إجراء هذه المقابلات الأولية بشكل شخصي لتكون أكثر فاعلية لكي نقدر على الاستفادة من الوقت المتاح بأكبر قدر ممكن.

تملّك حازم الإعجاب من منطق إيهاب في الحديث، فأجابه: ممتاز!

قاد إيهاب حازم إلى إحدى الغرف المخصصة للاجتماعات داخل الفندق، وفي داخل الغرفة كان المقدم أحمد والدكتورة ريم يجلسان خلف منضدة في انتظار حازم. وقفا كليهما عند دخول حازم لتحيته وكان كل منهم يلبس بدلة عمل أنيقة عليها علم مصر في عروة البدلة عند أعلى الصدر.

بدأ أحمد الكلام موجهًا كلامه إلى حازم: أهلا يا دكتور حازم شرفتنا، أحب أعرفك على الدكتورة ريم، أستاذ دكتور في جامعة عين شمس قسم الحاسب الآلي ومستشار لوزارة الثقافة في مجال تكنولوجيا المعلومات.

مدت ريم يدها لتحية حازم قائلة: دكتور حازم أنا من أشد المعجبين بـأبحاثك في مجال التشفير، وحيكون لي الشرف أني اشتغل مع حضرتك إذا حصل نصيب.

ابتسم حازم قائلا: شكرًا يا دكتورة ريم.

اختلس حازم النظر إلى أصابع ريم بحثًا عن خاتم زواج ولكنه لم يجد شيئًا، كان هناك شيء غريب أحسه حازم تجاه ريم فهي تبدو صغيرة في السن، على قدر معقول من الجمال، استطاعت أن تحصل على درجة الدكتوراة وتصبح مستشارة في وزارة الثقافة، غير متزوجة، وهذا يخالف تمامًا ما عاهده في شبابه من عادات وتقاليد المجتمع المصري بخصوص الزواج المبكر للفتيات، فعادة عندما تمتلك فتاة جمالًا مثل جمال ريم سوف يكون هناك طابورًا من العرسان ممن يرغبون الزواج منها حتى وإن كان سنها ما زال صغيرًا ، مع إلحاح الأهل ودفع الأصدقاء تكون طموح الفتاة في هذا السن منحصرًا في الزواج اعتقادًا منها أنه الطريق الوحيد للاستقلالية وتكوين بيت وأسرة، كان هذا هو طموح نادية عند الزواج من حازم، فقد كان في نظرها العريس المناسب لبدء تكوين أسرة وتوفير الإمكانيات المناسبة لحياة مريحة.

قال أحمد: وأنا أحمد علام مدير مركز أبحاث علوم الحاسب الآلي والتكنولوجيا في وزارة التعليم العالى في مصر والمسئول عن تنظيم مبادرة تطوير علوم التكنولوجيا

والحاسب الآلي (مصر ٢٠٢٢) والذي سيقام بالتنسيق مع وزارة الثقافة ووزارتي التربية والتعليم والتعليم العالي.

وبالطبع قد قابلتَ الأستاذ محمد والذي يعمل في الملحق الثقافي في سفارة مصر في الولايات المتحدة.

أجابه حازم مبتسمًا: نعم، لقد قابلته مساء البارحة أمام منزلي لتلقي الدعوة.

استطرد أحمد: أرجو أن تتقبل أسفنا لعدم الاتصال بك من قبل، وإعطائك الوقت المناسب للتفكير، لكن عندنا أمل كبير في أن تكون أحد المساهمين في بناء رؤية مصر لعلوم التكنولوجيا والحاسب الآلي لعام ٢٠٢٢.

أجابه حازم: لا توجد مشكلة، أنا مستعد أن أساعد على قدر استطاعتي.

قال أحمد: دعني أبدأ بأن أعطي لك فكرة عن أهداف مبادرة مصر٢٠٢٢ للتكنولوجيا والحاسب الآلي، كما تعلم لقد أصبح استخدام الحاسب الآلي مرتبطًا بتطور كافة مجالات العلوم الحديثة، وأصبح هناك كم هائل من البيانات (داتا) والتي عن طريق تحليلها يمكن استنباط حلول لأكثر المسائل تعقيدًا، والتي لم يكن بمقدور الإنسان حلها من قبل. ليس هذا فقط ولكن باستخدام هذه البيانات وتصميم نماذج متكررة من هذه البيانات يمكن لأجهزة الكمبيوتر الحديثة أن تُحاكي فكر الإنسان، بل وتصبح أكثر دقة من الإنسان في تنفيذ بعض العمليات المختلفة سواء هندسية، طبية، علمية...إلخ.

قاطعه حازم: وهو ما يسمى بعلم الذكاء الاصطناعي، AI

قال أحمد: مظبوط، ومع ظهور علم الذكاء الاصطناعي وقدرة الآلات على القيام بعمل الإنسان بتكلفة أقل وأكثر دقة أصبحت أسواق العمالة الرخيصة ذات الكفاءات العلمية المحدودة مهددة لعدم قدرة العمالة في هذه الدول على التعامل مع التكنولوجيا الحديثة.

هنا بدأت ريم في الكلام قائلة: تخيل يا دكتور حازم لو شركة مثل مرسيدس بنز والتي بدأت في استخدام تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والروبوت في تصنيع السيارات الحديثة أرادت تطوير مصنعها في مصر لإنتاج الموديلات الحديثة من سيارات مرسيدس ما هو أول شيء سوف تبحث عنه؟

أجابها حازم: كفاءات علمية تستطيع التعامل مع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي المتطورة والتي تستخدم في تصنيع السيارات الحديثة.

استكمل أحمد كلامه: مظبوط، ومثل مرسيدس شركات أخرى كثيرة مثل شركة الهواتف العملاقة سامسونج، وشركة الشرائح الذكية العالمية انتل والتي قامت بفتح مصنع لها في مصر من قبل لرخص العمالة، لكن الآن هذه الشركات تبحث عن كفاءات ومؤهلات مختلفة لضخ استثماراتها.

قالت ريم: وإن لم تستطع مصر بناء هذه الكفاءات لن تتمكن من جذب هذه الاستثمارات الأجنبية والتي بدورها سوف تبحث عن أماكن أخرى تتوافر فيها مثل

هذه المؤهلات مثل دول شرق أوروبا وآسيا وإسرائيل.

استطرد أحمد قائلا: ومع ظهور علوم الذكاء الاصطناعي والكم الهائل من البيانات والمعلومات التي يتم استخدامها لبناء هذه البرامج المتجددة ظهر تحدي جديد.

نظر أحمد إلى ريم والتي أكملت: هذا التحدي هو أمن المعلومات، مبالغ ضخمة من الأموال تُدفع للحصول على هذه البيانات ومعالجتها بطريقة تصبح بعدها جاهزة للاستخدام بواسطة الروبوت أو ماكينات التصنيع أو الأجهزة الطبية لإتمام أكثر العمليات دقة وتعقيدا. وإن تم العبث بهذه البيانات أو سرقتها فقد يتسبب ذلك بخسائر مهولة للشركات المستخدمة لهذه المعلومات، فمثلا إن استطاعت إحدى الشركات المنافسة العبث وتغيير النمط الذي يتم فيه استخدام مثل هذه المعلومات لإتمام العمليات المعقدة ستقوم الأجهزة الحديثة بإنتاج منتجات معيوبة أو ستفشل في إتمام العمليات المطلوبة منها.

قال أحمد: ذلك غير التجسس من قبل بعض الدول والأشخاص على الأبحاث العلمية والمعلومات البنكية والأمنية لاستغلالها بما يضر بمصلحة مؤسسات وحكومات الدول الأخرى او الحصول على فدية مالية، ومن أجل هذا سُلط الضوء في الفترة الأخيرة على مجال الأمن الرقمي وتشفير المعلومات، وأنت تعتبر يا دكتور حازم من أحد الباحثين المعروفين في هذا العلم.

قالت ريم: لقد تطور مجال الأمن الرقمي وتكنولوجيا التشفير مؤخرًا تطورًا مذهلًا، فما كان يستخدم قديما لتشفير المعلومات من أجهزة ضخمة معقدة ومكلفة حلت محله وسائط متنقلة (USB) متناهية الصغر والتي يوجد عليها برامج في غاية التعقيد يصعب فك شفرتها و تستخدم لإنتاج شفرات معقدة لحفظ ونقل المعلومات.

تابع أحمد قائلا: لهذا قررت عدة وزارات في مصر مثل التعليم العالي والثقافة والصناعة ووزارة الاتصالات أن تستعين بخبرات العلماء من أبناء مصر في الخارج وعقد مبادرة مصر ٢٠٢٢ والتي أحد أهدافها الأساسية وضع مصر على خارطة علوم الذكاء الاصطناعي وتأمين المعلومات الرقمية وتأهيل خريجي الجامعات المصرية للتعامل مع هذه العلوم والذي بدوره سيسهم في تطور مجالات العلوم والصناعة وجذب الاستثمارات الخارجية، وتتكون المبادرة من عدة مؤتمرات يتم فيها اللقاء بالخبراء والعلماء المصريين للاستفادة من خبرتهم.

انبهر حازم بالعرض الدقيق الذي قام به كل من ريم وأحمد لأهداف المؤتمر: تفكير منطقي وإن كان متأخرًا بعض الوقت ولكن أن تبدأ متأخرًا أفضل من ألا تبدأ على الإطلاق.

نظرت ريم إلى حازم وقالت له في حزم: هل لديك الاستعداد يا دكتور حازم في بناء هذه الرؤية والمساعدة في تطوير هذا النوع من العلوم في مصر؟

صمت حازم قليلًا ثم أجاب ريم: لا يوجد مصري أصيل يتوانى عن خدمة بلده والمساعدة في نهضتها، كما أنها فرصة لأي عالم أن ينتفع أهل بلده بعلمه، ولكن أريد أن أعرف المزيد، كيف يمكنني المساعدة؟

هنا تولى أحمد الحديث موجهًا كلامه لحازم: تقوم الحكومة المصرية بالتعاون مع بعض الوزارات المعنية بتقييم بعض الشركات المختصة بإنتاج برامج وأجهزة التشفير والتي ستستخدمها الحكومة المصرية في الجامعات والمؤسسات الحكومية كبداية لتطبيقات الأمن الرقمي. ونحن في حاجة إلى خبير مثلك ليحدد الخصائص التي يجب توافرها في هذه البرامج وكيفية استخدامها وتطويرها بما يناسب احتياجاتنا الاقتصادية والأمنية.

أضافت ريم: ليس هذا فقط ولكن أيضًا المساعدة في بناء المادة العلمية لتدريس تكنولوجيا التشفير وكيف دمجها مع تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي لتكوين بيئة آمنة لمعالجة البيانات لإتمام العمليات المعقدة.

أكمل أحمد: إذا وافقت على هذه المهمة، فسوف يتطلب ذلك منك القدوم إلى مصر في زيارة لمدة أسبوع مدفوعة التكاليف، تقابل فيها بعض العلماء والباحثين المصريين والذين سوف يعملون تحت قيادتك لتحديد ما يتطلب توافره في الأنظمة التي سيتم شراؤها. بعد ذلك سيتم عرض هذه المتطلبات على الشركات العالمية المختلفة وتقييم عروض هذه الشركات وهي عملية قد تستغرق وقتًا سنقوم خلالها بعقد بعض الاجتماعات المغلقة والعامة في واشنطن والقاهرة مع الخبراء المصريين ذوي الثقة مثلك لبناء خارطة الطريق عن كيفية تطبيق واستخدام هذه الأنظمة.

انتاب حازم إحساسًا قويًا بالإثارة، فما يعرضه عليه أحمد الآن هو شيء لم يكن يحلم به، فبلد كبير مثل مصر تحتاج إلى علمه وخبراته لبناء رؤية علمية للأجيال القادمة!

بدأت الأفكار تتوارد على عقله؛ سوف تتيح له هذه المهمة فرصة السفر إلى مصر بشكل دوري مما يوثق علاقته هو وأسرته بمصر ويجعل سلمى وفرح أكثر دراية بأصولهم وتاريخ أجدادهم، ومن يدري فقد يتمكن حازم من الحصول على منصب مهم في أحد مراكز اتخاذ القرار مما يساهم في توفير حياة مرفهة له ولأسرته في مصر. يعلم حازم جيدًا أن هناك طبقة من القيادات ورجال الأعمال تعيش في مصر حياة أكثر رفاهية وإثارة مما يعيشه هو حاليًا في واشنطن من حياة رتيبة ومملة، لكن الوصول لهذه الطبقة كان يُعد من رابع المستحيلات؛ ليستفسر إذن عما يمكن أن يناله إذا وافق على هذه المهمة.

قال حازم: تبدو لي مهمة شيقة ويشرفني أن أساعد في النهضة العلمية بمصر ولكن عندي بعض الاستفسارات.

أجاب أحمد: تفضل اسأل، وسأبذل قصاري جهدي للإجابة على أسئلتك.

قال حازم: قد تتطلب هذه المهمة الذهاب بشكل متكرر إلى مصر، ماذا سيحدث إن تضارب ذلك مع متطلبات عملي هنا في واشنطن؟

قال أحمد: نحن بصراحة ليس عندنا فكرة محددة عن كم الوقت الذي سيتطلبه العمل في هذه المبادرة حتى تقوم بدراستك المبدئية مع الفريق العمل من الباحثين في

مصر، عندها سيكون لديك فكرة أفضل ويمكنك بناء جدول الأعمال لهذه المبادرة بما يناسب ارتباطاتك العملية. أما عن السفر إلى مصر، فكلما رأيت أن هناك حاجة إلى أن تلتقي بفريق العمل في مصر سوف نقوم بحجز تذاكر الطيران في طبقة رجال الأعمال وحجز سويت في فندق شيراتون الجزيرة طوال فترة إقامتك في مصر، وسوف يكون هناك سيارة خاصة مرافقة لك في كافة تنقلاتك.

استطرد أحمد: أيضًا قد يتطلب هذا منك السفر إلى دول أخرى بخلاف مصر للالتقاء بممثلي الشركات العالمية وتحديد أي العروض أكثر ملائمة لتطوير تكنولوجيا التشفير في مصر.

كان حازم يستمع إلى المقدم أحمد وكأنما يستمع إلى معزوفة موسيقية، فلم يكن في وقت من الأوقات يتخيل أنه يمكن أن ينال مثل هذه المعاملة وخاصة في مصر التي تركها منذ ١٩ عام.

أراد أحمد أن يوجه الضربة القاضية لاقناع حازم تمامًا بالمهمة فاستطرد قائلا: دكتور حازم، هذه المهمة ستجعلك على اتصال بدوائر اتخاذ القرار في مصر ومع الوقت قد يساعدك هذا في أن تكون من المرشحين لأحد المراكز العليا في البلد؛ هذا إن كنت ترغب في ذلك بالطبع.

لمعت عين حازم، هذه هي الفرصة إذن التي قد لا تأتي لكثير من الناس، فالمال والاستقرار ليس كل شيء، قد يكون معك ما يكفيك من المال لتعيش حياة مستقرة ولكنك قد تحس بالملل لصغر دورك وعدم وجود أي مجازفة في حياتك، فالمجازفة يصاحبها دائمًا الإثارة وعلى قدر المخاطرة يكون حجم المكافأة.

بعد فترة صمت قصيرة تحدث حازم موجهًا كلامه لأحمد: أهنئك يا أستاذ أحمد فلقد استطعت أن تثير حماسي لهذه المهمة، لقد بدأت أحس مؤخرًا ببعض الرتابة من روتيني اليومي وأنا فعلًا أحتاج لتحدي جديد يضفي بعض الإثارة على حياتي اليومية والعملية ويشرفني أن يكون هذا التحدي هو شيء أستطيع أن أخدم به بلدي مصر.

لمعت عين المقدم أحمد وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ومد يده إلى حازم مصافحًا: أهلا بيك يا دكتور حازم في فريق مبادرة تطوير تكنولوجيا الحاسب الآلي مصر ٢٠٢٢.

صافح حازم أحمد بحرارة ثم ريم وإيهاب؛ هنا قال أحمد موجهًا كلامه لحازم: هناك شيء مهم أرغب في أن نتفق عليه قبل حضورك إلى مصر، هناك الكثير من الدول التي تتربص لمصر ولا ترغب بأن تحصل مصر على أي نوع من التكنولوجيا المتطورة، كما أن بعض المقابلات التي سوف تقوم بإجرائها ستكون مع هيئات سيادية في مصر وسوف يتم مناقشة بعض المعلومات الحساسة التي تخص الأمن المصري، ومن أجل هذا على المدى القصير يُفضل أن لا يعرف أحد تفاصيل زيارتك القادمة لمصر حتى أسرتك.

- حتى زوجتي؟

- نعم حتى زوجتك، وذلك ليس لعدم الثقة بها ولكن لمنع تسرب المعلومات بشكل غير مباشر خلال هذه المرحلة المبكرة من المبادرة، يُفضل أن تقنعها أنك سوف تذهب في مهمة قصيرة إلى دولة الإمارات لحضور مؤتمر علمي هناك وسيكون معك بالفعل تذاكر سفر إلى الامارات، وفي الإمارات سأكون في استقبالك وسأصطحبك إلى مصر، وسنحرص ونحن في مصر على سرية اللقاءات التي ستتم خلال ذلك الأسبوع.

- هل ستطلبون من كل العلماء المشاركين نفس الطلب؟

- ليس بالضرورة يا دكتور حازم، العلوم الأخرى مثل معالجة البيانات والروبوت لا تعتبر مواضيع حساسة مثل علم تشفير المعلومات والذي قد يستخدم في العلوم العسكرية وأجهزة المخابرات.

كان حازم يعلم ذلك جيدًا، الدول المتقدمة تصرف مبالغ هائلة على تكنولوجيا تشفير المعلومات لضمان سرية أبحاثها العلمية والعسكرية وعدم تسرب أي من هذه الأبحاث إلى دول أخرى قد تسيء استخدام مثل هذه التكنولوجيا المتطورة، أيضًا إن علمت شركة ASR أنه يتعاون مع الحكومة المصرية ويمدها بمعلومات عن تكنولوجيا التشفير قد يضر ذلك بمستقبله الوظيفي، من الأفضل له أن يستوعب ماذا سيُطلب منه في هذه المهمة قبل أن يبدأ في الحديث عنها مع أي أحد حتى وإن كانت نادية.

لقد كان حازم في هذه اللحظة في قمة الاستثارة والحماس لمعرفة المزيد عن هذه المهمة وخاصة أنه يلفها إطار من الغموض والسرية، من يدري فقد تتيح له هذه المهمة باب الاستقرار وأخذ دور ريادي في تطوير تكنولوجيا أمن المعلومات في مصر، إنه على أتم الاستعداد لاستخدام علاقته مع علماء تكنولوجيا التشفير الآخرين في أنحاء العالم لإقناعهم بالمساهمة في هذه المبادرة والعمل على إنجاحها.

قال حازم وعلى وجهه ابتسامة يملؤها التفاؤل: توكلنا على الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مهمة إنجما-١١٢

القاهرة ٢١ نوفمبر ٢٠١٨

كان المقدم أحمد يمشي بخطوات منتظمة وثابتة في طرقات مبني المخابرات الحربية متجهًا إلى مكتب العقيد حسام، أراد أحمد أن يطالع حسام على آخر المستجدات في عملية إنجما-١١٢ وهو الاسم الحركي لعملية الاستيلاء على جهاز التشفير المتطور من مركز أبحاث شركة ASR في إسرائيل.

دخل أحمد مكتب العقيد حسام والذي وقف مرحبًا عند رؤيته لأحمد قائلًا: أهلا يا أحمد، لقد تم إخباري بأن دكتور X (الاسم الحركي لحازم) في طريقه إلى مصر، لقد كنت واثقًا أنك ستقوم بإقناعه.

ابتسم أحمد وأجاب حسام: ما زلنا في أول المهمة، أنا أقنعته فقط بالمجيء لمصر، ولكن لا أدري كيف سيكون رد فعله عندما يعلم تفاصيل العملية وما سوف يتطلب منه تنفيذه.

- أصعب جزء في المهمة هو بناء الثقة بينك وبين من تريد تجنيده، صحيح ما الذي جعلك تثق أن (X) هو الشخص المناسب لأداء المهمة؟

- خلال حواري أنا والدكتورة ريم كان (X) متحفزًا جدًا وإجاباته قصيرة ومختصرة للغاية، ظل كذلك حتى بدأتُ أن أشرح له أن هذه المهمة ذات أهمية خاصة لدى القيادة السياسية في مصر، وأن هذه القيادات على أتم الاستعداد لمنح الدكتور (X) كافة الصلاحيات والإمكانيات لتحقيق أهداف هذه المبادرة وأيضًا سوف تيسر له هذه المهمة مد جسور التواصل مع صناع القرار والذي بدوره قد يتيح للدكتور حازم فرصة للحصول على منصب مهم والاستقرار في مصر، هنا بدأتُ أرى بريقًا في عينه وأصبح أكثر تجاوبًا معي ومع الدكتورة ريم(1).

(1) جهاز إنجما: هو جهاز تشفير غاية في التعقيد استخدمه الألمان في الحرب العالمية الثانية لتشفير الرسائل ونقل التعليمات شديدة السرية.

- هل تعتقد أن هذا هو الدافع الوحيد لـ (X) لقبوله للمهمة؟

- بلى، يوجد دافع آخر وهو إحساسه بالتشبع والملل مما يقوم به حاليًا، فغالبًا هو يمر بأزمة منتصف العمر مع زوجته وطفلتيه واللاتي قاربتا سن المراهقة وعمله الذي أصبح في معظم الأحيان عمل روتيني، هو يبحث عن شيء يجعله يحس بأهميته وأنه ما زال عنده القدرة على العطاء.

- و هل هذه أسباب كافية لكي يوافق على المهمة ويقبل المخاطرة؟

- لست متأكدًا بعد، ولكن بعد الحديث معه لا يوجد لديّ شك في ارتباطه بمصر وهذا شيء مهم.

- ما هي خطوتك التالية؟

- سأسافر اليوم إلى الإمارات لاستقباله في مطار دبي، لقد نسقنا مع الإخوة الإماراتيين لاصطحابه من دبي إلى مطار أبوظبي الحربي ومن هناك سأصطحبه في طائرة حربية مصرية ناقلة الجنود من طراز سي ٢٩٥ إلى مطار ألماظة الحربي.

- هل تأكدت من أنه سيحتفظ بسرية هذه الرحلة؟

- نعم، لقد تمكنت من إقناعه بإبقاء أمر هذه الرحلة سرًا لإحباط أي محاولة لإفساد المبادرة المصرية قبل بدئها، وأنه سوف يتمكن في وقت لاحق من إشراك بعد المقربين منه في التفاصيل بعد الاستقرار على أهداف وخارطة الطريق للمبادرة.

- أتمنى لك التوفيق في المهمة فليس أمامنا الكثير من الخيارات لمعرفة من هو المسؤول عن تسريب المعلومات الخاصة بصفقات الأسلحة إلى الخارج.

- تمام يا أفندم ؛ إن شاء الله عندما أعود إلى مصر مع دكتور (X) سنبدأ في تنفيذ المرحلة التالية من الخطة وسأطلعك على آخر التطورات أولًا بأول.

- بالتوفيق يا أحمد.

•

خرج حازم من باب طائرة الخطوط الجوية الإماراتية في مطار دبي بعد رحلة استمرت ١٥ ساعة من مطار هيوستن والتي سبقتها رحلة أخرى من واشنطن، فقد استمرت رحلته من واشنطن إلى دبي أكثر من ٢٠ ساعة، تساءل حازم خلال الرحلة ألم يكن من الأسهل له وأوفر للمنظمين أن يأخذ طائرة مصر للطيران من نيويورك مباشرة إلى القاهرة؟

لكن في نفس الوقت يدرك حازم أنه يوجد بعض المنطق وراء اتخاذ هذا المسار الطويل، فلا بُد وأن السبب هو تفادي أي احتمالية لمقابلة أحد المعارف أو الأقارب من مصر في طائرة مصر للطيران المتجهة من نيويورك إلى القاهرة.

استطاع حازم أن يقنع نادية أنه ذاهب للإمارات لحضور مؤتمر تابع لعمله، كذلك قال لمديره في العمل أنه في حاجة إلى زيارة بعض الأصدقاء في الإمارات، ويرغب في إجازة لمدة أسبوع فلم يعترض. ولكن حازم ما زال متحيرًا لماذا لم يرسل أحمد له تذكرة الطيران الخاصة برحلته من الإمارات لمصر، عندما سأله حازم هذا السؤال أجابه أحمد أن لا يشغل باله فقد تم ترتيب انتقاله إلى مصر وسيعلم حازم التفاصيل عندما يصل للإمارات!

فوجيء حازم عند خروجه من باب الطائرة بوجود أحمد في انتظاره، لم يكن يتوقع في وجوده في هذا المكان.

- حمد لله على السلامة يا دكتور حازم، أتمنى إن الرحلة كانت سهلة؟

أجابه حازم في اندهاش: الله يسلمك! كيف تمكنت من الوصول إلى هنا أمام بوابة الطيارة؟

ضحك أحمد ثم قال: لا تندهش، الإمارات بلدنا التاني والحكومة الإماراتية بتعطينا بعض التسهيلات ونحن نفعل كذلك بالمثل، فالأشخاص VIP مثلك تقوم الحكومة الاماراتية بمساعدتنا بتسهيل إجراءات الدخول لهم بعد الحصول على الموافقات الأمنية المطلوبة.

أجابه حازم وقد بدت على وجهه علامات الراحة: هذا شيء ممتاز، لقد كانت الرحلة طويلة للغاية واختصار إجراءات الدخول سيكون مريح بالفعل.

وصل حازم وأحمد إلى ضابط الجوازات الخاص بالمسافرين الـ VIP، أخرج حازم جواز سفره الأمريكي فأمسك أحمد يده وهمس بصوت هادئ: استخدم الجواز المصري.

أخرج أحمد ورقة من ملف يحمله وأعطاه لضابط الجوازات الإماراتي، كانت هذه الورقة هي الفيزا المطلوبة لدخول حازم إلى الإمارات عن طريق جوازه المصري.

استغرقت إجراءات الدخول دقائق محدودة اتجه بعدها حازم وأحمد إلى سير الحقائب، وجد حازم حقائبه جاهزة وموضوعة على إحدى العربات ومعها أحد عمال المطار من الجنسية الهندية ينتظر قدوم حازم، اتجهوا جميعًا للخروج من بوابة المطار وكانت هناك عربة SUV تاهو سوداء في انتظارهما، أشار أحمد لحازم بالركوب، ثم ركب بجانبه في المقعد الخلفي.

بدأ حازم الكلام: بصراحة أنا منبهر! استقبالك لي على باب الطائرة وسرعة إجراءات الدخول والحقائب الجاهزة في انتظارنا والسيارة، العملية كلها لم تأخذ أكثر من ٢٠ دقيقة والتي عادة ما تأخذ ساعة ونصف أو ساعتين.

أجابه أحمد: يا دكتور حازم هذا أقل شيء ممكن نعمله لراحتك، يكفي أنك وافقت على القيام بهذه الرحلة الطويلة والمشاركة في أعمال المبادرة بدون مقابل.

يعلم أحمد جيدًا أن إبهار حازم عن طريق إعطائه الأهمية والمكانة الخاصة سيساهم إلى حد كبير بإقناع حازم بأداء المهمة.

قال حازم: صحيح، أنا لم أستطع أن أفهم منك كيف سنذهب إلى مصر من هنا؟

- لقد حجزنا لك طائرة خاصة، ومطار دبي ليس مهيأ لهذا النوع من الطائرات، فسوف تقلع الطائرة من مطار أبوظبي.

أخذت السيارة الطريق من دبي إلى أبوظبي في ساعة و٢٠ دقيقة، كان حازم فيها ما بين اليقظة والنوم ولم يتحدث خلال الرحلة كثيرًا مع أحمد، لاحظ حازم أن سائق العربة قد انحرف عن الطريق الرئيسي، رأى علامة إرشادية مكتوب عليها مطار أبوظبي الحربي، أشار إلى العلامة محدثًا أحمد: هل ستقلع طائرتنا الخاصة من مطار أبوظبي الحربي؟

أجاب أحمد: نعم، فكما قلت لك سابقًا الحكومة المصرية تتخذ جميع الإجراءات للحفاظ على سرية هذه المبادرة في الوقت الحالي، لهذا طلبتُ منك استخدام جواز سفرك المصري عند الدخول إلى دبي.

تسائل حازم: ومن وضع هذه الخطة المحكمة؟

قال أحمد في جدية: تستعين الحكومة المصرية بعناصر وضباط من المخابرات العامة لتأمين سرية الأعمال ذات الطابع المهم مثل مبادرة مصر٢٠٢٢، والتي سوف تساهم يا دكتور حازم فيها بمجهوداتك مع غيرك من العلماء المصريين.

بدأ عقل حازم يمتلئ بالإثارة، فهو في مهمة سرية، يُعامل فيها معاملة VIP وتقوم المخابرات المصرية بتأمين سرية انتقالاته.

تساءل حازم في عقله هل قد تتسبب له هذه المهمة في إحداث أي مشاكل مع الحكومة الأمريكية؟ أجاب عقله سريعًا:

- لماذا؟ فهو لا يعمل في أي ابحاث عسكرية وأيضًا ليس المطلوب منه نقل أي معلومات ذات طابع سري، ما يفهمه حتى الآن أن المطلوب منه استخدام علمه وأبحاثه لتطوير علوم التكنولوجيا والحاسب الآلى في مصر، لقد فعل الكثير من المصريين ذوي الجنسية الأمريكية أمثال الدكتور الباز والدكتور زويل أشياء مماثلة.

لا بُد وأن يطرد هذا القلق المنبعث من الإنسان الميديوكر الذي بداخله والذي يدفعه إلى مقاومة أي تغيير في نمط حياته المعتاد ويصور له هذا التغير كشيء خطير قد يهدد ما ينعم به من استقرار ممل.

مرت السيارة بعدة حواجز أمنية تكفل أحمد بهم جميعًا بإظهار التصريحات المطلوبة لأفراد الأمن، رأى حازم عن بعد طائرة عسكرية ضخمة مطلية باللون الأصفر الصحراوي والذي يشبه الزي العسكري المصري، وبدأ يظهر علم مصر على جسم الطائرة بوضوح.

نظر حازم الي أحمد متسائلا: هذه هي الطائرة التي سوف تقلنا الى مصر؟

أجابه أحمد: نعم، هي طائرة تابعة للقوات المسلحة المصرية، كانت مشاركة في التدريبات المشتركة مع القوات المسلحة الإماراتية، وتستخدمها الحكومة المصرية في بعض الأحيان لنقل المدنيين من أفراد الحكومة والسفارات.

مع اقتراب السيارة من الطائرة تبين لحازم حجم الطائرة العملاق، فهو لم يركب أي طائرة حربية من قبل، كان يشاهدهم فقط في الأفلام، ترجل حازم وأحمد من السيارة واتجها إلى مدخل الطائرة والذي يقع في الجزء الخلفي منها، كان في انتظارهما رائد بالزي العسكري المصري قابلهم بابتسامة قائلا: مرحبا يا دكتور حازم ويا أستاذ أحمد على متن طيران القوات المسلحة المصرية، أنا الرائد «علي» مساعد الطيار على هذه الرحلة المتجهة إلى مطار ألماظة الحربي، سوف تقلع الطائرة في تمام الخامسة مساء، بعد نصف ساعة بالضبط، سوف تستغرق الرحلة حوالى ٤

ساعات وهي فترة أطول مما يستغرقه الطيران المدني عادة لثقل حجم الطائرة المحملة بالمعدات. يمكنكم الاستراحة في مقاعدكم حتى ننتهي من مراجعة إجراءات السلامة والأمان.

قادهم الرائد علي إلى داخل الطائرة، وفي الداخل رأى حازم مركبتين حربيتين وبضعة صناديق مغلقة ومحكمة التثبيت، كانت الكراسي مثبتة على جانبي الطائرة، أشار الرائد عليّ إلى مقعدين على الجانب الأيسر من الطائرة وقال لكل من حازم وأحمد وعلي وجهه ابتسامة ودودة: لا يوجد هنا أماكن محددة للركاب كما في الطيران المدني، فالمقاعد كلها متشابهة.

ثم أشار إلى صندوق مثبت في جسم الطائرة وقال: بعد الإقلاع سأعلن عن إمكانية التحرك عند الوصول إلى ارتفاع ١٠ آلاف قدم، يوجد في هذا الصندوق أنواع مختلفة من المشروبات والسناكس الخفيفة، أيضا في مؤخرة الطائرة على نفس الجانب من مقاعدكم يوجد الحمام.

جلس كل من حازم وأحمد في مقاعدهم وكان يجلس أمامهم ٣ من ضباط القوات المسلحة المصرية، تبادل حازم وأحمد التحية والابتسام معهم ثم انشغل اثنين من الضباط في حديث خاص بينهم، أما الثالث فقد أخرج لاب توب أسود وأخذ ينقر على لوحة المفاتيح في تركيز.

بعد ٢٠ دقيقة، بدأ الكابتن على في التحدث من داخل كبينة الطيار: لقد انتهينا من جميع فحوصات السلامة والأمان للطائرة، الرجاء التأكد من ربط أحزمة الأمان، سنبدأ التحرك بإذن الله خلال العشر دقائق القادمة، بدأ هدير محرك الطائرة في العلو وبدأت الطائرة في الحركة ببطء متجهة إلى ممر الإقلاع، خلال دقائق معدودة أقلعت الطائرة في اتجاهها إلى مطار ألماظة الحربي.

بعد مرور أربع ساعات هبطت الطائرة في المطار الحربي، فرق التوقيت بين مصر والإمارات جعل الرحلة التي تستغرق ٤ ساعات تصل إلى القاهرة في الثامنة.

كانت هناك سيارة سوداء ذات دفع رباعي في انتظار كل من حازم وأحمد بالقرب من مدرج الهبوط، ركب كلاهما في المقعد الخلفي من السيارة وبدأت السيارة في التحرك، هنا سأل حازم أحمد قائلا: هل من الممكن أن أعرف أين سيكون محل إقامتي؟

اجابه أحمد: طبعا يا دكتور حازم، لقد حجزنا لك سويت في شيراتون الدقي لمدة ستة أيام قادمة.

قال حازم وقد ظهر على وجهه علامات الارتياح: لوهلة اعتقدت أنني سأقيم في أحد فنادق القوات المسلحة، أو مبنى سري تابع للمخابرات.

اختار أحمد شيراتون الجزيرة عن قصد ليقلل من توتر حازم ولا يزيد من إحساسه بالخطر مما قد يهدد قبوله بالمهمة، قال أحمد: لا يوجد حاجة لذلك، فأنت في مصر

لإجراء بعض المباحثات وما دام لا أحد على علم بوجودك لا حاجة لتحديد إقامتك، أهم شيء أن تبلغنا بتحركاتك ولا تحاول الاتصال بأي من أقاربك أو معارفك.

أحس حازم ببعض الاطمئنان أنه سوف يقيم في أحد سلاسل الفنادق العالمية في وسط البلد، ولكنه بعد برهة قال لأحمد: ماذا لو تَعرف عليّ أحد العاملين في الفندق؟ أو كان هناك أحد من أقاربي أو أقارب نادية نزيلا في الفندق في ذلك الوقت؟

ابتسم أحمد قائلا: لا تحمل هم، فقد قامت المخابرات بالتحريات اللازمة ولن يوجد في هذه الفترة أي أحد من العاملين أو رواد الفندق قد يتعرف عليك، ولقد قمت بكافة إجراءات التسجيل بالنيابة عنك، سأسلمك مفتاح الغرفة عند الوصول إلى الفندق ويمكنك الصعود مباشرة للغرفة للراحة، طبعًا حتكون جعان بعد هذه الرحلة الطويلة، اطلب خدمة الغرف وكله مدفوع الحساب.

وصلا حازم وأحمد إلى فندق الشيراتون، جاء حمال الحقائب ليحمل حقائب حازم بينما توجه أحمد إلى الريسبشن لاستلام مفتاح السويت الخاص بـ حازم.

- غرفتك رقم ٢٤٠٣ في الدور الرابع والعشرين، هذا الدور مخصص لرجال الأعمال، هناك نادي رجال الأعمال في الدور السادس والعشرين، تستطيع بمفتاح غرفتك أن تستخدمه في أي وقت، وتستطيع منه أن ترى □يو بانورامي للقاهرة، أيضًا يوجد فيه مختلف أنواع المأكولات والحلويات الشرقية والغربية على مدار الساعة.

- متشكر جدًا يا أستاذ أحمد، أنا في حاجة ماسة إلى أن آخذ شاور وأستريح من السفرية الطويلة خلال اليومين الماضيين.

- احتفظ برقم تليفوني معك، إذا احتجت أي حاجة كلمني، وغدًا ستأتي الدكتورة ريم لاصطحابك في التاسعة صباحًا إلى مكان الاجتماعات.

- تمام أشوفكم بكره إن شاء الله.

دخل حازم الى غرفته فأصابته الدهشة من اتساع حجم الغرفة، عند دخوله من الباب وجد غرفة استقبال كبيرة مفروشة بأثاث راقي يتكون من أريكة ومقعدين من النوع الذي يبدو عليه أنه باهظ الثمن، وهناك منضدة طعام كبيرة تتسع لـ٦ أشخاص، يوجد في غرفة الاستقبال بابين أحدهما يفتح على غرفة مكتب أنيقة والباب الآخر يفتح على غرفة نوم كبيرة، يوجد في غرفة النوم سرير «كينج بد» وأريكة أخرى ومقعدين أنيقين، اتجه حازم إلى بلكونة غرفة النوم وهنا لم يستطع أن يكتم الشهقة، فلقد كان أمامه مباشرة نهر النيل يمتد إلى ما لا نهاية، يقطعه كوبري قصر النيل بأسديه المشهورين. كانت القاهرة بأنوارها ونيلها من هذا الارتفاع الشاهق شيء لم يره حازم في حياته من قبل، ظل حازم متحجرًا أمام هذا المنظر حتى أفاقه رنين الهاتف، نظر حازم إلى الهاتف ليرى من المتصل، إنها نادية، لقد نسي أن يكلمها عندما وصل إلى الإمارات، مقابلة أحمد خارج الطائرة والذهاب إلى المطار الحربي في أبو ظبي ثم استقلاله الطائرة الحربية كانت كلها أحداثًا مثيرة أنسته

الاتصال بنادية، دخل حازم إلى الغرفة وأغلق النافذة بإحكام حتى لا تسمع نادية صوت ضوضاء القاهرة وأجاب الهاتف:

- ألو

- حازم أنت فين أنا بحاول أكلمك من ٤ ساعات.

- آسف يا نادية الرحلة كانت شاقة ويدوبك وصلت الفندق ونمت على طول والتليفون كان فاصل شحن.

نعم إنه يكذب على نادية، ليس السبب ما طلبه منه أحمد أن يحتفظ بسرية هذه الرحلة وألا يخبر بها أحد ولكن لأنه يعرف نادية جيدًا، فهي لن تتفهم أبدًا ما يفعله حازم. نادية أمٌ ممتازة لدرجة أنه في بعض الأحيان يحس أنها تتصرف معه كأمه، فدائمًا ما يسمع منها:

«المفروض نعمل كذا»، «هي ديه الأصول»، «لأ ماينفعش نعمل كدا» فهي نشأت على مجموعة من العادات والتقاليد والتي تعتبرها كتاب مقدس لتسيير حياتهما، لا يمكنها أن تتخطى التعليمات الموجود في هذا الكتاب أو الخروج عن نصوصه.

هي أيضًا زوجة ممتازة، ماهرة في طبخ أصناف متعددة من الطعام والتي تعلمتها من والدتها، عادة لا يكون لديها الاستعداد لأن تقف في المطبخ لتجربة أكلات جديدة فهي متمسكة بما تعلمته في مطبخ والدتها ولكن ما تطبخه من الطعام دائمًا ما يكون طيب المذاق، تحافظ نادية على المنزل نظيفًا ومرتبًا، ومسؤولة عن التدبير والاقتصاد في مصاريف المنزل، لكن حازم أرادها شريكته التي تستمع إلى أفكاره المجنونة وأن تثق في قدراته، أن تشجعه على المخاطرة وأن يكون على يقين أنها سوف تقف بجانبه مهما كانت النتائج.

منذ ٣ سنوات أراد حازم أن يفتح بيزنس خاص به كاستشاري في مجال الأمن الرقمي وعندما فاتح نادية في رغبته تلك، صدمته بأنها أخذت تعدد له المخاطر التي قد يواجهها إذا ترك عمله مع شركته العالمية الحالية وأن وظيفته الحالية هي الأكثر أمانًا للأسرة، لا يلومها حازم على هذا التفكير فقد تربت في بيت كان والدها موظفًا حكوميًا، وكانت دائمًا الوظيفة الحكومية هي صمام الأمان للأسرة، لكنها لم تعطِ لنفسها الفرصة لكسر هذا الطوق من العادات والتقاليد الذى يقيد عنقها وأصبح يقيد عنقه هو الآخر، لم تكن لديها الثقة الكافية لتخوض معه المغامرة وتكون جزءًا منها، لا يوجد مشكلة في أن يفشل الإنسان، فكل تجربة تكون خطوة نحو النجاح لتحقيق حلم صعب المنال. أرادها حازم في بعض الأحيان الحبيبة العاشقة والتي تستمع إليه في إعجاب وثقة، التي تشتاق للحديث معه والقرب منه، أن تعطيه الإحساس بأنه أهم شيء في حياتها، لم تكن نادية جياشة العواطف والمشاعر فهذه الأشياء بالنسبة لها تعتبر عيبًا.

- هل تناولت طعام العشاء؟

- ليس بعد، لقد استيقظت من النوم منذ لحظات قليلة، سوف أرتدي ملابسي وأذهب لكي أتناول طعامي بعد قليل، كيف حالكم أنتِ والبنات؟

- تمام، فرح كان عندها درس موسيقى بعد المدرسة، وصلتها ولسه راجعين وسلمى بتذاكر عندها امتحان غدًا.

أراد حازم أن يسمع منها كلمة وحشتني، لو كانت قالتها لكان اعترف لها بكل شيء ولا يبالي، هذا البرود العاطفي بينه وبين نادية من أهم أسباب رغبته في التخلص من حياته الرتيبة التي يعيشها، لا يريد حازم أن يستسلم لخبو المشاعر العاطفية والذي باعد بينهم ويبدأ في الاقتناع بأنه مع مرور الزمن سينتهي ما بينهم من رغبة واشتياق ويزداد بعد المسافة بينهم ويصبح كل همهم هو زواج سلمى وفرح واستقبال الأحفاد وتكرار نفس الحلقة المفرغة من العادات والتقاليد التي وقعا هما ضحيتها.

- و ما هي خططكم للعشاء الليلة؟

- البنات طلبوا ياكلوا بيتزا، كمان شوية أطلبها لما تنتهي سلمى من المذاكرة.

- بالهنا والشفا، أنا سوف أذهب للمطعم فأنا أتضور جوعًا وسوف أحادثك قبل أن أنام.

- أوكي، باي.

صعد حازم إلى الدور السادس والعشرين لمشاهدة ال□يو البانورامي للقاهرة من نادي رجال الأعمال والذي أخبره عنه أحمد. وجد في مكتب الاستقبال فتاة مصرية سمراء ذات شعر كيرلي جميل وابتسامة رقيقة، تبدو صغيرة في السن.

- أهلا يا فندم شرفتنا.

ابتسم حازم: متشكر جدًا، أنا سامع أن عندكم □يو جميل للقاهرة من هنا.

- طبعا يا فندم، وعندنا مختلف أنواع المأكولات والمشروبات في البوفيه، أتشرف برقم غرفة حضرتك؟

- ٢٤٠٣.

- آه، هو حضرتك مافيش اسم مسجل على الغرفة ولكن حضرتك تشرفنا في أي وقت.

- أنا اسمي حازم.

- أهلا يا فندم.

- و أنتِ اسمك ايه؟

- نيرمين، أنا ممكن أفرج حضرتك على المكان في الداخل لو تحب.

- يا ريت!

كان نادي رجال الأعمال مكون من صالة كبيرة متسعة على شكل دائري ومقسمة إلى عدة صالونات مفروشة بأثاث غربي مودرن قيّم المظهر. كان الزجاج يغطي

الحائط من جميع الجوانب فأينما نظرت رأيت أضواء العاصمة التي لا تنام، كان هناك عدد محدود من نزلاء الفندق في نادي رجال الأعمال وكانت موسيقى عمر خيرت الهادئة تشدو في المكان بصوت خافت. اتجهت نرمين إلى أحد الجوانب وأشارت بيدها: هذا هو كوبري قصر النيل المشهور بتمثال الأسدين عند مدخله ومخرجه، المبنى الأحمر هناك هو المتحف المصري.

أشار حازم إلى مبنى آخر يبدو شديد الأناقة وتعتليه إضاءة هادئة تضفي عليه نوع من الوقار: وما هذا المبنى؟

- هذا مبنى الأوبرا المصرية والتي قامت مصر ببنائها بمساعدات يابانية وتم افتتاحها في عام ١٩٨٨ وقد بنيت دار الأوبرا الحديثة على الطراز المعماري الإسلامي وبجانبها فندق كارلتون ريتز المشهور.

لمح حازم أيضا مبنى الإذاعة والتليفزيون والذي يعرفه جيدًا على ضفاف نهر النيل وبرج القاهرة بأنواره الخلابة، كان النيل يمر به أحد المطاعم العائمة ذات الأنوار الملفتة، قرأ اسم مكسيم مكتوب باللون الأحمر النيون على المركب، كان حجم المركب يدل على أنه أحد المطاعم الفاخرة، أثار مشهد المركب العائم في النيل مشاعر حازم، لا بد وأن يقوم بهذه التجربة «الإبحار في النيل والتمتع بجمال القاهرة الليلي مع زوار القاهرة من النخبة».

اتجهت نرمين إلى جزء آخر تستطيع أن ترى منه قلعة صلاح الدين عن بعد، كانت القلعة مسلطا عليها أنوارًا بنفسجية وحمراء تُضفي على معمارها الإسلامي الفريد نوعًا من الفخامة والتميز، قالت نيرمين: هذه قلعة صلاح الدين والقاهرة القديمة، في الصباح سوف يكون بإمكانك أن ترى المباني والمساجد الأثرية الأخرى أكثر وضوحًا.

ثم اتجهت إلى الجزء الغربي من الصالة وقالت: ومن هنا تستطيع أن تشاهد أهرامات الجيزة، للأسف لقد انتهى عرض الصوت والضوء منذ قليل ولكن يمكنك رؤيتها بوضوح في الصباح أيضا.

توجهت نيرمين إلى صالة مغلقة وقالت: هنا المكتبة، لو حضرتك حبيت تقوم ببعض الأعمال في هدوء وبدون إزعاج سيكون هذا هو المكان المثالي.

- حضرتك تحب تشرب إيه؟

- ما هو المشروب المفضل لديكم؟

- هل تحب المانجو؟ عصير المانجو عندنا هيعجب حضرتك.

- تمام، ممكن أجرب عصير المانجو.

- اتفضل حضرتك اجلس في المكان الذي تفضله وأنا سوف أرسل أحدًا حالًا بالعصير.

اتجه حازم إلى منضدة يستطيع منها رؤية كوبري قصر النيل المليء بالسيارات والمارة ومبنى الأوبرا العريق، جلس متأملًا هذا المشهد الخلاب، لقد كان على حق عندما وافق على هذه المهمة، لم يكن يحلم في يوم من الأيام أن يجلس في هذا المكان يشاهد القاهرة الجميلة من هذا العلو، لقد جاء إلى القاهرة عدة مرات بعد هجرته إلى أمريكا مع نادية والبنات وأقام في فنادق مختلفة ولكنه دائمًا ما كان يبحث عن مكان يناسب الأطفال وزوجته، لم يكن يدري بوجود مثل هذا المكان شاهق الارتفاع والذي يبدو له برج القاهرة كالأخ الأصغر قصير القامة، فالقاهرة مليئة بالأسرار التي لا يعلمها إلا النخبة.

جاء شاب صغير حاملا كوب المانجو: عصير المانجو يا فندم.

- شكرا.

شرب حازم من كوب المانجو، انتابه إحساس غريب بالانتشاء، لم يشرب حازم عصير مانجو بهذا الطعم من قبل، لا يمكن مقارنته بالمانجو في أمريكا او أي بلد آخر، يبدو أن بُعده عن مصر طوال هذه المدة أنساه طعم المانجو المصري، حتى في زياراته كان غالبًا ما يشتري المانجو المعلبة والتي ليس لها نفس طعم العصير الذي تذوقه في هذا الكوب، هذه هي مصر التي يريد أن يعيش بها، يريد حازم أن يظل في هذا الموقع العالي، يرى أجمل ما فيها ويتذوق أطيب خيراتها.

بعد انتهاء حازم من العشاء اتجه إلى المصعد فوجد نيرمين عند مكتب الاستقبال فقال لها: عصير المانجو عندكم متميز جدا.

- شرفتنا يا فندم، يارب يكون الأكل عجبك كمان.

- بصراحة كل حاجة ١٠/١٠

- علي فكرة لو حضرتك حابب تسهر يوجد بند شرقي في مطعم الراوي في الدور الأول هيعجبك جدا.

- شكرا، بصراحة أنا في غاية التعب، لقد أمضيت ٢٤ ساعة على سفر ومرهق جدًا.

- ألف سلامة يا فندم، علشان حضرتك تبقي عارف احنا عندنا أخصائية مساج من تايلند ممتازة في النادي الصحي، كل العملاء اللي جربوها شكروا فيها جدا اسمها « نَوي»

- بصراحة أنا ماليش فى المساج، أفضل أروح الجيم أكثر، ولكن شكرًا على المعلومة.

ابتسمت نيرمين: شرفتنا يا فندم وإن شاء الله نراك غدًا على الفطور.

اتجه حازم إلى غرفته وقد تملّك منه الإرهاق والتعب فاستبدل ملابسه واتجه إلى النوم مباشرة، لم يتصل بنادية كما وعدها.

أفاق حازم من النوم وكانت الساعة الثامنة ونصف، أمامه نصف ساعة فقط على ميعاد مجيء الدكتورة ريم لاصطحابه، أزاح حازم الستارة ليلقي نظرة على نهر النيل في الصباح، كوبري قصر النيل يمتلئ بالسيارات والتي تطلق نفيراها بدون حياء، ينعكس ضوء الشمس الهادئ على مياه النيل فيضفي عليه بريقا كلمعة الفضة، أسرع حازم إلى أخذ شاور واستبدال ملابسه، ارتدى حازم البدلة الرسمية التي أحضرها معه لحضور الاجتماع مع المسؤولين، فالانطباع الأول دائمًا ما يبقى ومن الصعب تغييره.

كعادته فضل حازم أن ينتظر ريم في صالة استقبال الفندق قبل الميعاد بـ ١٠ دقائق على أن يتناول الفطور، رأى حازم ريم وهي تدخل من بوابة الفندق الرئيسية في تمام التاسعة، كانت ترتدي بدلة بيضاء أنيقة وأسفل الجاكيت ترتدي قميصًا كحليًا أنيقًا وحذاءً أسودًا، تبدو في زيها هذا كسيدة أعمال ذات ذوق راقي في اختيار الأزياء.

- صباح الخير يا دكتور حازم.

- صباح الخير يا دكتورة ريم.

- آمل أني لم أجعلك تنتظرني لفترة طويلة.

ابتسم حازم: أنتِ جاية في ميعادك بالضبط، أنا بدأت أحس أن المصريين بدأوا يتغيروا ويحضروا في الموعد المحدد على خلاف ما اعتدت.

ضحكت ريم ثم قالت: مستعد لأن نتحرك؟

- مستعد.

تحركا صوب جراچ الفندق، وتوجهت ريم إلى سيارة نيسان قشقاي رياضية صفراء اللون وركب كل من حازم وريم السيارة.

- لحقت تفطر يا دكتور حازم؟

- في الحقيقة لا، لقد نمت متأخرًا ليلة أمس ولم أفق إلا في الثامنة والنصف.

- لا زال لدينا وقت، فالاجتماع سيبدأ في العاشرة والمسافة ستأخذ حوالى ٤٠ دقيقة، تحب نفوت على ستار بكس لشراء القهوة والباجل؟

- لو ينفع نفوت على جاد ونجيب سندوتشات فول وفلافل يبقى أفضل بكثير.

ضحكت ريم: علم وينفذ، أكيد طبعا زهقت من الفطار الأمريكاني.

مرت لحظات من الصمت، كان حازم يحاول أن يقرأ شخصية ريم، فهو يراها من وجهة نظره فتاة نموذجية بشكل ملفت، أراد حازم أن يعرف المزيد عنها: ريم، ممكن أسألك سؤال شخصي ولا تشعري بالحرج إن كنتي لا تريدين الإجابة؟

- اتفضل يا دكتور حازم.

- علي فكرة أنا رفعت التكليف وبناديكِ يا ريم، فأنت ممكن تناديني حازم. أنت عندك كام سنة ياريم؟

ضحكت ريم: كان لدي الإحساس أنه سيكون هذا هو سؤالك، أنا عندي ٣١ سنة.

- شكلك أصغر من كده بكتير، أنا قلت مش هتعدي ٢٦.

- شكرا يا دكتور... آسفة يا حازم، ولكن في سن ٢٦ لم أكن لأستطيع الانتهاء من رسالة الدكتوراة وعمل أبحاث علمية تمكنني من أن أكون أستاذة في الجامعة.

- و كيف لم تتزوجي حتى الآن؟ لكي كامل الحرية ألا تجيبي عن هذا السؤال أيضًا.

- لا أنا فعلا تزوجت وانا عندي ٢٥ سنة وكنت بحضر الماچستير، أثناء فترة الخطوبة أقنعني أنه ليس لديه أي مانع من أن أكمل دراستي وأن أحقق طموحي، كان هو أيضا يعمل في نفس المجال مهندس حاسب آلي، ولكن بعد بضعة شهور من الزواج أصبح يغار من عملي وجاءتني منحة لاستكمال الماجستير في بريطانيا ولكنه رفض، فلقد أرادني زوجة شرقية، كل طموحها بيتها وأطفالها ولم أكن من هذا النوع، طلبت الطلاق وانفصلنا بعد الزواج بستة أشهر والحمد لله لم يكن هناك أطفال، بعدها قررت أن أركز في مستقبلي العلمي، أما الارتباط فله وقته عندما يأتي النصيب.

فكر حازم، زواج ريم هو نموذج معتاد لتجربة الشباب في مصر، التسرع في قرار الزواج قبل أن يكون هناك أي رؤية واضحة للمستقبل، فالضغط الاجتماعي لأن تتزوج الفتاة في سن صغير بعد التخرج من ابن الحلال اللي عنده إمكانيات ينتج عنه أن يرتبط شخصان قد يحاول كل منهم هدم طموح الآخر فيما بعد لمجرد اتباع عادات وتقاليد بالية.

هناك من يتمرد على هذه العادات مثل ريم وهناك من يتبعها بالحرف مثله هو ونادية.

- أنا آسف إن كنت ضايقتك.

- لا أبدًا ، لقد وصلنا إلى جاد، طلباتك ايه؟

- لا مايصحش، أنتي تحبي تطلبي ايه؟

- ساندوتش طعمية لو سمحت.

رد حازم وعلي وجه ابتسامة عريضة: قصدك فلافل، تمام.

رجع حازم ومعه السندوتشات: هل يمكن أن نأكل في السيارة ولا ممنوع من أجل رائحة السيارة.

أجابته ريم ضاحكة: نحن لا بد وأن نأكل في السيارة لكي نلحق بالميعاد، أنا عندي في العربية سبراي سأستخدمه بعد الانتهاء من الطعام.

أخذ حازم يقرأ لافتات المرور الإرشادية وهما في طريقهم إلى الاجتماع، أخذت ريم مخرج منطقة حدائق القبة من كوبري ٦ أكتوبر، كانت الطرق التي تتبعها ريم طرقا واسعة تكثر فيها الأشجار والمباني فيها متناسقة، لم يكن حازم على معرفة بهذه المنطقة من قبل، يبدو أنها لاقت اهتمام من المسئولين فلا يظهر فيها عشوائية البناء كالكثير من مناطق القاهرة الأخرى. لمح حازم مبنى عن بعد، كان المبني مشيدًا على طراز معماري غربي حديث يفصله عن أي بناء آخر مساحة شاسعة.

سأل حازم ريم: ما هذا المبنى الحديث الذي يبدو من على بُعد؟ يبدو أنه مبني مهم.

ابتسمت ريم: هذا مبني المخابرات العامة المصرية، هذا هو مكان اجتمعنا اليوم.

نظر اليها حازم بدهشة: المخابرات؟! لماذا لا ينعقد الاجتماع في أي من الوزارات المشرفة على المؤتمر؟

أجابته ريم: نحن نحاول أن نحيط هذه المهمة بسرية، خاصة ما يتعلق بأجهزة تشفير البيانات لتجنب تسرب أي معلومات بطريق مباشر أو غير مباشر وهو ما قد يترتب عليه محاولة بعض الدول الأخرى المتربصة بمصر العمل على إفشال هذه المبادرة. لقد تم اختيار مجموعة عمل من ذوي الثقة، هذه المجموعة مسئوليتها أن تتواصل مع العلماء من أمثال حضرتك لتجمع المعلومات الدقيقة والخاصة بأجهزة التشفير ورفع تقرير إلى الأجهزة المسئولة.

لقد تدربت ريم جيدًا على كيفية الجواب على مثل هذا النوع من الأسئلة، خلال فترة التحضير اجتمع أحمد وريم وإيهاب الذي حضر من واشنطن لحضور هذا الاجتماع للتدريب على كافة أنواع الأسئلة والتحديات التي قد تعوق أن يقبل حازم المهمة.

استطرد حازم قائلا: وهذه الجهات المسؤولة هي الجيش؟

أجابته ريم وملامح وجهها يرتسم عليها الجدية: تساهم وزارة الدفاع في جزء من الأبحاث وميزانية هذه المبادرة، هذا شيء متعارف عليه عالميًا، فأول ظهور لجهاز الـ چي بي اس كان عن طريق أبحاث تمت بواسطة وزارة الدفاع الأمريكية وكذلك شبكات الاتصالات اللاسلكية، حتى علم أجهزة التشفير الحديثة تمول وزارة الدفاع الأمريكية الكثير من أبحاثه.

صمت حازم فلقد كان ما قالته ريم صحيحًا، كثير من الأبحاث التي عمل فيها شخصيا كانت بتمويل وإشراف وزارة الدفاع الأمريكية.

قرأ حازم لافتة كبيرة على واجهة المبنى « المخابرات العامة المصرية «، وصلا إلى البوابة الخارجية للمبني واقترب منهم حارسا أمن يمسك أحدهم بطوق كلب چرمن شيبرد عملاق والآخر يحمل بندقية آلية، أظهرت ريم بطاقة بلاستيكية من النوع الذي يستخدم لدخول المباني ثم سلمت حارس الأمن ورقة مطبوعة، نظر حارس الأمن في الورقة بينما كان الشخص الآخر يدور حول السيارة بكلب الحراسة، توجه الحارس الأول بنظره إلى موظف أمن داخل مبنى الحراسة وأشار إليه بفتح البوابة، ثم نظر إلى ريم وأعطاها الورقة قائلا: اتفضلي يا فندم.

نظر حازم إلى ريم: هو أنتي شغالة في المخابرات؟

ضحكت ريم: أنا أستاذ دكتور في الجامعة وأعمل كاستشارية مع جهات حكومية كثيرة وليس فقط المخابرات. على فكرة أنا مقدرة تمامًا إحساسك بالقلق فقد انتابني نفس الإحساس عندما جئت هنا لأول مرة وخصوصًا أن اسم المخابرات في مصر يعتبر خط أحمر يفضل الكثير الابتعاد عنه، ولكني أؤكد لك أنك تقدم لمصر خدمة عظيمة ستفتخر بها دائمًا.

ابتسم حازم، لم يكن يريد أن ترى ريم قلقه النابع من الإنسان الميديوكر الذي يعشش بداخله.

دخل كلا من حازم وريم من البوابة الرئيسية للمبنى وتوجها إلى مكتب الاستقبال، فعلت ريم نفس الشيء الذي فعلته عند بوابة الدخول الخارجية. رفع حارس الأمن سماعة الهاتف وطلب رقم، ثم تحدث في الهاتف بصوت منخفض ثم وضع سماعة الهاتف ونظر إلى كل من حازم وريم ثم أشار إلى أريكة في صالة الاستقبال: يمكنك الاستراحة حتى يأتي أحد لاصطحابكم إلى صالة الاجتماعات.

مرت دقائق معدودة حتى ظهر المقدم أحمد قادمًا من داخل المبنى، كان أحمد يرتدي بدلة ذات لون رصاصي أنيق يبدو فيها جسمه متناسق القوام كبطل أحد الأفلام السينمائية، أحس حازم بقليل من الغيرة، كيف لشخص مثل أحمد والذي يقاربه في السن أن يكون مسؤولا عن مبادرة مهمة مثل تلك؟ ما هي مؤهلاته؟ وكيف يحتفظ برشاقة قوامه وأناقته هكذا؟ هل هو إنسان ميديوكر أيضا؟ لا يستطيع حازم التحديد الآن فلا بد له من معرفة أحمد أكثر.

- أهلا يا دكتور حازم، هل استطعت النوم جيدًا ليلة أمس؟

- صباح الخير، أنا سمعت كلامك وسهرت شوية في نادي رجال الاعمال، مكان متميز بصراحة، بعدها رحت في غيبوبة حتى الصباح.

ضحك أحمد: لك عليّ أن أصطحبك إلى أماكن مماثلة في القاهرة، فالقاهرة المدينة التي لا تنام.

ابتسم حازم وقال: لم أكن أعلم أن القاهرة أصبحت مثل باريس.

أجابه أحمد وفي لهجته بعض الجدية: يا دكتور حازم ما يقولونه عن باريس مجرد تسويق لجذب السياح، حتى البارات تغلق في الثانية صباحًا في باريس، ولكن هنا في القاهرة انزل الشارع في أي وقت سوف تجد ناس وسيارات ومقاهي ممتلئة وأماكن للأكل مكتظة بالرواد.

شعر أحمد بعد هذه المقدمة مع حازم أن ريم قد نجحت في تهدئة حازم والتقليل من توتره، كان يتوقع أن يمطره حازم بسيل من الأسئلة عما يفعله في هذا المكان وأن تظهر عليه علامات القلق المفرط.

اصطحب أحمد ريم وحازم إلى داخل المبنى وعند بوابة أمنية أخرج أحمد كارت أمني يسمح له بالدخول ومرره على القارئ الضوئي ثم أدخل كودًا سريًا.

قال حازم متهكمًا: يبدو أنك أيضا تعمل مع المخابرات يا أحمد وناوي تجندني للعمل معك أنت وريم.

ارتبك وجه ريم بينما ابتسم أحمد ولم يعقب على ما قاله حازم، أشار أحمد إلى حازم بالدخول إلى إحدى قاعات الاجتماعات وكانت القاعة متوسطة الحجم يتوسطها منضدة يجلس عليها المقدم إيهاب والذي يعرفه حازم باسم محمد، تبادل إيهاب وحازم السلام وبعض العبارات عن رحلة حازم إلى مصر ثم جلس الجميع إلى منضدة الاجتماعات، وبدأ أحمد الكلام:

- دكتور حازم أحب أبلغك شكر وتقدير المسؤولين في الحكومة المصرية على قبولك الاشتراك في مبادرة مصر ٢٠٢٢ والتي سوف تساهم في تطوير نظم التكنولوجيا والمعلومات في مصر ويجب أن تعلم أن مشاركتك هذه اختيارية تمامًا ولك كامل الحرية في الانسحاب إن أردت.

- لا يوجد مشكلة، هذا شيء صغير أستطيع أن أقدمه لمصر.

- حضرتك سبق وقابلت فريق العمل الموجود هنا حاليا في واشنطن، دكتورة ريم أستاذة علوم الحاسب الآلي والتشفير في جامعة عين شمس، الأستاذ محمد من مكتب الملحق الثقافي في السفارة في واشنطن والذي سوف يكون له دور أساسي في تنظيم المقابلات وجدول أعمال هذه المجموعة خاصة عند عودتك لواشنطن وأنا المقدم أحمد علام من المخابرات العامة المصرية والمسؤول عن ملف الأمن الرقمي وتكنولوجيا المعلومات وأيضا مسؤول عن التنسيق مع كافة الوزارات المعنية لإطلاق مبادرة مصر ٢٠٢٢.

ظهر على حازم علامات الانزعاج وقال لأحمد: أنت تعمل في المخابرات؟ لماذا لم تقل لي ذلك في واشنطن؟

- دكتور حازم لكل معلومة وقتها المناسب وأنا لم أكذب عليك، كان من الطبيعي إذا قلت لك في واشنطن أنني ضابط في المخابرات المصرية أن يسبب لك ذلك اضطرابًا ويؤثر في اتخاذ قرارك. لقد رأيت أنه من الأفضل تأجيل الإفصاح عن هذه المعلومة إلى وقت قدومك إلى مصر حتى أستطيع أن أشاركك كافة المعلومات والتي بعض منها في غاية السرية. وكما قلت فإن لك كامل الحرية أن تطلب المغادرة الآن وسيظل جناحك في الفندق محجوزًا إلى نهاية الأسبوع وسنأمن رحلة رجوعك إلى واشنطن في سرية تامة.

سكت أحمد للحظات منتظرًا رد فعل حازم، ولكن حازم ظل صامتًا فقد كان غارقًا في تفكير عميق.

استطرد أحمد قائلا: دكتور حازم إنك على وشك القيام بعمل جليل من أجل مصر، اشتراكك في هذه المهمة سوف يجعلك من الأبطال القوميين وسيكون لك أثر واضح في حياة كل مصري، لن تساهم هذه المهمة فقط في تطوير علوم التشفير في مصر ولكن ستساهم في حماية الأمن القومي المصري عن طريق سد الثغرات الأمنية التي يستخدمها المتربصين للإضرار بمصر.

لم يكن حازم منزعجًا بالقدر الذي يظنه أحمد، لقد بدأت تساور حازم الشكوك منذ وصوله إلى المطار الحربي في أبوظبي وتأكدت ظنونه عند وصوله إلى مكتب المخابرات اليوم واستقبال أحمد له والذي بدا كأحد العاملين في المبنى. جزء كبير من حازم تعجبه التجربة، فمنذ دخوله مبنى المخابرات وضربات قلبه أعلى من المعدل الطبيعي، يشعر بالأدرينالين وهو يتدفق في دمه، إن رفض حازم المهمة من قبل حتى الاستماع إلى التفاصيل فهو إذن يقضي على فرصة قد أتيحت له لخوض مغامرة قد يكون لها تأثير على مستقبل واستقرار بلده مصر وقد يأخذ هو دور البطولة في هذه المغامرة، وإن قرر الاستماع إلى تفاصيل المهمة قد يدرك فيما بعد أنها أكبر من قدراته ويتعرض إلى مخاطر لا يقدر على تحملها، عندها سيكون قد فات وقت التراجع، ظل حازم صامتًا لحيرته في اتخاذ قرار، هل يستمع إلى عقله الذي يسيطر عليه تفكير الإنسان الميديوكر أم يرضخ للإثارة التي تضخها مادة الأدرينالين في عروقه وقلبه، لقد ضغط أحمد على الوتر الحساس عندما قال « ستجعلك هذه المهمة من الأبطال القوميين»، إنه أمام اختيارين وعليه أن يتخذ قراره في هذه اللحظة، لقد كان يبحث عن المغامرة فليستمع إذن للمهمة وليذهب الإنسان الميديوكر إلى الجحيم.

لكن حازم لا يعرف كيف يخبر أحمد أنه موافق، فلسانه يعجز عن نطقها، ما زال يرغب في سماع التفاصيل ويريد أن يكون له رأي في الخطة التي قام بوضعها جهاز المخابرات، أخيرًا قال لأحمد بعد فترة صمت: أنا عندي فضول أن أسمع تفاصيل المهمة لتحديد إن كان لدي القدرة على تنفيذها بدون التعرض إلى مخاطر قد تهدد حياتي أو أسرتي.

ظهرت ابتسامة واسعة على وجه ريم وصفق إيهاب بيديه إعلانا عن ترحيبه برد حازم، بينما ظل وجه أحمد جامدًا وقال لحازم: وأنا أؤكد لك أن مهمتي الأولى هي سلامتك الشخصية وأن لا يلحق بك أو أسرتك أي ضرر.

أدار أحمد جهاز العارض الضوئي الذي أمامه وبدأ في عرض ملف من جهاز الكمبيوتر المحمول الذي أمامه: في الخمس سنوات الماضية، تم الهجوم على جنودنا من أفراد القوات المسلحة والشرطة في عدة كمائن ونقاط تفتيش في سيناء، الواحات، القاهرة واستشهد في هذه الحوادث ما يزيد عن مائتي وخمسين ضابط ومجند، هل تساءلت يا دكتور حازم لماذا تحدث هذه العمليات الإرهابية بشكل متكرر وعدم قدرة أجهزتنا الأمنية على ردعها؟

- قلة التدريب وكفاءة الجنود على التعامل مع هذه التهديدات، بجانب عدم قدرة الأجهزة الأمنية على اختراق هذه المنظمات الإرهابية؟

ابتسم أحمد ابتسامة فيها شيء من الألم ثم قال: لقد قامت قواتنا الاستخباراتية بمنع وإحباط العديد من الهجمات الإرهابية وقد كان لي الشرف أن أكون أحد المساهمين في القبض على خلية إرهابية خطيرة في ليبيا كانت تستهدف قواتنا في نقاط التفتيش على الحدود الغربية، لولا هذه الجهود لكان عدد الشهداء والضحايا يفوق الأعداد الحالية بكثير.

أخذ أحمد يستعرض بعض الصور للدمار الذي حل ببعض النقاط الأمنية من مركبات محطمة وجنود قتلى، ثم أردف: توجد العديد من المنظمات الإرهابية على حدود مصر الغربية والشرقية والجنوبية ولا يمكن لعناصرنا الاستخباراتية تغطية كل هذه الحدود الشاسعة.

ثم نظر إلى حازم ثم قال: ما ينقصنا هو أنظمة دفاعية حديثة ووسائل إنذار مبكر كالتي تستخدمها الدول الغربية في تأمين حدودها.

ظهرت على شاشة العرض صور لبعض الطائرات الصغيرة واستطرد أحمد: هذه نماذج لطائرات استطلاع بدون طيار « درونز» يمكنها الطيران على ارتفاعات منخفضة وتحديد أي تحركات مشبوهة والتعامل معها عن بعد.

قال حازم: نعم، فأمريكا تستخدم هذا النوع من الدرونز على حدودها مع المكسيك وجمع معلومات استخباراتية في الخليج العربي حول أنشطة إيران العسكرية.

استطرد أحمد: حاولت القوات المسلحة عدة محاولات للحصول على هذه المعدات الاستخباراتية الحديثة ووسائل الاستطلاع والإنذار المبكر ولكن عادة ما كان طلبُنا يقابل بالرفض والسبب هو عدم وجود الضمانات الكافية بأن هذه الأسلحة الحديثة لن تقع في يد دول غير صديقة للغرب وقد تستخدم ضد دولة إسرائيل، هذه الأنظمة الحديثة معقدة للغاية فلا يكفي أن تحصل فقط على المعدات ولكن يلزم استخدام سوفت وير خاص باستقبال البيانات وتحليلها واتخاذ القرارات اللازمة للتعامل مع الأخطار، ويوجد عدد محدود للغاية من الدول يمتلك مثل هذه الأنظمة المتطورة.

بدأ أحمد في عرض صور جديدة لنوع من الطائرات والتي تحمل علم الصين، ثم استطرد قائلا: لم تيأس قواتنا المسلحة من رفض الدول الغربية بتزويدنا بهذه المعدات والبرامج الحديثة، واتجهنا إلى الشرق وخاصة الصين، فيوجد عندهم أنواع مماثلة للدرونز التي يتم إنتاجها في أمريكا وألمانيا وفرنسا واستطعنا بقوة علاقتنا مع الحكومة الصينية الاتفاق مع الشركة المصنعة على توريد هذه الأنظمة إلى مصر ولكن قبل ميعاد التسليم فوجئنا باعتذار من الحكومة الصينية عن إمكانية إتمام الصفقة وبدون إبداء أي أسباب، ولكن عن طريق مصادرنا الخاصة عرفنا أنه كان هناك ضغط من أمريكا وإسرائيل تحديدًا على الصين بعدم إتمام الصفقة وإلا ستضر تلك الصفقة بالعلاقات الأمريكية الصينية.

ظهرت صور جديدة على الشاشة لطائرات من نوع مختلف، واستطرد أحمد: لم نيأس وحاولنا مجددا مع الهند، وقبل إتمام الصفقة فوجئنا باعتذار الحكومة الهندية عن إتمامها، وصلتنا معلومات مشابهة أن نفس الدول مارست الضغط على الهند حتى لا تبيع هذه الأسلحة المتطورة إلى مصر.

كان السؤال المحير كيف تعرف هذه الدول الغربية بخطتنا للاستحواذ على هذه الأنظمة الحديثة بالرغم من سرية المحادثات مع حلفائنا في الشرق.

بعد مجهودات استخباراتية طويلة من البحث والاستقصاء داخل مصر وخارجها جاءتنا معلومات مؤكدة أنه توجد عناصر استخباراتية لهذه الدول تمكنت من

الحصول على المعلومات السرية الخاصة بهذه الصفقات من أحد أفراد القوات المسلحة والذي له القدرة على الحصول على هذه المعلومات، وتمكن خبراء التشفير في المخابرات الحربية باعتراض بعض الرسائل المشفرة والتي ترسل إلى خارج مصر، وعند محاولة تعقب هذه الرسائل وفك شفرتها اتضح أن من يرسلها يستخدم تكنولوجيا تشفير حديثة لا نملك مثلها في مصر، وبمساعدة الدكتورة ريم والتي تمكنت من تحليل هيكل الرسائل المشفرة ومقارنتها بأساليب التشفير التي تتبعها الشركات العالمية المختلفة تمكنت من الوصول إلى أن الشركة المصنعة لهذه الشفرة هي شركة ASR والتي تعمل بها يا دكتور حازم.

سكت أحمد ونظر إلى حازم منتظرًا تعليقه، ولكن حازم ظل صامتًا ليستوعب ما قاله أحمد، أخيرًا تكلم حازم قائلا: أكيد أن الدكتورة ريم أوضحت لك أن هذا النظام من الشفرات قد تم بناؤه بطريقة لا يمكن لأحد أن يفك هذه الشفرة إلا من يملك مفتاحًا خاصًا يتم تكوينه في جهاز محدد ومملوك لهذا الشخص أو المنظمة، فأنا لا يمكنني مساعدتك في فك هذه الشفرة من غير وجود هذا الجهاز.

هنا تدخلت الدكتورة ريم لأول مرة منذ أن بدأ الاجتماع قائلة: نحن على تمام العلم أنك لا تستطيع فك الشفرة يا دكتور حازم ولكن نريد مساعدتك في الحصول على جهاز التشفير الذي يستخدم في بناء مفاتيح فك وبناء الشفرة.

- و كيف يمكنني أن أفعل ذلك؟

هنا بدأ أحمد في شرح خطته للحصول على جهاز الشفرة لحازم والذي ظل صامتًا يستمع إليه في تركيز، بعد أن أتم أحمد شرح الخطة نظر إلى حازم منتظرًا تعليقه.

سكت حازم قليلا ثم قال: يبدو مما قلته لي الآن أنه سيلتزم على أن أذهب إلى إسرائيل، وأن أحاول أن أقنع أحد العلماء الإسرائيليين بإعطائي أحد أجهزة التشفير الحديثة ثم أحضر هذا الجهاز إلى مصر بطريقة سرية كي لا يعلم أحد بحصول مصر على هذا الجهاز واستخدامه للقبض على خلية جواسيس.

أجابه أحمد بشئ من الجدية: نحنُ على تمام العلم يا دكتور حازم بأن ما نطلبه منك الآن ليس بالشيء السهل، خلال الأيام القادمة سيقوم فريق عمل متخصص بتدريبك على الكثير من المهارات مثل كيفية إقناع العلماء الإسرائيليين بالتعاون معك، وكيفية التواصل مع المخابرات المصرية في إسرائيل وقت الحاجة، سنكون معك في كل لحظة لتأمين سلامتك.

مرت دقائق من الصمت ثم قال حازم وقد بدا على وجهه الإرهاق والارتباك:

معذرة، ولكني قد استمعت اليوم إلى كم كبير من المعلومات ويعجز عقلي عن استيعابها بشكل واضح لتكوين رأي حول المهمة، هل يمكنني الذهاب إلى الفندق الآن وقضاء بعض الوقت منفردًا بنفسي؟

أجابه أحمد: طبعًا يا دكتور حازم، خذ وقتك وعندما تكون مستعدًا سنرتب اجتماعًا آخر للرد على جميع استفساراتك ونتناقش في تفاصيل الخطوات القادمة إن كنت ما

زلت مستعدًا للتعاون معنا، هناك سيارة جاهزة في الخارج لاصحابك للفندق في أي وقت.

وقف حازم واصطحبه إيهاب إلى خارج المبنى حيث استقل السيارة عائدا للفندق.

لحظة إدراك

القاهرة ٢٤ نوفمبر ٢٠١٨

رجع حازم إلى غرفته بالفندق ورأسه يكاد أن ينفجر من الأفكار المتلاحقة التي تنهمر على عقله، لم يصبح الأمر مقتصرًا على أداء مهمة في مصر لصالح الحكومة المصرية، إنه يتطلب منه الآن السفر إلى إسرائيل والحصول على جهاز تشفير متطور بدون أن يشعر أحد، كان أكثر ما يوتره أن الخطة التي عرضها أحمد عليه تمتلئ بالثغرات العلمية، فأجهزة التشفير المتطورة لا تعتمد فقط على الشريحة الإلكترونية المتواجدة في الجهاز ولكن هذه الأجهزة الحديثة تكون دائمة الاتصال بأنظمة مركزية على السحابة الرقمية (digital cloud) لضمان عدم وقوع هذه الأجهزة في أيدي غير مرغوب فيها، حتى وإن تمكن من أن يحصل على الجهاز من معمل الأبحاث في إسرائيل فعند أول محاولة للمخابرات المصرية لاستخدام الجهاز سيبعث هذا الجهاز إشارة بمكانه إلى النظام المركزي على السحابة الرقمية مما يترتب عليه إيقاف الجهاز وبدء تحقيقات عن كيفية تسرب هذا الجهاز إلى مصر، عندها سوف تشير كل الخيوط إلى حازم.

لم يرغب حازم في إثارة هذه التساؤلات والشكوك حول الخطة التي عرضها عليه أحمد أثناء الاجتماع لسببين رئيسيين:

أولًا: أنه لا بد وأن الدكتورة ريم هي من وضعت الجزء التقني في هذه الخطة، ولقد وضعتها استنادًا إلى تقنية عمل أجهزة التشفير من الأجيال السابقة، ما زالت الشركات المصنعة لأجهزة التشفير مثل شركته تبيع هذه الأنواع من الأجهزة إلى دول العالم الثالث لأن هامش الربح فيها كبير ولا تتطلب أنظمة معقدة لصيانتها وتأمينها، في هذا النوع يكفي أن تستخدم الجهاز في التشفير وفك التشفير ما دام يحتوي على مفتاح الشفرة الخاص بالرسالة في الذاكرة الخاصة به، أما الأجيال الحديثة من أجهزة التشفير فيتطلب أن تكون متصلة بأنظمة أمنية طوال الوقت لتتمكن من العمل وغالبًا ما تكون هذه الأنظمة عالية التكاليف وتتطلب موافقات أمنية من الدول المستضيفة لها.

لم يكن حازم يريد أن يُظهر الدكتورة ريم على أنها شخص غير كفؤ وليست على دراية بكيفية عمل الأنظمة الحديثة في مجال التشفير، فهو يعرف هذه المعلومات لأنه اشترك في أبحاث ساعدت على إنتاج هذه الأجيال المتطورة من أجهزة التشفير وهي معلومات عادة ما تحتفظ بها الشركات المصممة لهذه التكنولوجيا بتفاصيلها.

ثانيا: من طريقة سرد أحمد للخطة كان واضحًا أنه على ثقة تامة بإحكامها وإذا بدأ حازم في إثارة الشكوك أو إبداء اعتراضه على بعض التفاصيل قد يأخذها أحمد على أنه خائف من أداء المهمة ويرغب في إفشالها.

كيف يتصرف الآن؟ هل يحاول بطريقة دبلوماسية أن يشرح لهم ثغرات هذه الخطة وعدم إمكانية نجاحها دون أن يضر بصورة الدكتورة ريم وكبرياء أحمد، لكن هذا

معناه أن يظل سر تسريب المعلومات مجهول.

أم يعمل مع ريم وأحمد لمحاولة إيجاد خطة بديلة لا يعرف هو نفسه كيف يبنيها؟ هل يثقون به؟ ماذا لو اعتقدوا أنه يحاول تضليلهم؟

لم يجلس حازم منذ أن دخل غرفته في الفندق، أخذ يقطع الغرفة ذهابًا وإيابًا وقد بدأ ينتابه التوتر، تذكر حازم ما قالته له نرمين في نادي رجال الأعمال أول ليلة له في الفندق بخصوص أخصائية المساج التايلاندية، هو الآن يحتاج إلى بعض الاسترخاء ليتمكن من التفكير بشكل سليم.

استبدل حازم ملابسه بملابس رياضية ثم اتجه إلى الدور الثاني حيث يوجد النادي الرياضي، وجد رجلًا مفتول العضلات جالسًا على مكتب الاستقبال، بدأ بتحية حازم: مساء الخير يا فندم، هل ترغب حضرتك في استخدام الچم؟

- أنا سمعت أن عندكم أخصائية مساچ متميزة من تايلاند.

- تمام يا فندم، فعلا ناس كتير جربوا «نوي» ودايما بيشكروا في أدائها، في نوع معين من المساچ حابب تعمله؟

- بصراحة أنا أعاني من بعض التوتر بسبب العمل وأرغب في الاسترخاء.

- تمام يا فندم، يبقى نعمل مساچ تايلاندي لكامل الجسم لمدة ٤٥ دقيقة، ممكن حضرتك تقولي رقم الغرفة؟

- ٢٤٠٣

أخذ الرجل ينقر على لوحة المفاتيح الخاصة بجهاز الكمبيوتر أمامه، ثم قال: هناك شيء غريب، لا يوجد اسم مسجل على الغرفة ولكن ظاهر أن هناك ساكن، لا يوجد مشكلة يمكنني إضافة الحساب على الغرفة وسيظهر المبلغ في فاتورتك النهائية، ممكن أتشرف باسم حضرتك.

- أنا الدكتور حازم.

- أهلا بك يا دكتور حازم، أنا الكابتن حسن مدير الچيم وأيضًا مدرب خاص.

أعطى حسن حازم مفتاح الدولاب الخاص بتغير الملابس وحقيبة بها روب وأدوات استحمام

- حضرتك هتغير ملابسك وتظل بالشورت فقط، «نوي» حتكون منتظرة حضرتك في غرفة ٢١٠.

- شكرا يا كابتن حسن.

بعد أن وضع أحمد ملابسه في الدولاب توجه إلى الغرفة ٢١٠، عند دخوله الغرفة كانت هناك رائحة جميلة قادمة من احتراق بخور برائحة الزهور، وكان هناك صوت خافت لخرير الماء والعصافير المغردة يصطحبها في الخلفية موسيقى آسيوية هادئة، رأى حازم سرير المساج تقف خلفه فتاه آسيوية ترتدي زيا يشبه زي

الممرضات، كان جسمها صغيرًا، يظهر في معالمها الآسيوية شيء من الرقة والجمال، انحنت نوي عند رؤيتها لحازم ثم تحدثت إليه بإنجليزية سليمة: أهلا بك دكتور حازم، لقد أعلمني كابتن حسن أنك ترغب في أداء مساج الاسترخاء.

دائما ما يبهر حازم حُسن سلوك الأشخاص من الجنس الآسيوي، عند رؤيتهم وهم ينحنون لأداء التحية واستقبالهم لك بابتسامة هادئة يولد ذلك إحساس عجيب من الود والسلام، أجابها حازم: هذا صحيح، لقد سمعت الكثير من الإطراء عن أدائك للمساچ.

ابتسمت نوي وأشارت إلى سرير المساچ: شكرا دكتور حازم، من فضلك اخلع الروب واستلقي على السرير.

توجه حازم إلى السرير ووجهته «نوي» إلى كيفية النوم بإسناد رأسه على مسند الرأس وتحريك يديه بضمهما على مسند مخصوص بجانب الرأس، رأى حازم نوي وهي تضع زيت الياسمين والذي فاحت رائحته على يديها ثم اختفت من أمامه.

فجأة احس بها وهي تتسلق السرير من فوقه وإذا بها تجلس وقد لامست مقعدتها مقعدته، بدأت يديها الدفئتان تلمسان رقبته وتضغط بهما ببطء وليونة ضغطًا خفيفًا على بداية سلسلته الفقارية، ثم بدأت تنزل بيديها إلى كتفيه، أخذت تحرك يديها في دوائر واسعة على ظهره يتبعها دوائر ضيقة ضاغطة بكفيها على سلسلته الفقارية وعظمتي الكتفين، أمسكت بذراعه اليسرى وضغطت ضغطًا خفيفًا على عضلات ذراعه حتى وصلت إلى كف يده فأطبقت عليه بكفيها الاثنين وسحبتهما ببطء، أحس حازم بإحساس لم يحس بمثله من قبل، فهو مزيج من السلام النفسي والانتشاء، لم يعد حازم يفكر في أي شيء من حوله، لقد استطاعت هذه الموسيقى ذات الطابع الآسيوي مع تغريد العصافير ويدي نوي الماهرتين أن تجعله طائرًا فوق السحاب، نزلت نوي من فوق حازم وبدأت تدلك عضلات فخذيه ثم عضلة السمانة تدليكًا لا يسبب ألما ويساعد على الاسترخاء، ثم أمسكت بقدمه اليسرى وأخذت تدلك فيها بمهارة، أحس عندها حازم بأن الهدوء يتملكه تمامًا وأن جسمه بدأ في الارتخاء.

كررت نوي نفس الروتين على الجزء الأيمن من جسد حازم، وبعد الانتهاء من قدمه اليمني لم يعد يحس حازم بيديها على جسده وإذا به يسمع صوتها: لقد انتهي المساچ يا دكتور حازم، أتمنى أن تكون قد شعرت بالاسترخاء.

أحسّ حازم بأنه أفاق من حلم جميل، جلس حازم على السرير ثم نظر إلى نوي: لقد استمعت حقا بهذه الجلسة يا نوي، إنك فعلا متفوقة في عملك.

ابتسمت نوي ثم انحنت بأدب إيذانا منها بانتهاء الجلسة ووجوب خروج حازم، ارتدى حازم الروب ثم اتجه إلى السَونَا وبعدها أخذ شاور ثم استبدل ملابسه وصعد إلى غرفته، في غرفته شعر حازم أنه لا يرغب في فعل أي شيء غير النوم العميق، لقد نجحت نوي بجدارة في مهمتها.

•

بعد خروج حازم من مبنى المخابرات ظلت ريم مع أحمد وإيهاب في غرفة الاجتماعات للتشاور بخصوص رد فعل حازم والاستعداد للخطوة القادمة، بدأت ريم الحديث وقد كان يعتري وجهها القلق: لقد بدأ الشك يسري إليّ أن الدكتور X سوف يقبل بالمهمة.

رد إيهاب سريعًا: ولكنه لم يرفضها حتى الآن وطلب بعض الوقت للانفراد بنفسه، فلا بد وأنه قد تفاجأ بعد أن كان يعتقد أنها ستكون مهمة علمية فإذا به يُطلب منه القيام بعمل مخابراتي.

أجابته ريم: ما يقلقني أنه لم يُثر أي شكوك في الخطة عند قيام المقدم أحمد بعرضها، كنت أتوقع أن يتساءل إن كنا على دراية بنوع جهاز التشفير المراد الاستحواذ عليه وخاصة أنه يتملكني الشك أن يكون هذا الجهاز ليس مماثلًا للأجهزة التقليدية التي نستخدمها، فقد ظهرت بعض الأبحاث مؤخرًا عن إمكانية التشفير عن بعد باستخدام السحابة الإلكترونية وتعتبر شركة ASR رائدة في هذا المجال.

سألها إيهاب: ولماذا لم تسأليه عن رأيه في نوعية جهاز التشفير المستخدم؟

أجابته ريم: كنت أنتظر حتى نتطرق إلى التفاصيل وعرض الرسائل المشفرة عليه.

كان أحمد صامتًا يستمع إلى الحوار بين ريم وإيهاب فانتظر حتى انتهت ريم وعندها قال: كان هذا قرار صائب منك يا دكتورة ريم، إن كُنتِ شاركتي (X) في شكوكك حول تقنية التشفير كان من الممكن أن يساوره الشك في أننا نطلب منه التجسس على أسرار شركته بطريقة مباشرة وكان ذلك ما سيرفضه قطعًا.

قال إيهاب: وما هي خطوتنا التالية؟

رد عليه أحمد وقد ظهر على وجهه علامات التفكير العميق: أعتقد أن الدور على X ليقوم بالخطوة القادمة، كل ما يلزم علينا فعله الآن هو أن نكون قريبين منه.

•

أفاق حازم على رنين الهاتف، رأى اسم أحمد على شاشة التليفون نظر في الساعة بجانبه وجدها السابعة مساءً، لقد ظل نائمًا ما يقرب من الأربع ساعات.

أجاب حازم الهاتف: ألو.

كان صوت حازم يظهر فيه بوضوح أنه قد كان نائمًا.

- مساء الخير يا دكتور حازم، معاك أحمد علام، هل أيقظتك من النوم؟

- مساء الخير يا أحمد، ما فيش مشكلة أنا بقالي مدة نائم.

- هل عندك أي خطط لقضاء السهرة؟

لم يكن لدى حازم أي خطط، لقد طلب منه أحمد ألا يتصل بأي من معارفه أو أقاربه.

- بصراحة ليس لدي أي خطط.

- ما رأيك في أن أصطحبك من الفندق خلال ساعة، سأريك بعض الأماكن الشيقة في القاهرة وأعدك ألا نتكلم في أي شيء له علاقة باجتمعنا اليوم.

كان حازم في حالة مزاجية جيدة ولم يكن يريد أن يظل جالسًا في الفندق، فتنهال عليه الأفكار السوداء بشأن المهمة مرة أخرى.

- وهو كذلك، سأنتظرك أمام بوابة الفندق عند الثامنة مساءً.

تعجب حازم من أن نادية لم تتصل به منذ ليلة أمس، أمسك بالهاتف وطلب رقم هاتف نادية:

- ألو.

- أهلا يا نادية، كيف حالك؟

- بخير، وأنت كيف حالك مع المؤتمر؟

- جدول الأعمال مزدحم للغاية، آسف فلم أستطع الاتصال بك ليلة أمس.

- لا توجد مشكلة.

- كيف حال البنات، هل ما زالوا في المدرسة؟

- نحن في إجازة عيد الشكر، لقد كانت ليلة أمس هي ليلة الاحتفال بعيد الشكر.

- آه، كل عام وأنتم بخير، هل تناولتم الديك الرومي على العشاء ليلة امس؟

- لقد دعانا جيراننا لننضم إليهم، ذهبنا لمدة قصيرة ثم عدنا إلى المنزل.

استنتج حازم من صوتها أنها ناقمة عليه لعدم تواجده معهم خلال عطلة عيد الشكر: أنا آسف لأني لم أكن متواجدًا ليلة أمس، إن شاء الله أعوضها لكم عند رجوعي من السفر.

- إن شاء الله.

أيقن حازم أن كل محاولاته لتغيير مزاج نادية سوف تبوء بالفشل.

- أنا محتاج أن أستعد للذهاب إلى العشاء، سلمي لي على البنات وخلي بالكم على نفسكم.

- حاضر وأنت كمان.

أنهى حازم المكالمة وذهب للاستعداد لمقابلة أحمد وقد بدأ عقله يفكر في المهمة المطلوبة منه من جديد.

انتظر حازم أمام بوابة الفندق الرئيسية في تمام الثامنة ولكن أحمد جاء متأخرًا ١٥ دقيقة

- آسف يا دكتور حازم، كان الطريق مزدحمًا للغاية.

ابتسم حازم ابتسامة واسعة فهو الآن بدأ يشعر بأنه في مصر: ولا يهمك، أين ستذهب بنا الليلة؟

- هذه مفاجأة.

انطلقا بالسيارة وتحدثا في مواضيع متفرقة مثل انتخابات الكونجرس الأمريكية وفوز الديمقراطيين بالأغلبية مما قد يضع الضغوط على ترامب لتنفيذ أجندته السياسية وتعويم الجنيه وأثره على الحياة الاقتصادية في مصر، لمح حازم الأهرامات عن بعد وكانت تنعكس عليها أضواء عرض الصوت والضوء.

قال حازم: هل سنذهب لمشاهدة عرض الصوت والضوء؟

اجابه أحمد وفي صوته نبرة من السخرية: وهو أنت سائح يا دكتور حازم؟ دا أنت ابن بلد.

سكت حازم فقد كان في حقيقة الأمر يتطلع لمشاهدة عرض الصوت والضوء.

دخل أحمد من بوابة فندق الماريوت مينا هاوس وأظهر للحارس كارنيه فحياه الحارس تحية عسكرية وفتح له الباب. كان فندق المينا هاوس يبدو وكأنه قصر كبير كالذي يوصف في حكايات ألف ليلة وليلة، عند دخولهم من بوابة الفندق الرئيسية كان يتوسط البهو نجفة عملاقة على الطراز الإسلامي فهي أشبه بفانوس ضخم، كان مدخل الفندق مبهرًا فهو مليء بالتحف واللوحات ذات الطابع المعماري العربي الإسلامي، تزين حوائطه أقواس تمتلئ بزخارف وأشكال هندسية توحي بحس فني راقي، يغطي الأرضية نوع فاخر من السيراميك ذو ألوان لامعة وسجاد أحمر وثير عليه نقوش هندسية بالألوان الزرقاء والخضراء تكاد أن تقفز خارج السجاد من زهو ألوانها، تبع حازم أحمد حتى دخلا إلى صالة خارجية كبيرة وهنا شهق حازم بصوت مسموع، فقد كانت أمامه لوحة فنية لم يكن يتخيل وجود مثلها في يوم من الأيام، فعلى مد البصر كانت الأهرامات الثلاثة تنعكس عليهم الأضواء البرتقالية والبنفسجية والخضراء وأمامها حديقة غناء في داخل الفندق تملؤها أشجار النخيل على الجانبين وفي الوسط نافورة مياه وحوض مائي طويل مضاء بأنوار داخلية فتعكس زُرقة أرضية الحوض في شكل مبهر، ابتسم أحمد ثم قال: إيه رأيك؟

- مدهش، أنا حاسس إني في أحد مشاهد قصة من حكايات ألف ليلة وليلة.

كان في جانب الصالة يوجد عواد ومغنية تصدح ببعض الأغاني القديمة لوردة، قال حازم ضاحكا: مش هينفع تفضل تتفرج كده، يلا ندخل في الحكاية.

أشار أحمد إلى إحدى الطاولات وذهبا للجلوس عليها، كانت المغنية ذات صوت جميل وتغني أغنية «بتونس بيك «، جلس حازم ونظر إليها وأخذ يدندن بلحن الأغنية في غاية الانسجام.

جاء الوايتر لأخذ الطلبات وكان حازم في غاية التركيز مع الأغنية، فأخذ أحمد مسؤولية طلب أطباق العشاء، بعد أن انتهت الأغنية نظر حازم إلى أحمد ووجهه

يحمل ابتسامة عريضة وقال: تحمل هذه الأغنية معها الكثير من ذكريات الشباب ورحلات المدارس والجامعة.

أجابه أحمد: كان واضحًا، أنا سمحت لنفسي أن أطلب العشاء على ذوقي ويا رب يعجبك.

- حتى الآن يبدو ذوقك جيدًا.

بدأ الوايتر في إنزال أطباق السلطات المختلفة والتي بدأ حازم في التذوق منها مباشرة.

- الأكل في مصر له طعم مختلف لا تجده في أي مكان في العالم.

- ذلك لأنه يرتبط معك بذكريات الطفولة والأصناف التي اعتادت الوالدة على طبخها، عندما يأكل الروسي المهاجر الطعام الروسي المحلي ينتابه نفس الإحساس، وإن كان المطبخ الروسي مقارنة بغيره من الجنسيات الأخرى هو مطبخ متواضع يفتقد التنوع والمذاق الجيد.

بعد وقت قليل بدأت أطباق العشاء الرئيسية في النزول، كان من الواضح أن أحمد قد طلب أطباق السي فود، نزلت أطباق الجمبري كبير الحجم المشوي والمقلي والمسلوق، بعدها سمكة قاروص كبيرة الحجم مشوية وأطباق الجندوفلي والاستكوزا وطاجن السبيط.

- طبعا هذا الطعام لن يشبه المأكولات البحرية في الإسكندرية ولكني توقعت أن تكون مشتاقا لهذه النوعية من الطعام.

كان حازم ينظر إلى كل الأطباق الموضوعة على المنضدة بانبهار.

- هو مين هياكل كل هذا الأكل؟

- لا تُلقِ بالا يا دكتور حازم، أهم حاجة أنك تنبسط.

- بصراحة بعد جلسة المساچ مع نوي وهذا المكان المدهش فأنا في غاية السعادة.

ظهر على وجه أحمد علامات التعجب: مساچ؟ نوى؟

شرح له حازم التجربة التي مر بها عصر اليوم بعد أن قرر تجربة خدمة المساچ في الفندق، وكيف استطاعت نوي أن تزيل عنه التوتر بعد الاجتماع الذي دار بينهما في الصباح، لم يستطع حازم من أن يمنع نفسه من الضحك وقال: أنا كدا لازم أضم نوي لفريق العمل في مهمتنا.

ابتسم حازم هو الآخر، وعاجله أحمد بالكلام: شكلك يا دكتور حازم بتحب تدلع نفسك!

- أبدًا ، هذه أول تجربة لي مع المساچ.

- ايه رأيك بعد العشا أخدك مكان دلع حبتين.

ضحك حازم ثم قال: وهل هناك من يكره الدلع؟

أدرك أحمد أن حازم يفتقد التدليل، لا بد وأنه يعاني من حياة زوجية رتيبة، أراد أحمد أن يقوي أواصر صداقته بحازم لعله يكتسب ثقته ويجعله أقل تخوفًا من قبول المهمة.

بعد وجبة العشاء استقل كل من حازم وأحمد السيارة، وقطع أحمد شوارع القاهرة المضيئة ببطء لكي يملأ حازم عينيه بشوارعها وأجوائها الصاخبة فلا بد وأنه يفتقد هذه الأجواء، توقف أحمد عند الفندق الذي قابل فيه سُهى من قبل، كان يعلم أن مقابلة سُهى مرة أخرى فيه مخاطرة ولكن قد تثمر هذه المخاطرة عن قبول حازم للمهمة.

صعد كلا من أحمد وحازم إلى النادي الليلي في آخر طابق، جلس أحمد على منضدة قريبة من فرقة العزف وقد كان هناك مغني يصدح بأحد الأغاني الخليجية وسط تمايل وتراقص مجموعة من السياح الخليجيين، جاء الوايتر فهمس له أحمد: هي فقرة آنسة سُهى امتى؟

- الفقرة القادمة يا فندم.

- أخرج أحمد مائتي جنيه ووضعهم في يد الوايتر، يا ريت بعد الفقرة تخبرها بأن أستاذ أحمد عزمك على مشروب.

انصرف الوايتر ثم نظر إلى حازم: دكتور حازم أنا مهندس معماري، وأنت استشاري معماري أتى في زيارة من أمريكا.

أجابه حازم: لقد كنت أظن أن اسم أحمد هذا اسم حركي.

ضحك أحمد ثم قال: اسم أحمد من الأسماء المشهورة في مصر، يوجد أكثر من مليون أحمد المهم هو اسم العائلة.

بعد أن أنهى المغني الخليجي فقرته دخلت سُهى إلى خشبة المسرح وبدأت تغني أغاني لبنانية لاليسا ونوال الزغبي وفضل شاكر وبينما هي تغني وقعت عينها على أحمد الذي كان ينظر إليها مبتسمًا، توقفت سُهى للحظات عن الغناء، عندما أدركت استغراب المحيطين أكملت الغناء ولكن أنهت فقرتها على عجل.

توجه حازم إلى أحمد متسائلا: هو أنت تعرف الصاروخ دا؟

ابتسم أحمد قائلا: أخجلت تواضعي.

بعد لحظات رأى أحمد سُهى قادمة في اتجاهه وتتطاير من وجهها علامات الغضب، قام أحمد فاتحًا ذراعيه مرحبًا بسهى فإذا بها توجه له صفعة قوية، تفاجأ حازم من الموقف وهمّ واقفا هو الآخر ولكن أحمد أسرع قائلا: أنا عارف أنك غضبانة مني ولكن أرجو أن تعطيني فرصة وتستمعي إليّ.

ظلت سُهى تنظر إليه في غضب ولكن بعد بضعة لحظات قررت الجلوس للاستماع إلى أحمد

بدأ أحمد الكلام قائلا: بعد ذهابي للإمارات قرر المستثمرين الإماراتيين أن يستخدموا بيت استشارة عالمي في واشنطن لمراجعة تصميماتي وإظهار أي عيوب او إصلاحات في هذه التصميمات وقد طلبوا مني أن أذهب شخصيا لأجيب على أي تساؤلات قد يطرحها الاستشاريين حول تصميماتي.

ظلت سُهى تستمع إلى أحمد بينما كان ينظر إليه حازم بانبهار.

- كان بصراحة المكتب الاستشاري فيه خبراء رخمين شويه وطلبوا مني إعادة أجزاء مختلفة من التصميمات وكانت عليا ضغوطات من مكتب القاهرة أني ما أرجعش إلا لما أحصل على الموافقة من المكتب الاستشاري، لغاية ما قابلت الدكتور حازم اللي كان في غاية الاحترام والتفهم لموقفي.

نظرت سُهى إلى حازم وكانت علامات الغضب ما زالت على وجهها ثم أعادت النظر مرة أخرى إلى أحمد الذي استطرد قائلا:

- ساعدني الدكتور حازم والذي يعمل كبير الاستشاريين في هذا المكتب على أخذ الموافقات اللازمة ولهذا أصررت أن أصطحبه معي إلى القاهرة ليقضي أسبوعًا يزور فيه معالم القاهرة، هو أصلًا من الإسكندرية ولكنه لم يزر مصر منذ أعوام عديدة.

كان كلًا من سُهى وحازم يتابعان قصة أحمد بتركيز شديد، واستطرد أحمد: لقد وصلنا إلى مصر البارحة، وقد أخبرته أن أهم علم في مصر أصله لبناني واسمه سوسو، وجئت به إلى هنا لرؤيتك.

بدأت ملامح الابتسامة تظهر على وجه سُهى وقالت: وطِوال هي المدة ما تتصل بي ولا ترِد على تليفونك؟

- آسف يا روحي ولكن كان هناك فرق التوقيت وكنا نسابق الزمن لإنهاء التصميمات لإرسالها إلى الإمارات في الوقت المطلوب، أليس كذلك يا دكتور حازم؟

لم يدرِ حازم ماذا يقول، ولكنه كان منبهرًا بحبكة قصة أحمد، فقال: مضبوط.

نظرت سُهى إلى حازم ثم قالت: لا تؤاخذني يا دكتور حازم، ما كان يصح أن أفعل هذا أمامك.

تأثر حازم بلهجة سُهى اللبنانية وشعرها الكيرلي الكستنائي وفستانها الضيق الذي يبرز جزءًا لا بأس به من نهديها ورد قائلًا: ولا يهمك يا آنسة سُهي، خدي راحتك.

ضحكت سُهى عاليا، وكان هذا إيذانا منها بأنها قد سامحت أحمد، نادى أحمد الوايتر لأخذ الطلبات، دار حديث ضاحك بينهم حيث أخذ أحمد يحكي لحازم عن أول لقاء له بسهى وكيف كانت لا تعرف أي شيء في مصر وكيف أنه أراها خبايا القاهرة وحواريها.

بعد فترة استأذن أحمد من حازم وأخذ سُهى إلى البار: سُهى أنا محتاج خدمة منك؟

- أومر أحمد حبيبي ولو.

- الدكتور حازم شخص مهم جدًا بالنسبة لي، ولقد ساعدني كثيرا في واشنطن ولولا مساعدته لفشل المشروع.

ظلت سُهى صامتة منتظرة أن تسمع ما هي الخدمة التي سوف يطلبها أحمد منها وإن كان قلبها قد أحس بما هو قادم مسبقا.

استكمل أحمد: أنا كنت عايزه يقضي كام يوم فيهم إثارة ودلال، أنا ممكن أتكفل بالجزء الخاص بالإثارة ولكن أردت مساعدتك بخصوص الدلال.

بدأت نظرات التنمر تنطلق من وجه سُهى مرة أخرى، ثم قالت: إيش بدك أعمله يا أحمد؟

تدارك أحمد نفسه سريعًا: ماتخليش دماغك تاخدك لبعيد، هو رجل متزوج ومحترم ولن يمسك بأي سوء.

كل الحكاية أنه رجل علم وشغل فأردت أن أريه فن الضيافة اللبنانية.

ابتسمت سُهى من تعليق أحمد حول فن الضيافة اللبنانية، فلقد كانت سُهى في أوج سعادتها أن أحمد قد رجع مرة أخرى لها بعد أن كادت تفقد الأمل في رجوعه: إن كان على الضيافة اللبنانية فهي واجب علينا.

ابتسم أحمد وطبع قبلة على خد سُهي، نظرت سُهى إليه ثم قالت: وين هشوفك تاني؟

قال أحمد: قريب جدًا، أنا في مصر ممكن تبعتي لي رسالة لما أوحشِك.

أخذ أحمد سُهى من يدها وذهب إلى المنضدة حيث يجلس حازم وتحدث إلى حازم: دكتور حازم أنا لازم أمشي، لا بد وأن أكون في المكتب الهندسي الساعة الثامنة صباحًا، خذ راحتك أنت في إجازة وسُهى قد أصرت أن تُرِيك كرم الضيافة اللبناني.

نظر حازم إلى سُهى فوجد ابتسامتها الواسعة مشجعة على البقاء، ذهب أحمد وجلست سُهى على المقعد المواجه لحازم، استدعت سُهى الوايتر وطلبت منه كاس ويسكي ثم نظرت إلى حازم والذي طلب من الوايتر كأس موهيتو □رچن (خالي من الكحول)، نظرت إليه سُهى باستغراب: بقالك ها العمر في أمريكا وبتشرب مشروبات □رچن؟

أحس حازم بالإحراج: صراحة لم أشرب أي من المشروبات الكحولية قط وعند الخروج مع أصدقائي الأمريكان أحاول أن أجد المشروبات الخالية من الكحول.

ضحكت سُهى بدلال وقالت: لا بد وأن أصدقائك الأمريكان يمتنون لك كثيرا، فوجُودك معهم يضمن من يذهب بهم إلى المنزل بعد انتهاء السهرة دون أن يوقفهم البوليس.

ابتسم حازم فلقد كانت محقة بشأن هذه الملحوظة، أراد حازم تغيير الموضوع: صوتك جميل يا آنسه سُهى، لديك موهبة حقيقية في الغناء.

- شكرا دكتور حازم، أنت ممكن تناديني سُهى.

- وأنت تناديني حازم.

- أوك حازم، إيش عجبك في غناي؟

- صوتك فيه بحة مميزة كما أن لهجتك اللبنانية فيها من الدلال والرقة ما يضفي السعادة على النفس.

ضحكت سُهى عاليًا وقالت: ايش بينكم يا مصريين وبين اللهجة اللبنانية، ما تكلمت مع مصري إلا وأخذ يعدد في محاسن اللهجة اللبنانية، هيك بس اللي عجبك؟

جاء الوايتر بالمشروبات، فانتظر حازم حتى انتهى من وضع المشروبات ثم أجاب سُهى: بصراحة يا سُهى كلك على بعضك حلو، أدائك الحي والطرب في غنائك وتناسق لبسك مع ملامحك ورشاقة جسمك.

نظرت سُهى إلى حازم باندهاش: ميرسي دكتور حازم هيك كلام جميل يشرفني أسمعه من دكتور محترم مثلك، كلك ذوق دكتور حازم.

نظر إليها حازم بعتاب، فقالت: آسفة، أقصد حازم.

رفعت سُهى الكأس فرفع حازم كأسه هو الآخر، وكانت تلك بداية تعود كلا من سُهى وحازم على بعض، أخذا يتحدثان لما يزيد عن الساعتين في مواضيع مختلفة ثم قالت سُهى: حازم أنت كتير شخص حبوب وأنا ارتحت لك كتير.

- سُهى دعيني أقول لك أن هذه واحدة من أحلى السهرات في حياتي.

أجابته سُهى في خباثة: معقول ما قضيت مع المدام سهرة أحلى من هيك؟

ابتسم حازم وقال معاكسًا: يمكن من أجل اللهجة اللبنانية؟

ثم استطرد: في الحقيقة طوال فترة حوارنا حتى الآن لم نتطرق إلى أي مواضيع خلافية أو نتصيد لبعض الأخطاء.

وضعت سُهى يدها على شفتي حازم وقالت: لا يوجد إنسان مثالى في هذا الكون فلكل منا مشاكله، دعنا لا نتحدث عن المشاكل اليوم، ما رأيك لو غنيت لك في عرض لك وحدك فقط؟

تسمر وجهه حازم للحظات ثم سأل سُهى: أنا آسف، ماذا تقصدين؟

قالت له: أذهب معك إلى الغرفة وأغني لك وحدك.

تدفق الأدرينالين إلى دم حازم بجرعات هائلة لم يكن يدري بماذا يرد على سُهى هل من المعقول أن يصدها؟ وماذا يمكن أن يحدث فهي سوف تذهب معه للغناء وقضاء سهرة سعيدة ثم ترحل في آخر الليل.

قال حازم بعد قليل من التفكير: أوك.

طلبت سُهى أوبر واستقلت السيارة مع حازم واتجها إلى شيراتون الدقي، في الطريق حاول حازم وضع بعض التصورات لما قد يحدث في غرفته بعد قليل، لقد تعرف على سُهى منذ ساعات قليلة وإذا بها تطلب منه أن يقضوا السهرة منفردين في غرفته، لم يكن الأمر بهذه السهولة عندما كان في مصر أيام دراسته وحتى في زيارته لاحقًا، لا بد وأنها المهمة التي يقوم بها هي التي فتحت له أبواب لم يكن ليراها من قبل.

صعدا معًا إلى غرفة حازم عندما رأت سُهى اتساع الغرفة والمنظر الخارجي الذى تطل عليه الغرفة قالت باندهاش: لا بد وأنك قد فعلت خدمة كبيرة لشركة أحمد حتى يحجزوا لك هذا السويت.

قال حازم في عقله «لو تعلمي ما هي المهمة المطلوب مني القيام بها، لأدركتِ السبب».

ذهبت سُهى إلى الميني بار وأخرجت زجاجتين بيرة مدت يدها بأحدهم إلى حازم.

قال حازم: أنا آسف فأنا لا أشرب البيرة.

قالت سُهي: يلا دكتور حازم خلي السهرة تحلي، هيك أتشجع أنا كمان على الغني.

أخذ حازم من يدها الزجاجة وجلس على الأريكة، يالسخرية القدر، بعد كل هذه السنين في أمريكا لم يتناول فيها أي من المشروبات الكحولية فإذا به يتناول أول مشروب كحولي له في القاهرة.

بدأت سُهى تصدح بالغناء فابتدأت بأغنية لفضل شاكر:

الله أعلم

إن كنت بأحلم - يا حبيبي

ولا ديه النهاية

وآخر الحكاية

بدأت البيرة تدغدغ عقل حازم قليلًا، فقد كانت هذه أول مرة له، لقد كان صوت سُهى مليئ بالأنوثة والدلال، ومع كلمات الأغنية التي تمتلئ بالشجن انتاب حازم إحساس غريب بالسعادة والتحليق، لم يدرِ إن كان هذا من تأثير الكحول أم رؤية سُهى الفاتنة أمامه تغني له وحده.

انتقلت سُهى إلى أغنية نانسي عجرم أخاصمك آه، أسيبك لا، أخذت سُهى في التمايل يمينًا ويسارًا وحازم يهز رأسه طربًا، فجأة رأى حازم صورة نادية أمامه وهي تغني وتتراقص، هذا غير معقول لم تكن نادية لتفعل ذلك أبدًا ، هنا تذكر كلمة سُهى «ليس هناك إنسان مثالي»، هو أيضا ليس مثالي، فهو لم يعتد على أن يعارضه أحد في الرأي وغالبًا ما يفضل الهروب من مشاكله الأسرية عن طريق الانشغال بالعمل على أن يحاول أن يجد مجالا للتفاهم مع نادية، دائما ما يعلق مشاكله مع نادية على حمالة أنها تقضي معظم وقتها في الاهتمام بالأطفال، لم يجهد نفسه بإيجاد شيء

مشترك بينه وبين نادية يمكن من خلاله أن يوطد علاقتهما، أحس بثقل عينيه وأن الإحساس بالنوم قد بدأ يغالبه فقال: لا تذهبي يا نادية فأنتي جميلة للغاية الليلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اللقاء مع الموساد

الأربعاء - ٣ أبريل ٢٠١٩

كان حازم على منصة العرض يستعرض تقريره الذي يتناول تطور تكنولوجيا تشفير البيانات في قاعة مؤتمرات فندق أكاديا، أخذ حازم يستشهد ببعض الأبحاث الحديثة في هذا المجال، ركز على أمثلة لبعض الشركات الكبرى في السوق الأمريكي والتي لم تستثمر الحجم الكافي من الأموال لتطوير برامج الأمن الرقمي والتشفير وكانت النتيجة أنه تم سرقة معلومات خاصة بملايين العملاء واستخدامها بشكل غير قانوني لفتح حسابات بنكية وهمية استخدمت لغسيل الأموال والإتجار بالبشر وتمويل المنظمات الإرهابية، وكيف أن بعد وقوع هذه الحوادث بدأت جميع الشركات الكبرى في استثمار مبالغ طائلة في برامج أمن وتشفير المعلومات للحد من سرقتها، وقد ساهم ذلك في تطوير الأبحاث المتخصصة في مجال تشفير المعلومات، وأصبح تطوير برامج الأمن الرقمي والتشفير مجالًا لاستثمار المليارات من الدولارات.

كانت قاعة المؤتمرات الخاصة بفندق أكاديا مليئة بالحضور من موظفي شركة ASR من جميع أنحاء العالم والمهتمين بعلوم التشفير وأبحاثه، ومثل هذا الجمع يعتبر الولايات المتحدة الأمريكية هي مصدر التجارب والخبرات نتيجة لوجود أكبر الشركات العالمية وأغناها هناك، ومع كبر هذه الشركات وضخامة إيراداتها المادية تزداد التهديدات من الطامعين في سرقة المعلومات القيمة والإتجار بها.

عندما حان وقت الأسئلة قام أحد الحاضرين وتوجه إلى حازم بسؤال: ما هو أكبر التهديدات التي لا تستطيع حتى الآن برامج الأمن الرقمي التصدي لها؟

ابتسم حازم ثم أجاب صاحب السؤال: ما زالت هناك العديد من التهديدات التي تواجه مجال أمن المعلومات وهناك الكثير من الأبحاث تحت الإنشاء لمواجهة هذه التحديات ولكن واحد من أهم هذه التحديات هو التحكم وتحديد صلاحيات الأشخاص عند استخدام أجهزة التشفير، تخيل لو أن هناك أكثر من شخص لهم نفس الصلاحيات في استخدام برنامج التشفير وفك الشفرة، وقرر واحد منهم الاستفادة من هذه المعلومات عن طريق بيعها بطريقة غير شرعية لمؤسسة منافسة، كيف يمكنك تحديد هذا الشخص؟

لقد نجحت وسائل الأمن الرقمي في الحد من سرقة المعلومات خلال انتقالها في شبكات المعلومات وحفظها في أجهزة الحاسب الآلى بشكل آمن، وأيضا معرفة إن تم استنساخ نسخ غير شرعية منها، ولكن هذا لا يمنع الأفراد ممن لديهم الصلاحيات للاطلاع على هذه المعلومات ونشرها، خاصة أن هناك طرق مختلفة بعض منها معقد والآخر بدائي لعدم ترك أي أثر لهذا النوع من سرقة المعلومات.

تابع السائل بسؤال آخر: وهل هناك بعض الأفكار للتحكم في صلاحيات الأفراد وإمكانية تحديد هؤلاء ممن تسول لهم نفسهم سرقة المعلومات من داخل الشركات؟

هنا ضحك حازم فقد كان السائل مصرًا على معرفة تفاصيل الشيء الذي يعمل عليه حازم ليلًا ونهارًا، أجابه حازم: نعم من أجل هذا التحدي تقوم الشركات بتعيين الاستشاريين والخبراء لمعاينة طرق تطبيق استخدام أنظمة التشفير والصلاحيات التي تُعطي لمستخدمي البيانات ويقوم هذا الفريق من الخبراء بالمساعدة في تحديد من يكون له صلاحية استخدام هذه المعلومات طبقا لأهميتها ووظيفة الأشخاص المعنيين باستخدامها وهذا يساهم كثيرًا في الحد من تسريب المعلومات من الداخل.

أعلن منظم المؤتمر عن انتهاء الوقت المخصص لهذا الموضوع، شكر حازم على الاستفاضة في الشرح وإعطاء الأمثلة وبدأ الحضور في التصفيق لحازم.

توجه حازم إلى مقعده في قاعة المؤتمرات وسط تهنئة المحيطين به، وجد حازم من يضع يده عليه من الخلف، التفت حازم ليرى من هو هذا الشخص فإذا به دافيد:

- حازم هل يمكنني التحدث معك على انفراد خارج القاعة؟

وقف حازم وخرج مع دافيد إلى خارج القاعة، وهناك بدأ دافيد في الكلام: بعد حديثنا بالأمس بأورشليم، أجريت بعض الاتصالات بمن لهم علاقة بجهاز الأمن الداخلي «شاباك» وعندما قصيت لهم ما قلته لي أبدو اهتماما بقصتك وطالبوا لقائك الليلة بعد انتهاء المؤتمر.

- أين؟

- هنا في الفندق.

- هل تعتقد أنهم قد يتسببوا لي في أي ضرر؟

- أنا لم أبلغهم عن حقيقة شخصيتك حتى أخذت منهم عهدا أنهم لن يتسببوا في حدوث أي أضرار لك، فلقد أبلغتهم أنك تعرض نفسك للخطر لكي تساعد دولة إسرائيل.

- السبب الأساسي أني لا أُريد أن أصاب أنا وعائلتي بأي ضرر.

- مفهوم، سيكون ممثل الأمن الداخلي هنا في الفندق الساعة السادسة وسوف نقابله في أحد غرف الفندق، وسيقومون بإخبارنا برقم الغرفة قبل الموعد بخمس دقائق.

أطرق حازم رأسه إلى الأرض وقد بان عليه القلق ثم قال: سأدخل إلى قاعة المؤتمرات للاستماع الى باقي عروض المؤتمر.

حتى الآن تسير الخطة كما رتبها حازم، لم يتبع الخطة التي رسمها له أحمد وريم في مصر فهي خطة كانت ستوقع به وتسبب في انتقام الموساد منه. لقد وضع هو خطة بديلة ولم يكن ليخبر بها أحدًا على الإطلاق ليضمن سريتها وسلامته الشخصية، أراد حازم أن يكون هو البطل في هذه القصة وليس المساعد في البطولة، إن أراد أحمد فك الشفرة فلا بد أن يتم ذلك بطريقته هو وليس بطريقة أحمد، أراد حازم أن يكون هو المتحكم في عملية فك الشفرة ورؤية المعلومات عند

فك الشفرة ليتأكد أن ما قاله له أحمد صحيح، وأن الأجهزة الأمنية في مصر لن تستخدم هذا الجهاز في التنصت على المعارضة والذي قد ينتج عنه القبض على الناشطين والمعارضين السياسيين، ساعتها لن يسامح حازم نفسه.

قبل السادسة توجه حازم إلى ردهة الاستقبال في الفندق حيث اتفق مع دافيد على الالتقاء هناك، رأى حازم دافيد وقد كان يبدو عليه القلق والتوتر، عندما رآه دافيد أسرع إليه وقال: لقد تحدثت إلى مندوب الأمن الداخلي من خمس دقائق وقال إنه ينتظرك في الغرفة ١١١، عندما سألته هل ينتظرك أنت فقط أم نحن الاثنين أجاب أنه من الأفضل أن أظل أنا خارج الموضوع.

فكر حازم «أن يظل دافيد خارج هذه المهمة هو أفضل له بكثير، فهو لا يريد أن يكون لعلاقة العمل بينه وبين دافيد أي تأثير على قراراته، أو في لحظة يشعر بتأنيب الضمير أنه أقحم دافيد في هذه المهمة الخطيرة»

- لا تقلق يا دافيد، إنني أشعر أن ما أفعله هو الشيء الصحيح، وأنا موافق على ما قاله مندوب الأمن الداخلي، من الأفضل ألا يكون لك أي شأن بهذه المسألة.

ابتسم دافيد ابتسامة جافة لا تدل على أى شئ ولكن شعر ببعض الراحة مما قاله حازم، ربت دافيد على كتف حازم ثم أشار إلى الحديقة الخارجية للفندق: الوحدة رقم ١١١ هي شاليه ضمن عدد من الوحدات الخاصة على الشاطئ مباشرة في هذا الاتجاه.

بادله حازم الابتسامة ثم أدار وجهه متوجهًا إلى حيث أشار دافيد، هل سوف يقتنعون بقصتي أم سوف تساورهم الشكوك وتفشل المهمة؟ حينها لن يتركه الموساد سوف ينتقمون منه وقد يمتد انتقامهم لينال نادية وسلمى وفرح، ممن الممكن أن يقنعوا الإدارة الأمريكية أن حازم جاسوس مصري، هذه التهمة قد تزج به في السجن لمدة طويلة وأيضًا قد ينتج عنها انتزاع الجنسية الأمريكية منه ومن عائلته، هل ستدفع أسرته ثمن مغامراته الطائشة؟ هل بعد هذه السنين من الاستقرار والحياة المريحة تنقلب حياتهم رأسا على عقب؟

وصل حازم إلى باب الوحدة ١١١ وهي شاليه متوسط الحجم ضمن عدد من الوحدات المشابهة والتي تقع على البحر مباشرة في شكل معماري متناسق تتخللها حدائق تمتلئ بأحواض من الزهور الزرقاء والصفراء اللون، كانت الشمس توشك على المغيب وراء البحر الأبيض المتوسط، وقد اكتست السماء باللون البرتقالى الخافت والذي بدأت ظلمة الليل تتسرب إليه، طرق حازم على باب الشاليه وفي ثواني معدودة فتح الباب رجل تشي ملامحه أنه من أصول أوروبية، في أواخر الأربعينات، مد الرجل يده إلى حازم ورسم على وجهه ابتسامة عريضة وقال بإنجليزية يبدو من لكنتها أن أصوله من شمال أوروبا: أهلا دكتور حازم، أنا چاكوب من الأمن الداخلي الإسرائيلي «شاباك».

مد إليه حازم ليصافحه ولم ينطق بكلمة، أشار چاكوب لحازم بالدخول وما زلت الابتسامة على وجهه في محاولة منه ليبدو ودودًا، دخل حازم إلى الشاليه وهو يعلم

أن ما سوف يحدث خلال الساعة القادمة في هذا المكان قد يغير مجرى حياته بالكامل، وجد صالة استقبال واسعة يوجد بها منضدة طعام ويجلس عليها رجل آخر تبدو ملامحه شرق أوسطية، أكبر عمرًا من چاكوب، وفتاة صغيرة في السن يبدو وجهها مألوفًا له، يا للهول، بدأ حازم يشعر بالتوتر الشديد من المفاجأة، لقد كانت هي الفتاة التي رآها في مطار بن غوريون خلال انتظاره لإجراء التحريات الأمنية، الفتاة التي عرفت نفسها على أنها ألمانية من أصول فلسطينية وجاءت لزيارة أهل والدها في رام الله، هي إذا تعمل مع الشاباك، تجلس في صالة الانتظار وتمثل دور الزائرة من أصل عربي؛ لتختلط بالعرب أمثاله لتأخذ منهم بعض المعلومات الشخصية بطريقة غير مباشرة وتعطيها لموظفي الأمن الآخرين لمقارنة المعلومات والتأكد من صحتها.

بدأت الفتاة بالكلام: أهلا دكتور حازم أنا سارة، لقد تقابلنا من قبل في مطار بن غوريون

أجابها حازم وفي صوته نبرة من السخرية: ماذا تفعلين هنا يا سارة؟ لقد ظننت أنك في زيارة لأهل والدك في رام الله.

ابتسمت سارة وردت: أنا أعمل مع جهاز الأمن الوطني هنا في إسرائيل، فأنا ألمانية إسرائيلية أمي يهودية من ألمانيا وأبي من عرب إسرائيل.

قاطع چاكوب حوار حازم مع سارة وقال: تفضل بالجلوس دكتور حازم، لقد اتصل بنا دافيد البارحة وحكى لنا عما دار بينكما في أورشليم وفي البداية أودُ أن أسمع القصة منك شخصيًا.

نظر حازم إلى چاكوب والذي كان يجلس أمامه مباشرة على المنضدة، وبدأ يحكي ما قاله لدافيد، لابد وأنهم يريدون معرفة مدى تطابق قصته مع قصة دافيد لإيجاد أي من الثغرات بين القصتين.

بعد انتهاء حازم من سرد قصته قال چاكوب: شكرا دكتور حازم على إمدادنا بهذه التفاصيل يوجد لدينا بعض الأسئلة إن كنت لا تمانع؟

قال حازم بامتعاض: تفضل.

- هل يمكننا معرفة أسماء ووظائف من تعاملت معهم من المخابرات المصرية أو أي من المؤسسات الأخرى؟

- لقد كانوا يعرفون أنفسهم بأسماء عامة مثل أحمد، مصطفى، علي ولم يذكر أحد منهم اسم عائلته.

أخرج چاكوب ملفًا من حقيبته، ثم أخرج من الملف بعض الصور وأعطاهم لحازم: هل يمكنك التعرف على أي من هذه الصور؟

أخذ حازم ينظر إلى الصور « يا إلهي، لقد رأى صورة أحمد، وها هي ريم ومحمد ضمن صور أخرى لشخصيات يبدو أنهم جميعا مصريين، فكر حازم قليلا لا بد وأن بعضًا من هذه الصور لعناصر إسرائيلية ممن يشبهون المصريين، إنهم

يريدون أن يختبروا مدى صدق رواية حازم وإن حاول تضليلهم واختيار أي من الأشخاص التي لا يعرفها سيتضح لهم كذبه، ماذا يفعل الآن؟ هل يخبرهم عن أحمد وريم ويعطي بعض المصداقية لقصته؟ ولكن قد تستهدف الموساد كلا من أحمد وريم وتعمل على تصفيتهم!

قد يجد أحمد بعض الحماية لأن هذا من متطلبات عمله، ولكن ماذا عن ريم فهي مجرد مستشارة للحكومة المصرية، شعر حازم أنه استغرق وقتًا طويلًا في التحديق في الصور وأنه لا بد وأن يتخذ قرارًا سريعًا، أشار إلى صورة أحمد ثم قال: أعتقد أنه من كان يتحدث معي ولكن لست متأكدًا، فمن كان يتعامل معي في مصر كان له دقن وشنب.

- هل يوجد أي شخص آخر؟
- كلا، فهذا الشخص هو الشخصية الرئيسية التي كانت تتعامل معي.
- ما اسمه؟
- هو أخبرني أن اسمه أحمد.
- هل أعطاك رقم هاتف خاص به؟

كان حازم متأكدًا أنه إن قال لا فإنهم سوف يبحثون في هاتفه عن كل الأرقام والتي تخص أشخاص اسمهم أحمد وحتما سيستطيعون الربط بين رقم تليفون أحمد على هاتفه واحمد الذي في الصورة

- نعم، هذا هو رقمه.

كتب حازم رقم تليفون أحمد على ورقة وأعطاها لچاكوب آملا أن يفقدها أو لا يستطيع أن يقرأ خطه، لكن چاكوب نظر إلى الورقة وقرأ الرقم بصوت عالى كي يتأكد من أن الرقم في الورقة هو الرقم الصحيح، بدأ حازم في التفكير أنه لا بد وأن يحذر أحمد ويخبره أن رقم هاتفه أصبح مع "الشاباك"، أثناء فترة التدريب في الأسبوع الذي قضاه في مصر طلب منه حازم ألا يرسل أي رسالة باستخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة لأنه يسهل تتبع مكان الإرسال والاستقبال وقد يعرضه هذا لأن يشك الموساد فيه، طلب منه أحمد إذا تعرض فقط لأي موقف فيه خطر على حياته أن يتصل من تليفون عام برقم هاتف خاص بعيادة طبية في تل أبيب ويطلب التحدث للدكتور كوهين، وعند التحدث للدكتور كوهين يصف له أعراض مرض في البطن وعدم قدرته الاحتفاظ بأي أكل في معدته ومعاناته من الدوار والضعف وأنه في حاجة لرؤية طبيب، عندها سيعلمه الدكتور كوهين، والذي هو النقيب عبد الرحمن، أنه سيأتي للكشف عليه وسيعمل على تهريبه إلى مكان آمن، ولكن حازم ليس في وضع يشكل خطرًا على حياته الآن، إنه ما زال في بداية المهمة وفي غضون أيام قليلة سيكون في مصر وسوف يستطيع أن يحذر أحمد وجها لوجه.

فاجأته سارة بسؤال: دكتور حازم عندما تقابلنا لأول مرة في المطار كنت تتحدث عن مصر بكل حماس، وأهمية أن تتعلم ابنتيك اللغة العربية وأن تظلا مرتبطين

بالثقافة العربية والتقاليد المصرية، لماذا إذا تَساعد دولة إسرائيل؟

أدرك حازم كم كان ساذجًا عندما تحدث إلى سارة في مطار بن غوريون باستفاضة، لو كان أحمد في مكانه لم يكن ليقع في مثل هذا الخطأ.

- يبدو أنكِ قد نسيتي الجزء الخاص بأنني لم يكن لي أي يد في أن أقحم نفسي في هذه المهمة، والسبب الوحيد في أني أخبرت دافيد وأنني أجلس معكم الآن هو أني متأكد من أن حصولي على جهاز التشفير وإعطائه للحكومة المصرية سيتسبب في مشاكل لي مع دولة إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وهو ما سوف يلحق أضرارًا بالغة لي ولأسرتي وكل ما أرغب فيه أن تساعدوني لكي أجد مخرجًا من هذا الموقف دون الإضرار بي، لقد تعلمت خلال الـ ١٩ عام التي قضيتها في أمريكا أن أفكر بعقلانية وأتجنب العاطفة في اتخاذ القرار وأعتقد أن هذا ما ساهم في أن أكون ناجحًا فى عملي وقادرًا على اتخاذ قرارات مهمة بشكل صحيح، أعتقد أن هذا التفكير فيه شيء من العقلانية، أليس كذلك؟

هنا تحدث چاكوب: بالفعل دكتور حازم لقد اتخذت القرار الصحيح بوضع ثقتك بنا ولسوف نساعدك على أن تتخطى هذه المحنة بلا أضرار.

كان حازم يحتاج هذا المخرج من چاكوب لكي يسأل: ما هي الخطوة القادمة ؟

قال چاكوب: ستقوم بتنفيذ الخطة التي رسمتها لك المخابرات المصرية كما هي، بعد أن ننتهي من لقائنا هنا سوف تتجه إلى البار وسوف تجد جولان أراد هناك، سوف تقدم نفسك إليه وتتحدث معه في أحاديث عامة عن تكنولوجيا التشفير وتسأله عن آخر المستجدات في عمله، أعتقد أن المخابرات المصرية قد دربتك على هذا النوع من الأسئلة والحوار الذي يمكنك من خلاله أن تكسب ثقة جولان.

- نعم.

- في آخر السهرة سوف تدعوه إلى تناول الغداء معًا يوم الخميس بعد الجلسة الختامية للمؤتمر بغرض أنك تريد أن تناقش معه بعض الأعمال، وخلال الغداء سوف تعلمه أن هناك وسيط أمريكي يرغب في نسخة من جهاز التشفير الذي يقوم جولان على تطويره وأنك سوف تعطيه ١٠ آلاف دولار مقابل نسخة من هذا الجهاز.

- ماذا لو رفض أو أبلغ البوليس؟

- معلوماتنا عن جولان أنه سوف يستغل هذا العرض إما للحصول على المال أو اكتساب ثقة الشاباك الإسرائيلي وفي كلا الحالتين لن يكون هناك أي عائق لك.

- كيف؟

- إذا اتصل جولان بالبوليس سوف نعلمه أننا على علم وأنك لا تمثل خطرًا عليه وأنه يستطيع إعطائك الجهاز، أما إن لم يتصل بالبوليس فهذا سوف يؤكد شكوكنا نحوه ويجعلنا نراقبه بحذر.

- وماذا عن الشخص الآخر نيكولا؟

- نحن نختصر لك الوقت، نيكولا أكثر انتماء لإسرائيل ولا تعتبر الأموال من أهم أولوياته، فهو قد يتسبب لك بالضرر لو طلبت منه مساعدتك في الحصول على جهاز التشفير وسوف يكون من الصعب علينا أيضا إقناعه.

- وماذا سوف يحدث بعد الحصول على جهاز التشفير.

- سوف تقوم بتسليمه للمصريين وبعدها تعود إلى أمريكا.

- ولكن هل سيستطيع المصريين من فك شفرة باستخدام هذا الجهاز؟

ابتسم چاكوب ثم قال: من الأفضل لك أن لا تعلم الكثير من التفاصيل، عند تسليم الجهاز إلى المخابرات المصرية سوف تكون قد أديت مهمتك وتعود مرة أخرى إلى واشنطن، وهناك ينبغي عليك أن تركز في عملك وأن تبتعد عن أي شيء له علاقة بأجهزة المخابرات.

- آمل ذلك، سيكون هذا آخر لقاء معكم؟

ابتسم چاكوب ابتسامة واسعة ثم قال: نعم، ولكن إن أردت العمل معنا فمن الممكن أن نتقابل مرة أخرى.

يعلم حازم جيدًا أنه فخ من چاكوب، فإن قال حازم أنه يرغب في العمل معهم سوف يثير ذلك الشك حوله وأن حازم قد يكون مدسوسًا من المخابرات المصرية.

- شكرًا على العرض ولكن ليس هذا مجال تخصصي، فأنا أفضل أن أركز في عملي مرة أخرى.

أوقع حازم قلمه الحبر على الأرض دون أن يشعر چاكوب وأزاحه تحت المائدة بقدمه، ثم وقف وقال: من الأفضل أن أذهب لمقابلة جولان الآن.

هنا سمع حازم الرجل ذو الملامح الشرق أوسطية يتكلم للمرة الأولى، فقال بلسان مصري طليق: كيف حال مصر يا حازم؟

تسمر حازم لعدة ثواني من المفاجئة ثم قال: حضرتك مصري؟

ابتسم الرجل ثم قال: لقد وُلدت هنا في إسرائيل ولكن من أم يهودية مصرية، هاجرت من مصر في الستينات ولكن كانت تحب مصر من أعماق قلبها، علمتني اللغة المصرية والعادات والتقاليد، عندما تحسنت العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل ذهبت معها عدة مرات لزيارة مصر، لقد توفيت منذ ٦ أعوام ولم أذهب من يومها إلى مصر، لقد مرت على مصر أوقات عصيبة في الأعوام الثمانية الماضية منذ اندلاع الثورة.

لم يكن حازم يريد أن يدخل في أي حوار سياسي مع الرجل فقد تعلم من أخطائه عندما تحدث مع سارة وحكى لها عن انتمائه إلى الثقافة العربية، أيضا يبدو أن هذا الرجل خبير بما يدور بمصر.

- لقد هجرتَ من مصر منذ ١٩ عام وعادة ما أبغض الحديث في السياسة لأنها تسبب المشاكل بين أفراد العائلة الواحدة، كل ما أتمناه هو السلام والأمن لأهلي في مصر.

بدأ حازم التوجه إلى باب الشاليه عندما سأله الرجل سؤالًا آخر: هل تفكر في يوم من الأيام الاستقرار في مصر؟

نظر إليه حازم بثبات ثم قال: هذا أمر مستبعد فلدي ابنتان امريكيتان، أنا وزوجتي أصبحنا مستقرين في أمريكا، ومن الواضح أيضًا أن مصر ما زالت تعاني اقتصاديًا، لكن من يعلم ماذا يمكن أن يحدث في المستقبل.

كان الحوار يدار بالعربية ولم يكن لكل من چاكوب وسارة القدرة على فهم ما يدور بين حازم والرجل الآخر، نهض الرجل الشرق أوسطي من مقعده وقال لحازم: شالوم دكتور حازم.

كانت هذه إشارة على انتهاء الحديث، قام چاكوب بإيصال حازم إلى الباب ثم قال: لا تخف دكتور حازم، إن اتبعت التعليمات التي اتفقنا عليها من المفترض أن تنقطع صلتك بهذه المهمة تمامًا في غصون أيام قليلة.

- آمل ذلك.

تصافح حازم وچاكوب واتجه حازم إلى البار لمقابلة جولان، لقد ظهرت بعض الفوائد لخطته فهو الآن يعلم من سوف يعطيه الجهاز دون الوقوع في خسائر فادحة.

يوم الخميس استيقظ حازم في السادسة صباحًا وتوجه إلى مكتب الاستعلامات في الفندق، استقبله موظف الاستعلامات بابتسامة ثم سأله: كيف يمكنني مساعدتك يا سيدي؟

- إنني أعمل لدى شركة ASR ولقد كنت في الغرفة ١١١ البارحة في اجتماع خاص ويبدو أني قد نسيت قلمي في الغرفة، هل وجده أحد؟

نظر الرجل إلى الحاسب الآلى ثم قال: لم تذهب خدمة التنظيف إلى الغرفة ١١١ فما زال الوقت مبكرًا ولا يوجد ساكن بها، سأبلغ القائم على التنظيف وإن وجد القلم سأحتفظ به هنا.

- و لكن هذا القلم مهم لي جدًا فهو هدية من زوجتي، وأيضًا اعتدت على الكتابة به.

أخرج حازم ورقة بـ ٢٠ دولارًا أمريكيًا ووضعها أمام موظف الاستقبال ثم قال: هل يمكن أن تبعث أحد من موظفي التنظيف معي للبحث عن القلم.

ابتسم موظف الاستقبال ثم قال لحازم: دعني أحاول.

بعد قليل كان موظف التنظيف يصطحب حازم إلى الغرفة، ذهب حازم إلى المنضدة وأخذ يبحث حولها متصنعًا أنه يبحث عن القلم حتى وجده حيث أخفاه خلف أحد أرجل المنضدة، أخذ حازم القلم وشكر عامل التنظيف الأفريقي والذي كان يبدو

سعيدًا بأنه ساعد حازم على إيجاد ما فقده، اتجه حازم إلى غرفته وهو يتمنى أن يكون القلم الذي تركه في الغرفة والذي يحتوي على خاصية التسجيل قد تمكن من تسجيل الحديث الذي دار في الغرفة البارحة بعد أن رحل عنها.

لقد اشترى حازم هذا القلم من واشنطن وهو قلم رقمي ذو خاصية تسجيل ويمكنه التسجيل حتى ساعتين من الوقت، كان حازم قد رسم إمكانية حدوث هذا السيناريو وأن الإسرائيليين لن يعطوه أي تفاصيل عن خطواتهم المقبلة، لم يكن متأكدًا إن كان القلم سيلتقط الحديث الذي تم في الغرفة بعد رحيله بوضوح.

استخدم حازم خاصية البلوتوث لتوصيل القلم بجهاز الكمبيوتر الشخصي ليتمكن من سماع ما قد تم تسجيله، استخدم حازم سوفت وير متخصص في التعرف على الأصوات وترجمتها إلى لغات مختلفة، كان القلم قد بدأ بالتسجيل منذ أن سأل الرجل ذو الأصول المصرية حازم عن حال مصر بالعربية، فرح حازم أن القلم قد قام بالتقاط الأصوات بوضوح، أخذ يستمع حتى خرج هو من الغرفة، كان هناك لحظة صمت قصيرة ثم سمع صوت يشبه صوت چاكوب يتكلم وكان الحوار يدور باللغة العبرية، كان حازم يقرأ ما يقوم برنامج الترجمة بكتابته.

- ما رأيك يا چوزيف في ما قاله حازم؟

أدرك حازم أن الشخص ذو الأصول المصرية اسمه چوزيف.

- يوجد ما يثير الشك في رواية حازم، لا بد لعالم مثله أنْ يعرف أنّ إعطاء المصريين هذا الجهاز لن يساعدهم على فك الشفرة منفردا فكيف لم يُثِر هذه النقطة معهم.

- ألا يثبت هذا أنه يريد أن يعطي الجهاز للمصريين كما طلبوا منه وعندها يطلب منهم أن يتركوه في حاله.

- أو أنه يفكر في مساعدتهم بطريقة ما لفك الشفرة.

- كيف؟

- لا أعرف، ولكنه حاصل على دكتوراه في علم التشفير وخبير عالمي، قد يجد طريقة ما

- و لماذا إذا قررت الموساد إعطاء حازم جهاز التشفير؟

هنا علم حازم أن چوزيف يعمل لصالح الموساد.

- لأنها فرصة ذهبية لكي نتمكن من زرع فيروس إلكتروني حديث في أجهزة شبكة المخابرات المصرية.

أحس حازم بالرعب، لقد فضح أحمد وأعطاهم رقم تليفونه من قبل والآن سيسمح لهم بإنزال فيروس على شبكة المخابرات!

سمع صوت چاكوب مرة أخرى:

- وماذا سوف يحدث عندما يحاول المصريين فك الشفرة؟

- سوف يتصل الجهاز عن طريق الإنترنت بالأنظمة المتواجدة على السحابة الإلكترونية لأخذ أمر السماح بفك الشفرة، وعندها سوف نعدل أمر السماح على البرنامج المركزي لإعطاء المعلومات الخاطئة لهذا الجهاز تحديدًا وبالتالي لن يتمكن الجهاز من فك الشفرة.

- و لكن ألا يثير ذلك شك المصريين في حازم؟

- لا، كما قلت لقد أعطاهم حازم ما يريدون، وإن التزم حازم الصمت كما فعل معنا ولم يخبرهم بكيفية عمل الجهاز عن طريق السحابة الرقمية، سيصلون إلى أسباب أخرى لعدم عمل الجهاز مثلًا أن نوعية هذا الجهاز لا تناسب الشفرة المستخدمة.

- و ما يمنعهم من أن يسألوا حازم أن يحاول مرة أخرى في الحصول على جهاز آخر لفك الشفرة، وقد يسألونه أن يساعدهم شخصيا في فك الشفرة!

- محتمل، وهنا سوف يظهر صدق حازم إن كان فعلًا يرغب في أن يظل بعيدًا عن المشاكل أم لا، عندها لا بد وأنه سوف يجد مخرجًا كي لا يورط نفسه أكثر مع المخابرات المصرية.

مرت فترة قصيرة من الصمت ثم سمع حازم صوت چاكوب مجددًا: لا بد لي من الذهاب الآن، سآخذ سارة معي.

- و هو كذلك سنكون على اتصال قريبًا.

أمسك حازم رأسه بكفيه من الهلع الذي أصابه، إن الإسرائيليين على علم أنه يدرك أن خطة المخابرات المصرية لن تنجح، فقرار حازم أنه لن ينفذ الخطة كان في صالحه، ما الذي يجب أن يفعله الآن؟ هل يعطي أحمد الجهاز ثم يذهب بعدها إلى واشنطن وليترك الإسرائيليين يفترسون المخابرات المصرية عن طريق الفيروس الذي سيتم زرعه في شبكة المخابرات؟

أم يخبر المصريين ويساعدهم في فك الشفرة؟ ولكن حتما سيدرك الموساد ما فعله وسينتقمون منه.

إنه يريد أن يتكلم مع أحد، لن يقحم أحدًا في همومه ولكنه يحس بالاختناق، إنه يريد بعض القوة عن طريق التحدث مع أحد، نادية، لا بد وأنها ناقمة عليه لأنه لم يحدثها منذ يومين، يبدو أنها يأست من محاولات الاتصال به فهي لم تحاول الاتصال اليوم، هي محقة، في بعض الأحيان لا يستطيع أن يفهم لماذا يتهرب من الكلام معها، هل لأنها تذكره بـ ١٦ عام من الحياة الرتيبة بدأها منذ أن كان ما زال حديث التخرج، أم أنه يغار أنه لم يكن أبدًا أهم أولوياتها؛ دائمًا ما يتملكه الإحساس أنه بالنسبة لها مصدر الاستقرار المادي والحياة المريحة والتي قد لا تجدها مع غيره، ربما يكون ظالما لنادية وأنها فقط لا تستطيع التعبير عن مشاعرها، ولكن ما الصعب في أن

تقول له وحشتني، أو أن تطلب منه الذهاب في رحلة قصيرة معًا بدون ابنتيهما لإعادة المشاعر والعاطفة إلى حياتهما؟

إنه يستطيع أن يتنبأ بحياته هو ونادية بعد بضعة سنين عندما يصبح لسلمى وفرح حياتهما الخاصة، فغالبا ما سوف تظل نادية في اللهث خلف البنتين والعناية بأطفالهم حتى تشيخ وتهرم وسيظل هو مصدر الدخل المادي ولكن نادية لن تكن في حاجة إليه مثل الان، سوف تصبح أقل صبرا على أفعاله وتضعف الصلة بينهما فتصبح متهاوية وهشة، وسيعاني كلا منهم من الوحدة داخل نفس المنزل.

و لكنه يريد الحديث معها الآن، أمسك حازم بهاتفه وطلب رقم نادية، سمع صوت نادية: ألو.

إنه يعلم من نبرة صوتها وبمجرد سماعه لأول كلمة منها أنها غير راضية عنه، ليس هذا وقت العتاب يا نادية أرجوكي فإني أحتاجُ إليك.

- ازيك يا نادية، وحشتيني.

- واضح، بقالك يومين ولا بتتكلم ولا حتى تبعت رسالة تطمنا عليك.

- آسف ولكن المؤتمر كان مليئا بالفعاليات، وحتى وقت العشاء نقضي معظم الوقت في التحدث عن العمل والمشاريع.

- و ماذا عند النوم؟ لا يوجد وقت لتكلمنا فيه لمدة ٥ دقائق، لقد سألت عليك سلمى وفرح، فإنك لم تحدثهما منذ سفرك.

- هما عندك دلوقتي ؟

- لا، لسه في المدرسة.

لم تكن بداية المكالمة مريحة لحازم لكي يحدثها عن ما به أو يطلب منها بعض الدعم المعنوي، ألا يمكن أن تلتمس له عذرا؟ بالطبع لن يأتي إلى عقلها أن زوجها جاسوس وأنه مشترك في مخاطرة كبيرة قد تتسبب في هلاكه، وأنه لجأ إلى هذه المخاطرة لمعاناته من اكتئاب كانت هي وأطفالهما أحد أسبابه، هل تمر هي الأخرى بهذا الاكتئاب؟ هل فقدت الأمل فيه ولم تعد تكترث له بعد الآن؟

مرت ثواني بدون أي حديث.

- حازم، هو في إيه؟ لم تتحدث منذ يومين والآن عندما تتصل لا تجد كلامًا لتقوله.

- أنا آسف ولكن مرهق من الاجتماعات والمجهود الذي بذلته للإعداد للمؤتمر.

- هانت، كلها كام يوم وتنزل عند طنط والدتك وتستريح هناك.

لم يكن يدري إن كان في نبرتها شيء من السخرية والغضب أم أنها فعلا كانت تتمنى له الراحة؟

لم يجد حازم ما يقوله ولكنه تذكر سُهى، تخيل للحظات لو كانت هي التي تكلمه بدلًا من نادية، هل كان الحديث سوف يصبح مقتضبًا كما يجري الآن؟ لكم كره هذا

السؤال!

- حازم أنت فين؟

- آسف يا نادية ولكن أنا فعلا مرهق للغاية، اليوم آخر يوم في المؤتمر، سوف أتحدث إليك في المساء عندما تكون سلمى وفرح في المنزل.

- أوك.

- مع السلامة.

- مع السلامة.

لا بد وأنها محبطة للغاية منه، لكم يتمني أن يجد حلًا لما يشوب علاقته هو ونادية من مشاكل وتوتر فهي لا بد وأنها غير سعيدة أيضًا، ماذا لو اكتشف الإسرائيليون خطته وانتقموا منه هل يمكن أن تغفر له أبدًا؟

هل إذا ترك لها ولسلمى وفرح ما يكفي لأن يعيشوا حياة كريمة وانفصل عنهم هل ستكون نادية أكثر سعادة؟

هل سيكون هو أكثر سعادة؟

ماذا عن فرح وسلمى؟ بالطبع لن يكونا أكثر سعادة ولكن سرعان ما سيكون لكل واحدة منهما حياتها الخاصة ولسوف يتأقلما على الوضع.

ما هذا الجنون؟ هل يفكر في طلاق نادية؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المفاجأة

القاهرة - الإثنين ٨ أبريل ٢٠١٩

صحا حازم على صوت هاتف الغرفة، نظر إلى المنبه المتواجد على الكمود جانب السرير فوجد الساعة الثانية عشر ظهرًا.

- ألو

- دكتور حازم أنا أحمد علام، كيف حالك؟

أفاق اسم «أحمد» حازم من النوم وجلس على السرير في اعتدال:

- أهلا يا أحمد، أين أنت؟

- أنا في الفندق عند مكتب الاستقبال، ممكن نشرب قهوة مع بعض؟

- أعطني ربع ساعة وسأكون عندك في اللوبي.

لقد نفذ حازم ما اتفق عليه مع أحمد بخصوص ترتيبات هذه الزيارة لمصر، فقد حجز حازم فندق في القاهرة باسمه لمدة يومين قبل النزول للإسكندرية لزيارة والدته. شرح له أحمد أن هناك احتمال أن أحد من علماء ASR قد يبلغ الموساد بمحاولة حازم للحصول على جهاز التشفير وأن حازم قد يُوضع تحت المراقبة. طلب أحمد من حازم أن يتصرف كمن هو في إجازة ولا يحاول الاتصال به بأي شكل من الأشكال وينتظر حتى يقوم بالاتصال به.

أخذ حازم شاور سريع وارتدى ملابسه ثم اتجه إلى اللوبي حيث ينتظره أحمد، عند وصول المصعد إلى الطابق الأرضي وجد أحمد أمامه مباشرة، دخل أحمد المصعد وضغط على زر البدروم ثم قال سريعًا: عند توقف المصعد سوف تجد إشارات تدلك على قسم خدمة الغرف Room service اتجه إلى المطبخ وهناك ستجد باب يأخذك إلى الشارع الخلفي وفيه ستجد سيارة نيسان زرقاء ذات زجاج داكن، اركبها وسوف نتقابل في مكان آمن خلال ربع ساعة.

قال حازم في اندهاش: ماذا يحدث يا أحمد؟

رد أحمد في جمود: أنت تحت مراقبة مشددة منذ أن هبطت طائرتك البارحة في مطار القاهرة، نحن لا نعلم تحديدًا من يراقبك ولكن عندي شك أن من يراقبونك تابعين للموساد.

فتح باب المصعد، خرج أحمد سريعًا بينما ترك حازم في حالة انزعاج، نظر حازم إلى اللافتات الإرشادية وتتبعها ليصل إلى قسم خدمة الغرف، وصل الى المطبخ ووجد العاملين كل مشغول في عمله ولا يلقون له بالا، نظر حوله فوجد بابًا مكتوبًا عليه باللون الأحمر مخرج، توجه إليه سريعًا وخرج إلى الشارع فوجد سيارة نيسان زرقاء ذات زجاج داكن تكاد أن تلتصق بباب الخروج، فتح حازم الباب الخلفي ودخل الى السيارة، كان يوجد بالسيارة ٣ أشخاص، نظر الشخص الجالس في

المقعد الخلفي إلى حازم وقال له: دكتور حازم أنا النقيب حسن من المخابرات المصرية، سوف نصطحبك إلى مكان آمن لمقابلة المقدم أحمد، من أجل سلامتك سوف أضع هذه النظارة السوداء والتي تحجب الرؤية تمامًا على عينك. لم يعطِ حسن فرصة لحازم للاعتراض ووضع النظارة على عينه وبدأت السيارة في الحركة. خلال ربع ساعة توقفت السيارة عن الحركة وسمع حازم صوت حسن قائلا: لقد وصلنا يا دكتور حازم سوف أمسك بيدك الآن، وسوف أقوم بتوجيهك إلى مكان اللقاء.

كانت السيارة قد توقفت في جراچ بناية يوجد به القليل من السيارات، توجه حسن إلى مصعد وفيه ضغط حسن على زر الدور العاشر، عند توقف المصعد سحب حسن حازم من يده إلى الخارج ثم توجه إلى باب إحدى الشقق في الدور العاشر وضغط زر الجرس. فتحت الباب فتاة في منتصف العشرينيات ابتسمت إلى حسن ودعته إلى الدخول ثم ذهبت لتجلس على مكتب في صالة الاستقبال. يبدو المكان كمكتب لإحدى الشركات التجارية والذي تستخدمه المخابرات كمكان آمن لإجراء الاجتماعات مع عملائها.

دخل حازم وحسن الى غرفة اجتماعات، وهناك سمع حازم صوت أحمد وهو يقول له: الآن يمكنك رفع النظارة يا دكتور حازم.

رفع حازم النظارة السوداء فوجد أحمد يقف أمامه والدكتورة ريم تجلس على أحد الكراسي حول منضدة الاجتماعات وعلي وجهها ابتسامة رقيقة ثم قالت: حمد الله على السلامة يا دكتور حازم، نورت القاهرة.

ابتسم حازم ابتسامة مجاملة ورد التحية: أهلا يا ريم، الله يسلمك.

ابتسم أحمد ابتسامة حارة وقال: أنا آسف لم أستطع أن أرحب بك عند رأُيتك في الفندق، مد يده إلى حازم فصافحه حازم بحرارة وابتسم ثم قال: احكي لي ما هو السر وراء عملية نقلي السرية لهذا المكان.

جلس أحمد ثم أشار إلى حازم بالجلوس: منذ أن هبطت طائرتك ليلة أمس في مطار القاهرة ونحن نضعك تحت المراقبة الدقيقة من أكثر من فرقة مراقبة تحسبًا لأن يكون الموساد تشك في أمرك، وقد كان شكي في محله؛ بعد خروجك من المطار تابعتك سيارة BMW سوداء إلى مكان الفندق، ثم خرج ورائك أحد ركاب السيارة وانتظر حتى صعدت إلى غرفتك واستفسر عن بيناتك من موظف الاستقبال وبعد خروجك اليوم من غرفتك ذهب أحد عمال النظافة إلى غرفتك وزرع أجهزة تصنت في الغرفة.

سكت أحمد قليلا ثم قال: أخبرني ماذا حدث في إسرائيل؟ وهل تمكنت من الحصول على جهاز التشفير؟

أخرج حازم جهازًا صغيرًا من جيبه ثم وضعه على منضدة الاجتماعات، وقال هذا هو جهاز التشفير، وأنا أعرف جيدًا من هم الذين يتتابعونني.

نظر أحمد إلى حازم بتركيز وقال: كلي آذانٌ مصغية.

بدأ حازم يحكي لأحمد وريم كيف أنه لم يقتنع بالخطة التي تم وضعها وشاركه أحمد بتفاصيلها عندما كان في مصر في زيارته السابقة، واقتناعه بأنه سوف يكون صيدا سهلا للموساد إن قرر استخدام جهاز التشفير كما هو، وكيف أنه وضع خطة بديلة مقامة على أن يخدع الموساد عن طريق إيهامهم أنه يعمل لصالحهم، كانت ريم تنظر له في ذهول وفي لحظة لم تتحمل ما يقوله حازم فقالت بعصبية: كيف قررت أن تفعل ذلك؟ إنك تعرض حياتك للخطر والمهمة بأكملها للفشل.

هنا نظر حازم إلى ريم وأجاب بشيء من الحدة: هذه المهمة كان مكتوبٌ عليها الفشل من البداية! هل تعلمين أن الموساد عنده تقرير شامل عنكِ؛ ثم نظر إلى أحمد وتابع: وعنك أيضا وعن محمد القائم بأعمال السفارة في واشنطن - انهم يعلمون كل صغيرة وكبيرة عن كل واحد منكم.

نظرت ريم إلى أحمد بفزع والذي نظر بدوره إلى حازم ثم قال: اتفضل أكمل حكايتك يا دكتور حازم.

تابع حازم سرد القصة وتفاصيل اللقاء مع جاكوب وسارة وچوزيف وكيف أنه استطاع تسجيل الحوار بعد خروجه من الشاليه، وخطة الموساد بزرع فيروس إلكتروني في شبكة المخابرات المصرية.

بعد أن فرغ حازم من سرد ما حدث في إسرائيل سادت برهة من الصمت في غرفة الاجتماعات فقد أخذ كل من أحمد وريم بعض الوقت لاستيعاب ما قاله حازم ؛ لقد أصاب ريم الرعب فهي معروفة الآن لدى الموساد وإن حاول حازم التغطية عليها فلا بد وأنهم سوف يربطون بينها وبين أحمد المعروف لديهم، خاصة أن حازم قد اعترف عليه.

لماذا لم يرفض حازم هذه المهمة اللعينة منذ البداية؟

لكن بناء على ما قاله حازم فإن أفراد الموساد يراقبونها من قبل إسناد المهمة لحازم، لو لم يفعل حازم ما فعل لم يكن أحمد وريم ليدركا أنهم مراقبين من الموساد وأنهم أيضا قد يكونا مستهدفين. لا بد وأن هناك من يسرب هذه المعلومات السرية من داخل أجهزة المخابرات، فالمعلومات المسربة لا تقتصر فقط على طلبات التسليح ولكن يتم تسريب معلومات مخابراتية شديدة السرية.

أما أحمد فأخذ يفكر كيف أنه خُدع في شخصية حازم، بينما كان يعتقد أن ما يمر به حازم من أزمة منتصف العمر وشعوره بالملل قد يعطيه الحافز على إتمام المهمة، لم يتصور أحمد أن يكون حازم بهذه الجرأة ليغير مسار الخطة تغييرًا شاملًا ويصبح حازم هو من يملك زمام الأمور، فأحمد الآن ليس بيده خيوط اللعبة ولأول مرة لا يعرف ماهية الخطوة القادمة، لم يكن أحمد قلقًا من اعتراف حازم عليه، فلقد فعل حازم الصواب لحماية الآخرين، بل إن هناك مكسب إيجابي مما فعله حازم وهو أنهم أصبحوا متأكدين من تسرب معلومات شديدة السرية من داخل أجهزة المخابرات.

بدأ أحمد الحديث موجهًا كلامه إلى حازم: إن كان هذا الجهاز مراقب ويوجد عليه فيروس كيف سنتمكن من فك الشفرة ومعرفة مصدر تسريب المعلومات؟

هنا أدرك حازم أنه لا يوجد حل آخر أمام أحمد إلا الوثوق به، قال حازم: لديّ خطة بديلة.

استطرد حازم: يوجد على جهاز التشفير مجموعة من الخصائص التي تتم برمجتها لكي يتواصل هذا الجهاز مع البرنامج الرئيسي على السحابة الرقمية للسماح له بفك الشفرة، ولقد تمكنت عن طريق البحث في قاعدة بيانات الشركة والأبحاث المسجلة حول أنظمة التشفير الحديثة من تحديد أين يتم تسجيل عنوان البرنامج الرئيسي على جهاز التشفير، سأقوم بشراء جهاز كمبيوتر شخصى وعن طريق استخدام تكنولوجيا الشبكات الخاصة الافتراضية VPN سأقوم بشراء عنوان وهمي في فرنسا حتى لا يستطيع أحد تتبع مكاني وعندها سوف أقوم بتغيير العنوان على جهاز التشفير ليتم التخاطب مع جهاز الكومبيوتر الشخصي بدلا من البرنامج الرئيسي.

هنا قالت ريم: ولكنك ما زلت تفتقد البرنامج الرئيسي والذي سوف يسمح للشريحة بالعمل.

أجابها حازم: لعلك نسيت أن هذا هو تخصصي يا دكتور ريم، فلقد صممت وبنيت كثير من البرامج التي مهمتها التواصل والتحكم بأجهزة التشفير عن بعد، إني أحتاج إلى أسبوع واحد فقط وسأكون عندها جاهزًا لفك الشفرة.

هنا قال أحمد: هل هذا يعني أنك ستأخذ الرسائل المشفرة معك إلى أمريكا؟

- نعم وهناك عندما أنتهي من بناء البرنامج الرئيسي، سأجعل جهاز التشفير يتحدث مع جهاز الكمبيوتر الشخصي والذي يحاكي السحابة الإلكترونية للسماح له بفك الشفرة، عندها سأقوم بفك الشفرة وحفظ أصل الرسائل ومحتوياتها عن طريق تصويرها بكاميرا ضوئية حتى لا ينتقل الفيروس إلى أي وسيلة حفظ أخري، ثم أدمر هذا الكمبيوتر الشخصي والذي سوف يكون قد أصيب بالفيروس.

- وكيف سنحصل على صور الرسائل بعد فك تشفيرها؟

- سأقوم بتسليم الصور وجهاز التشفير إلى أحد العاملين بالسفارة من غير المعروفين للموساد باليد، وعند حصولكم على جهاز التشفير لا بد وأن تضعه في جهاز غير حيوي وغير مشبوك على شبكة الحاسبات الآلية للمخابرات، وبذلك يصل للموساد طلب تفعيل الجهاز قادمًا من مصر حسب الخطة التي وضعوها، وستكون هذه أيضا فرصة لكم لوضع معلومات مضللة على هذا الجهاز، أعتقد أن الدكتورة ريم يمكنها المساعدة في ذلك.

نظر حازم إلى ريم والتي لم تعقب على كلام حازم، كانت ريم تفكر بعمق في كل كلمة قالها حازم لعلها تجد ثغرة في ما قاله ولكن تبدو خطته محكمة للغاية.

نظر أحمد إلى ريم مستفسرًا عن رأيها، فأشارت بوجهها بعلامة الإيجاب.

هنا نظر أحمد إلى حازم ثم قال: في الغد اذهب إلى برج القاهرة في الساعة الحادية عشر صباحًا واصعد إلى المطعم في الدور الأخير، هناك سوف تجد أسرة مصرية معهم طفلين، اجلس على منضدة الطعام المجاورة لهم، هناك سوف نقوم بإيصال الرسائل المشفرة إليك.

مرت لحظة سكوت، كسرها حازم بقوله: أحمد خذ حذرك ولا تتحدث مع أي أحد بخصوص هذه المعلومات فأنت لا تعلم من هو مصدر تسريب المعلومات من الداخل.

ابتسم أحمد ابتسامة فيها شيء من الثقة والثبات ثم قال: لا تقلق، وأنت أيضًا خذ حذرك، كل حركة في غرفتك مسجلة بالصوت والصورة، الآن يمكنك وضع النظارة والذهاب يا دكتور حازم.

أمسك حازم بالنظارة ولكن قبل وضعها على وجهه قال له أحمد وعلى وجهه نظرة امتنان: شكرا يا دكتور حازم على كل ما عملته من أجل مصر.

وضع حازم النظارة على وجهه ونادى أحمد على حسن لاصطحاب حازم إلى الفندق.

•

في المساء خرجت سُهى إلى قاعة النادي الليلي في فندق الخمس نجوم التي تعمل به لتحيي فقرتها الغنائية، بدأت بأغنية "مين حبيبي أنا" لوائل الكفوري ونوال الزغبي، أخذت سُهى تتجول بين الحضور وحثهم على الغناء معها وبينما تتنقل من منضدة لأخرى تفاجأت سُهى برؤية حازم يجلس وحيدا على إحدى الطاولات وهو ينظر اليها وعلى وجهه ابتسامة واسعة، اقتربت سُهى من طاولة حازم وهي لا تزال تغني:

لو غبت دقيقه بتألم وللنسمه عنّك بتكلّم

ما في بجمالو حدا عمري بغرامو ابتدا إحكي ويرد الصدى

مين حبيبي أنا (ثم وجهت الميك إلى حازم)

احمر وجه حازم ولم يكن يدري ماذا يقول، أدركته سُهى بتكملة المقطع

«ردّ علي وقول»

غني حازم معها «مين حبيبي أنا، ردّ علي وقول».

مسحت سُهى على شعر حازم مداعبة له بدلال وأكملت جولتها بين الحاضرين.

بعد أن انتهت سُهى من فقرتها الغنائية حيت المتواجدين في النادي الليلي ثم توجهت إلى غرفتها.

لم يكن حازم متأكدًا إن كانت سُهى ستأتي إليه ولكنه أحس بسعادة بالغة لرؤيتها وسماع صوتها. اقترب أحدهم من حازم وقال في صوت خافت: آنسة سُهى تُبلغك أنها سوف تستبدل ملابسها وتأتي للجلوس معك.

شعر حازم بسعادة بالغة، فمن بين الكثير من المعجبين تذكرته سُهى واختارت أن تجلس معه الليلة.

بعد مرور بعض اللحظات رأى حازم سُهى قادمة إليه وهي ترتدي فستانًا فضيًا براق قصير، طالقة شعرها الكيرلي الطويل وتمشي في أنوثة طاغية، قام حازم لتحيتها فمد يده إليها فإذا بها تضمه إليها وتطبع على خديه قبلتين.

- كيفك دكتور حازم والله اشتقنا لك كتير.

- ألم نتفق أن نرفع الألقاب، لا حاجة «لدكتور»، وأنا كمان اشتقت لك وعشان كده جيت اليوم.

ضحكت سُهى ضحكة عالية وقالت: يسلمولي عيونك يا حازم، أنت متى جيت من أمريكا؟

- البارحة.

- يا ترى التقيت بأحمد؟

تردد حازم في الإجابة قليلا ثم قال: اتصلت به هاتفيًا ولكنه مسافر خارج البلد.

- أتصدق أني ما التقيت بيه من آخر مرة شوفتك فيها.

أراد حازم تغيير الموضوع: على فكرة الليلة اللي سهرنا فيها سوا ما زالت عالقة في ذهني حتى الآن.

ضحكت سُهى ضحكة مصهللة وقالت: بدي أصدقك ولكني لا أقدر.

- لماذا؟!

- لأنك ليلتها نسيت اسمي وأنا بغني وناديتني بنادية، أكيد ده اسم المدام؟

نظر حازم إلى أسفل بحرج ولم يرد عليها.

أسرعت سُهى تسأله: أخبرني ما الذي أتى بك لمصر؟ عمل أم فسحة؟

- لقد كنت في رحلة عمل في إيطاليا وقررت أن أقضي أسبوعًا في مصر لزيارة والدتي في الإسكندرية، وأيضًا رؤيتك فأنت أصبحتي من أعز الأصدقاء.

- صداقتك تشرفني يا حازم فأنت إنسان كتير صافي وحبوب.

- أخبريني عن حياتك في مصر؟ هل تأقلمت على الحياة هنا؟

- أي حدا ممكن أن يتأقلم على الحياة هنا في مصر، مصر دايما مرحابة بضيوفها.

- ألم يقابلك أي مشاكل؟

- كتير ولكن المزايا أكتر بكتير من المساوئ.

- احكي لي عن تجربتك.

ضحكت سُهى ضحكتها العالية المعهودة ثم قالت: تحب تسمع إيه ولا إيه؟

- قولي لي موقف مضحك حصل لكِ.

بدأت سُهى تحكي لحازم عدة مواقف مضحكة حدثت لها عندما قدمت حديثا إلى القاهرة، وكيف أن لهجتها كانت تضعها في مواقف محرجة معظم الأوقات، وخاصة عندما يتواجد رجلٌ وزوجته ويبدأ الرجل في مدح سُهى واللهجة اللبنانية فتكشر الزوجة عن أنيابها.

كان حازم يقهقه وهو يستمع لقصص سُهى المضحكة فهو يدرك تمامًا إحساس الرجل المصري أمام اللهجة اللبنانية الساحرة.

نظرت سهى إلى حازم ثم قالت له: هل تحب موسيقى الچاز؟

- هي من أنواع الموسيقى المفضلة إلي.

- يوجد في هذا الفندق چاز كلوب، هل ترغب في الذهاب وسماع بعض الموسيقى؟

- بالطبع يسعدني ذلك.

قام الاثنين وتأبطت سُهى ذراع حازم إلى نادي الچاز، كانت الإضاءة خافتة يغلب عليها اللون الأزرق الداكن، كان عازفين الچاز يعزفون على آلاتهم الوترية وخاصة آلة الباس الضخمة وآلات السيكسفون ذات النغمات الجهورية، يبدو من أشكالهم أنهم ليسوا مصريين، غالبًا من إحدى دول أمريكا اللاتينية، كانت الأنغام مرحة وسريعة، أخذت سُهى تتمايل وتتراقص على أنغام الموسيقى بمرح وخفة بينما حازم يراقبها وعلي وجه ابتسامة، فقد تملكته السعادة والتي استمدها من مرح ورقص سُهى الرشيق.

بدأ العازفون في عزف أغنية جديدة هادئة النغمات وبدأ رواد المكان في الرقص على نغمة الأغنية. نظرت سُهى إلى حازم وقالت: بدك ترقص معي؟

نظر حازم إلى سُهى بإحراج ثم قال: أكيد بس أنا مش خبير في الرقص.

نظرت سُهى إليه بدلال وقالت: ما تحمل هم؛ تعال معي.

أخذت سُهى حازم من يده إلى مكان الرقص، واقتربت منه حتى أصبح صدرها يلامس صدره، شعر حازم بحرارة جسدها تنتشر في جميع أنحاء جسده، نظر إلى عينيها العسليتين فوجد روحه تنسحب إلى ثقب أسود لا يوجد له قرار، أخذت سُهى تتمايل وبرفق تُوجه حازم إلى الحركة التالية، ترك حازم لها نفسه تمامًا فهو الآن كالمسحور يأتمر بأمر ساحرته، ألقت سُهى برأسها على كتف حازم، ودس هو وجهه في شعرها كوردة يستنشق رحيقها. انتهت الأغنية فرجعت سُهى برأسها

ونظرت إلى حازم وعلى وجهها ابتسامة رقيقة، اقترب منها حازم لتقبيلها فرجعت سُهى برأسها قليلًا للخلف ثم قالت: حازم أنت متزوج، خلينا أصحاب

أفضل.

نظر حازم إلى الأرض في إحراج ثم قال: أنا آسف يا سُهى، لم يكن قصدي أن أضايقك ولكن عندما أكون معكِ ينتابني إحساس عميق بالسعادة.

- حازم أنت إنسان طيب وحبوب ولكني لن أصبح سعيدة وأنا أرى أسرتك تُهدم.

لم يدرِ ماذا يقول لها حازم ولكنه دائمًا ما يشعر بالسعادة عندما يكون معها فهو يحب مرحها وانطلاقتها وحكايتها وجرأتها، يوجد فيها أشياء كثيرة تملؤه بالإثارة والرغبة في أن يظل معها.

داعبت سُهى شعر حازم ثم قالت: لابد وأنك مرهق من السفر وتعاني من فرق التوقيت، اذهب لتستريح ولازم نتقابل تاني قبل ما ترجع أمريكا.

أراد حازم أن يقول لها أنه لا يريد أن يتركها فهو لا يعلم إن كان سيراها مرة أخرى أم لا: أنا فعلا مرهق جدًا، شكرا على السهرة الجميلة وحكايتك الشيقة، سأبذل ما بوسعي لأراك قبل سفري.ابتسمت سُهى وطبعت قبلة على خد حازم وافترقا، كلا إلى محل إقامته.

•

في الصباح الباكر كان أحمد مجتمعًا في مبني المخابرات العامة مع كلا من العقيد حسام واللواء ناصر مدير المخابرات العامة.

بدأ أحمد الكلام موجها كلامه إلى اللواء ناصر: لقد وصلتنا يا فندم معلومات مؤكدة أن الموساد على علم بعناصر فريق مهمة إنيجما وأن لديهم ملف كامل عن كل واحد من عناصر الفريق

بدا على وجه اللواء ناصر القلق الشديد وقال: كيف تمكنت الموساد من معرفة المهمة وفريق العمل؟

- لقد عرفت الموساد بتفاصيل المهمة عن طريق X نفسه، والذي اكتشف فيما بعد أن لديهم ملفات لي وريم وإيهاب.

- وهل تثق في ما يقوله X.

- نعم، فهو ما زال يُساعدنا بخطة بديلة لفك الشفرة، لا يوجد أمامنا الآن غير الثقة به وخاصة أننا أصبحنا متأكدين أن هناك من يسرب المعلومات من الداخل.

- و متى سيتمكن X من فك الشفرة؟

- الموضوع فيه بعض التعقيد ولكن خلال أسبوعين يعتقد X أنه يستطيع فك الشفرة وإيصال المعلومات إلى مندوب من السفارة، المهم الآن أن يتم استبدال كل

عملاء المخابرات الذين تم فضحهم بواسطة الموساد ولا بد أن يتم ذلك في سرية تامة حتى لا يفتضح X.

بدا التوتر على وجه اللواء ناصر ثم قال: قم باختيار عناصر جديدة ممن تثق بهم وراسل سفارتنا في واشنطن بنفسك لتعلمهم بقدومه وتقديم كافة التسهيلات له.

- تمام يا فندم.
- أحمد احترس، فأنت تحت أعين الموساد وقد تكون مستهدفًا.
- لا تقلق يا فندم، سوف آخذ كافة الاحتياطات.

•

توجه حازم إلى برج القاهرة وصعد إلى الدور الأخير حيث يوجد المطعم الذي يدور ٣٦٠ درجة فتستطيع أن ترى القاهرة من كافة الاتجاهات بينما أنت جالس على مائدة الطعام.

رحب الوايتر بحازم، كان المطعم شبه خاليا فلم يكن وقت الغداء قد حان بعد، وجد حازم منضدة يجلس عليها أسرة خليجية بزيها المميز، نظر حازم سريعًا في أرجاء المطعم الذي يأخذ شكل الدائرة، ووجد الأسرة المصرية ذات الطفلين، أشار حازم الى الوايتر ناحية المائدة القريبة من هذه الأسرة متسائلا: هل يمكن أن آخذ هذه الطاولة؟

- براحتك يا فندم المكان لسه فاضي.

جلس حازم على المنضدة التي اختارها، كان الطفلين في حركة مستمرة ووالدهم يطاردهم لكي يجلسا على المائدة المخصصة لهم، دخل بعد حازم اثنين من السياح الأجانب رجل وفتاة وجلسا إلى المنضدة التي أمام حازم، أخذ الرجل بالتقاط صور للقاهرة بينما المطعم يدور بواسطة هاتفه الجوال، شعر حازم أن اختيارهم المنضدة التي أمامه مباشرة فيه شيء مريب قد يكونا من أرسلتهم الموساد لمراقبته، لم يكن يدري بعد كيف سيتمكن من الحصول على الرسائل المشفرة.

كان الولد الصغير في المائدة المجاورة لحازم معه لعبة على شكل طائرة، أخذ يجري بها ويحركها في الهواء كأنها تطير، صاح به والده لكي يجلس فجرى بطائرته واختفى أسفل منضدة حازم خوفًا من والده، جرى الوالد ليلتقط ابنه من أسفل المنضدة وهو يعتذر لحازم، وبينما ينحني الأب ليلتقط يد ابنه دس في جيب حازم جهاز صغير، سحب الأب ابنه واعتذر لحازم مرة أخرى ثم جلس إلى مائدته.

طلب حازم الغداء وانتظر حتى رحلت الأسرة التي كانت بجانبه من المطعم ثم طلب فنجان قهوة والحساب من الوايتر.

الآن أصبحت كل الخيوط في يد حازم، أصبح هو البطل في هذه المهمة لا ينازعه البطولة أحد، تحول من مجرد وسيلة يريد أحمد أو أفراد الموساد استغلالها لتحقيق

أهدافهم إلى من يحرك هذه الأجهزة الاستخباراتية ليحصل على ما يريد، الآن أدرك حازم أن قدره أن يصبح... جاسوسًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العاصفة

واشنطن- الأحد ١٤ أبريل ٢٠١٩

وصل حازم إلى منزله في واشنطن بعد رحلة طويلة قادمًا من مصر، كانت كلا من سلمى وفرح تلعبان في حديقة المنزل الأمامية تنتظران ميعاد قدومه، نزل حازم من التاكسي وجرت سلمى وفرح إليه وارتميا في حضنه، ضمهما حازم إليه وقال بالعربية وحشتوني جدا، ردتا عليه في نفس الوقت بالإنجليزية وأنت كمان.

أخذ حازم يفكر، لا تسمح الحياة السريعة والمادية في هذا المجتمع الغربي بنمو المشاعر والروابط القوية بين أفرادها، بل ترسخ أهمية الفرد وحقوقه على صالح الأسرة والمجتمع(2)، حتى هو نفسه قد تأثر بهذه الثقافة عندما قرر القيام بهذه المهمة، كان القرار نابع من تفكيره في نفسه، لا يستطيع أن يلوم سلمى وفرح أن فكرا بنفس الطريقة، لقد كان حازم صاحب القرار بأن يُنشيء أسرته في هذا المجتمع، لقد كان يعتقد في ذلك الوقت أنه يوفر لهم البيئة المثالية لتحقيق أحلامهم وطموحات لا حدود لها، ولكن مع الوقت أدرك حازم أنه لا يوجد مجتمع مثالي فلكل مكان مميزاته وعيوبه، في شبابه كان يرى فقط عيوب الشرق ومميزات الغرب، الآن أصبحت الرؤية أكثر وضوحا له، حياته في كلا الثقافتين أعطته القدرة على استيعاب المميزات وتلافي العيوب والتأقلم حيثما كان، في يوم من الأيام ستقدر كل من سلمى وفرح أنهما مزيج من الحضارة الغربية والشرقية، قد تقابلهم الكثير من المشاكل ولكن المحصلة غنية ومثمرة.

(2) وهو ما يعرف في علم الاجتماع بـ «Individualistic society» المجتمع الفردي

دخل حازم إلى المنزل وجد نادية جالسة على الأريكة، قامت عند رؤيته وقالت: حمد الله على السلامة يا حازم.

كان استقبالا فيه شيء من التوتر، لم يكن حازم يتوقع استقبالًا حارًا فهو يعلم أنها مستاءة منه، ولكن استقبالها هذا أكد لحازم أنه لا بد وأن يمضي في قراره، في بعض الأحيان بعض الكلمات القليلة والمشاعر الفياضة قد تصلح ما أفسده الزمن ولكن الكبرياء وضمور المشاعر يحولان دون ذلك.

- هل ترغب في أن أجهز لك الطعام؟
- لقد أكلت وأنا في المطار، شكرا، أنا محتاج لأن آخذ شاور وأعمل قليلا.

في طريقه إلى المنزل اشترى حازم جهاز كمبيوتر حديث ذو خصائص متطورة ليستخدمه في بناء البرنامج المركزي، أراد حازم أن ينتهي من هذا البرنامج في أسرع وقت ممكن حتى لا يشعر الإسرائيليين بتأخر المخابرات المصرية في استخدام جهاز التشفير.

بعد الاستحمام جلس حازم في غرفة مكتبه وبدأ العمل في مهمته الحرجة، وبينما هو يعمل دخلت عليه نادية وعلي وجهها نظرة حانقة:

- ما الذي يحدث يا حازم؟ لقد جئت من السفر وكأنك لم تكن مسافرًا لمدة أسبوعين.

نظر إليها حازم وقد ظهر على وجهه الغضب هو الآخر، ماذا كانت تنتظر منه بعد هذا الاستقبال الفاتر والتي أصرت به أن تجعله يشعر أنه مقصر: قلت لكي عندي عمل لا بد وأن أسلمه هذا الأسبوع وأحتاج الكثير من الوقت لأتمكن من إتمامه.

- ألا يوجد لديك القليل من الوقت لتمضيته مع أسرتك بعد أسبوعين من الغياب؟

بدأ صوت حازم في الارتفاع: بصراحة لم أجد الترحيب الكافي لتشجيعي على الجلوس، كما قلتي بعد أسبوعين من الغياب كل ما أسمعه حمد الله على السلامة.

بدأ صوت نادية في العلو هو الآخر: وماذا تتوقع مني وأنت طوال الأسبوعين لم تكلمنا إلا مرات محدودة وكل مرة لا تتعدى العشر دقائق.

- أنت تعرفين أين كنت، وكيف كان ذلك يمثل ضغطًا على أعصابي بجانب الساعات الطويلة من العمل، لكم أتمنى أن تتفهمي هذه الضغوط بدلا من أن تضيفي إليها المزيد.

- لقد أصبحت أنا إذن مصدرًا للتوتر؟

- نادية أنا ليس لدي مزاج للشِجَار، وخاصة أن لدي الكثير من العمل، يبدو أنكِ حانقة عليّ وأنا لا أستطيع أن أرضيكِ في الوقت الحالي.

قام حازم ووضع جهاز اللاب توب في الحقيبة وترك نادية مذهولة من رد فعله، توجه إلى غرفة ملابسه وارتدى ملابسًا نظيفة، ثم أخذ حقيبة السفر التي جاء بها من مصر والتي لم يكن مسها حتى هذه اللحظة وتوجه إلى باب المنزل، أوقفته نادية قائلة: حازم إلى أين أنت ذاهب؟

- نادية أنا مضغوط ومحتاج أشتغل، وأنت في حالة مضطربة ومستاءة مني، لا أعتقد أننا في وضع يُمَكننا من التفاهم الآن، سوف أذهب إلى فندق لأمضي الليلة لعلكِ تهدئين قليلا وأتمكن أنا أيضًا من العمل.

فتح حازم باب البيت وجد سلمى وفرح ما زالا يلعبان خارج المنزل، ذهب حازم إليهم وضم كل واحدة منهم إليه ثم قال: بابا لديه شغل كتير وماما زعلانة شوية، سوف أذهب إلى مكان هادئ لإتمام عملي وأيضًا أعطي الفرصة لماما لكي تهدأ.

أشار كل من سلمى وفرح إلى أبيهما بالإيجاب، قبلهما حازم ثم وضع حقائبه في شنطة السيارة ثم تحرك بها، كان حازم يعلم أنه لن يعود مرة أخرى، لم يعد لديه القدرة على تحمل المزيد من الضغوط من نادية، لقد ظل ميديوكر ما يقرب من العشرين عامًا لكي يبني هذه الأسرة ويكفل لهم حياة سعيدة.

نعم، لقد كان يقضي الكثير من الوقت في العمل والدراسة ولكنهم لم يكونوا ليصلوا إلى هذه المكانة والمستوى الاجتماعي إن لم يضع حازم هذا المجهود والوقت في عمله، لقد اعتقد حازم اعتقادا خاطئًا أنه عندما يكفل لأسرته حياة مرفهة سيتسبب ذلك في سعادتهم، ولكن هذا لم يحدث، دائما ما يشعر مع نادية أنه مقصر، أنه مجرد زوج يوفر لها حياة كريمة ليس أكثر من ذلك فهي لديها الكثير من الأولويات غيره، قد يكون مقصرًا فعلًا ولكنها معادلة صعبة الحل في كل مرة يحاول فك طلاسمها يفشل.

لكنه قد تأقلم على ذلك طوال الأعوام الماضية، ما الجديد؟

لا بُد وأنها المهمة التي يقوم بها، لقد أعادت له الإحساس بالإثارة، جعلته ثائرًا على الحياة الرتيبة والقنوع بالواقع، في بضعة شهور قليلة تعامل حازم مع أشخاص غيروا تمامًا مجرى حياته، أحمد بشخصيته الجريئة ورباطة جأشه وقدرته على التعامل مع المواقف الصعبة، ريم وشخصيتها القوية وتمردها على العادات والتقاليد، سُهى الشقية المرحة والتي بحكاياتْها المشوقة وضحكتها الصاخبة تجعله لا يريد البعد عنها، نعم إنها هذه المهمة التي جعلته ثائرًا على واقعه الرتيب وغير قادرٍ على أن يصبح شخصًا هامشيًا بعد أن أصبح محورَ الاهتمام.

وصل حازم لأحد الفنادق القريبة من منزله، لم يكن يريد أن يبعد عن المنزل كثيرًا ليكون قريبًا من نادية والبنات، أنهى حازم إجراءات السكن بسرعة وصعد إلى غرفته، فتح الـ لاب توب ولكنه لم يبدأ في العمل على بناء البرنامج المركزي مباشرة، فتح حازم محرك البحث جوجل وبدأ البحث عن «محامي طلاق»، ظهر العديد منهم في المنطقة المحيطة به أخذ رقم وعنوان أحدهم وقد قرر الذهاب إليه غدًا في الصباح، عاد حازم إلى العمل على البرنامج مرة أخرى ولم يشعر بالوقت، بعد فترة نظر حازم إلى الساعة وجدها الرابعة صباحًا، لا بد له وأن يتوقف الآن فعنده عمل في الغد وقد تملكه الإرهاق بعد يوم طويل من السفر.

أفاق حازم على صوت المنبه في السابعة صباحًا بعد أقل من ثلاث ساعات نوم، شعر حازم بألم رهيب في رأسه وأن عظام جسمه مفككة تمامًا، لم يكن في وضع يمكنه من الذهاب إلى العمل، لن يذهب إلى العمل اليوم، سوف يجلس في الفندق ليكمل ما بدأه البارحة في بناء البرنامج المركزي، وسوف يبعث لفريق العمل الذي يرأسه رسالة إلكترونية بأنه ليس بصحة جيدة وقد أصابه الإعياء أثناء السفر وأنه قد قرر أن لا يأتي حتى لا يصيب أحد من العاملين في المكتب بأي عدوى.

أرسل حازم الرسالة ثم عاد للعمل على البرنامج مرة أخرى، بعد فترة نظر حازم إلى الساعة وجدها الحادية عشر صباحًا، تذكر أن عليه الذهاب إلى المحامي ليبدأ الترتيب لإجراءات الطلاق، ألم يكن من المفروض أن يخبر نادية أولًا ، ولكن ماذا يقول لها؟

هل يقول لها «لقد أصبحت لي حياتي الخاصة ولم أعد أحتمل حياتي السابقة الرتيبة؟»

ماذا سيكون شعوره هو إن جاءت إليه نادية في يوم من الأيام تطلب منه الطلاق لأنها تشعر بالملل من الحياة معه؟ لن تفعل نادية هذا، ولكن ليس هذا هو السبب الرئيسي وراء طلبه للطلاق، قد يكون الخوف من القادم هو السبب، ماذا لو عرفت نادية أنه جاسوس؟ ليس مستبعدًا إن حدث أي خطأ في الخطة أن يستهدفه الموساد وعندها إما أن يقتل أو يسجن، سيكون من الأفضل لنادية وسلمى وفرح ألا يكون حازم جزءًا من هذه الأسرة.

في مكتب المحاماة التقى حازم بالمحامية آشلي هاريسون وهي متخصصة في قضايا الطلاق والميراث.

- يسعدني مقابلتك يا سيد حازم، كيف يمكنني مساعدتك؟

- شكرا سيدة هاريسون لوقتك، إنني أحتاج استشارتك في شأن عائلي.

- تفضل.

- إنني أعرف أن ما يدور بيننا سيظل سريًا ولن يدري به أي أحد.

- صحيح، أنت كموكلي لا أستطيع أن أشارك أي أحد بما سوف تقوله لي إلا إن كان فيه خطر على حياة أحدهم.

- لقد استثمرت بعض الأموال في أعمال كنت أظن أنها شرعية، ولكن للأسف مع مرور الوقت اكتشفت أنها ليست كذلك، أنا أحاول أن أجد مخرجًا ولكنني أريد أن أؤمن مستقبل أسرتي وأن لا يكون لهم أي دخل بهذه الأعمال.

- ماذا يدور في عقلك؟

- أريد منك أن تجهزي أوراق طلاقي من زوجتي.

- لا يتم الطلاق كذلك فلا بد لزوجتك من الموافقة على بنود الطلاق، وأن تتم تسوية مالية بينكما.

- أرجوكِ استمعي إليّ حتى النهاية، سوف أترك لها ولطفلتي كل ما أملك من مال شرعي ذو أصول نظيفة من عملي كباحث والبيت والسيارات لا أريد أي شيء لي، أما الأموال الأخرى فغالبا ما سوف تصادرها الـ إف بي آي.

- و لكن لماذا الطلاق؟ فقد تحتاج إلى المساندة وقت الشدة.

- لا أريد لأطفالي وزوجتي أن يشعروا بالألم مما فعلته وأن يحملوا هم أوزار أفعالى المشينة.

- أستطيع أن أساعدك بكتابة الوصية الخاصة بممتلكاتك وأموالك النظيفة وأن أنقل ملكيتهم لأسرتك، ولكن متى ترغب في البدء في إجراءات الطلاق؟

- كما قلت لك فإني أحاول أن أجد مخرجًا من هذا المأزق، في حالة إن أغلقت كل الأبواب سأتصل بك لكي تبدأي في الإجراءات، ولكن لا بد وأن تتم الإجراءات سريعًا حتى لا تتم مصادرة أي من الأموال الأخرى.

- كما قلت لك نستطيع بدء إجراءات نقل الملكية الآن، هل عليك أي ديون سوف تتحمل زوجتك سدادها ؟ وهل هذا العمل الغير شرعي سوف يسبب غرامات أو خسائر من شأنها أن تتحمل زوجتك سدادها؟

- لا أعتقد ذلك، ولهذا أرغب في إتمام إجراءات الطلاق على وجه السرعة عند إبلاغك.

- سأقوم بتحضير كافة الأوراق وسوف أنتظرك يوم الخميس لتوقيعها، وبهذا تكون ملكية البيت والأموال قد تحولت إلى زوجتك وقضية الطلاق ستكون متوقفة على أن توقع زوجتك على الأوراق هي الأخرى.

- هذا خطاب باللغة العربية أريدك أن تعطيه لزوجتي عندما تعطيها أوراق الطلاق لكي تمضيها.

- هل يوجد أي شيء سري ينبغي أن أعرفه في هذا الخطاب؟

- لا، أقول فيه لزوجتي أني آسف وأن عليها أن تثق بي وتمضي الأوراق.

انتهت المقابلة بين حازم والمحامية، في طريقه إلى الفندق أحس حازم بالراحة من مقابلته مع أشلي، الآن لا بد أن يتفرغ لفك الشفرة ومعرفة من هو المسؤول عن تسريب المعلومات، شعر حازم بالتعب وضع يده على رأسه كانت جبهته تكاد أن تفتك من الصداع، حرارته عالية وفي نفس الوقت يشعر بالبرد الشديد، دخل حازم إلى صيدلية في طريقه إلى الفندق وأخذ بعض أدوية البرد وخافض للحرارة من على أرفف الأدوية ثم اتجه سريعا إلى الفندق، في غرفته ابتلع حازم الكثير من الحبوب المسكنة لكي يتغلب على أعراض المرض ويتمكن من إنهاء البرنامج، جلس على المكتب المتواجد في الغرفة وبدأ العمل من حيث انتهي ليلة أمس ولكنه شعر بالدوار، لا بد وأن أدوية البرد بدأت تأتي بمفعولها وتجبره على أن يريح عقله وجسمه بإجبارهم على النوم ولكن ليس هذا وقت النوم، بدأت عينه في الانغلاق تدريجيًا فارتمى على السرير لكي يعطي جسده بعض من الراحة التي يتطلبها.

استمر حازم في العمل المتواصل لكي ينتهي من برنامج فك الشفرة في أسرع وقت ممكن، عندما كان الإعياء ينهكه يتناول بعض الأدوية المسكنة ولكنه كان في سباق مع الزمن لفك الشفرة، أخذ حازم إجازة مرضية من عمله لباقي الأسبوع، ظل حبيس غرفته حتى يوم الخميس، ذهب إلى مكتب المحامية للتوقيع على أوراق الطلاق ونقل كافة ممتلكاته إلى أسرته، يومها ظل حازم في العمل حتى الرابعة من صباح الجمعة، أخيرًا تمكن حازم من الانتهاء من بناء البرنامج المركزي، يشعر بالتعب والإرهاق الشديد ولكن لا يوجد وقت لكي يضيعه، لا بد وأن يفك الشفرة اليوم ويتصل بالرقم الذي أعطاه له أحمد ليقابل مندوب السفارة ليعطيه الصور الإلكترونية وجهاز الشفرة.

نسخ حازم الرسائل المشفرة إلى جهاز اللاب توب ثم وصل جهاز التشفير بنفس الجهاز وأخذ يغير بعض الخصائص على جهاز التشفير ليوجهه للاتصال بجهاز الكمبيوتر الشخصي بدلا من الكمبيوتر الرئيسي على السحابة الإلكترونية، بعد أن

تأكد حازم من تعديل كافة الخصائص بدأ يتعامل مع برنامجه لكي يعطي الإشارة لجهاز التشفير لفك الشفرة، ثم بدأ في فتح الرسائل المشفرة، تمكن جهاز التشفير من فتح الرسائل، يستطيع الآن قراءة الرسائل بالإنجليزية الواضحة، ابتسم حازم لنجاحه في فك الشفرة وبدأ في قراءة الرسائل.

تتحدث الرسائل عن استقبال الخلية بمصر معلومات من «الثعلب»، لا بد وأنه الاسم الحركي لعميلهم الذي يمدهم بالمعلومات، يوجد تفاصيل عن معلومات تمكن الثعلب من الحصول عليها عند اجتماعه مع القيادات العليا في الجيش من أجل استيراد أسلحة متطورة ومن ضمن هذه المعلومات تواريخ الاجتماعات والحاضرين من القيادات العالية، أخذ حازم يفكر، عندما تصل هذه المعلومات الي أحمد سيتمكن بالتأكيد من معرفة شخصية الثعلب عن طريق مراجعة تواريخ الاجتماعات والحضور.

و في الرسائل يطلب أفراد الخلية أن يتم إرسال مبالغ من المال على حسابات بنكية للشركات الوهمية التي تغطي نشاط هذه الخلية لكي تتمكن من دفع الأموال إلى الثعلب وتجنيد عناصر جديدة، هذه معلومة أخرى جيدة قد تُمكن أحمد من القبض على هذه العناصر، فعن طريق معرفة أسماء البنوك والمبالغ المالية يستطيع أحمد التعرف على الحسابات البنكية وأسماء الشركات التي تتخذها هذه الخلية كغطاء، بدأ حازم في تصوير الرسائل بواسطة كاميرا تليفونه المحمول، بينما يصور توقف جهاز الكمبيوتر فجأة وانطفأت الشاشة تمامًا، أخذ أحمد يحاول أن يعيد جهاز الكمبيوتر إلى الحياة مرة أخرى ولكنه فشل.

ما الذي يحدث، هل نسي أن يغير أحد الخصائص على جهاز التشفير واكتشفت الموساد أنه نجح في فك الشفرة؟ لا تفسير آخر غير ذلك، أحضر حازم من الحقيبة مفكرته وقلم وأخذ يدون المعلومات التي قام بتصويرها على هاتفه المحمول بسرعة، ثم أحضر كيس بلاستيكي الذي يستخدم للاحتفاظ بالملابس المتسخة في الغرف ووضع فيه المفكرة، أخذ جهاز التشفير والـ يو اس بي الذي أعطاه له أحمد والذي يحتوي على الرسائل المشفرة وقام بـ اتلافهما وإلقائهم في المرحاض.

ارتدى حازم ملابسه سريعًا وتوجه إلى الدور الأرضي حيث يوجد مطعم الفندق وكان موعد وجبة الإفطار قد حان، أخذ حازم طبقًا ووضع به بعض أصناف الطعام، تَصنع أنه يأكل ولكنه التهم القليل من الطعام، ثم توجه بعد ذلك إلى دورة المياه الملحقة بالمطعم وكانت دورة المياه خالية، دخل حازم إلى غرفة المرحاض ثم وقف على المرحاض بعد غلق الباب، دفع جزء من السقف المقسم على شكل مربعات ليحركه من موضعه، أخرج من ملابسه الكيس البلاستيكي الذي يحتفظ فيه بمفكرته وخبأه في فتحة السقف ثم أعاد غطاء السقف مرة أخرى، خرج حازم من المطعم متجها الى غرفته ولكنه وجد العديد من رجال الأمن في مدخل الفندق بعضهم يرتدي زي البوليس الرسمي وآخرين يرتدون البدل ويبدو من هيئتهم أنهم من مكتب المباحث الفيدرالية، كان واحد ممن يرتدون بدلة رسمية يتحدث مع موظفة الاستقبال، لا بد وأنه يسألها عن حازم، بدأت ضربات قلب حازم تتزايد

بعنف، انتابه إحساس بالدوار، أخرج حازم هاتفه واختار نمرة أشلي هاريسون وبعث لها برسالة نصية « ابدئي إجراءات الطلاق حالًا: حازم الدمنهوري»

رأى حازم موظفة الاستقبال وهي تشير لضابط البوليس باتجاهه ، أخذت ضربات قلب حازم في التسارع، فتح حازم ملف الصور على هاتفه وأخذ يحذف الصور الخاصة برسائل التشفير،الدوار يشتد به، لا تستطيع قدماه حمله أكثر من ذلك، و لكنه لم ينتهِ من حذف جميع الصور بعد، وقع حازم على الأرض وقد انتابه الإغماء.

-

في القاهرة وفي نفس اليوم الجمعة مساء، كان أحمد متوجهًا لزيارة والدته في وسط البلد، أخذ أحمد الطريق الدائري من منزله في التجمع الخامس وبينما هو يقود سيارته ويستمع إلى مجموعة من الأغاني الأمريكية الحديثة لاحظ في مرآة السيارة دراجتين بخاريتين مسرعتين خلفه، لم يعرهم أحمد اهتمامًا في بدء الأمر ولكن الدراجتين أبطأتا سرعتهما وأصبحتا خلفه تماما، زاد أحمد من سرعة سيارته فقام سائقي الدراجتين بزيادة سرعتهما أيضا، تحسس أحمد مسدسه في جانبه ولكن فجأة تقدمت إحدى الدراجتين لتحاذي سيارة أحمد من جهة السائق، نظر أحمد إلى سائق الدراجة فوجده شاهرًا مسدسه وبدأ في إطلاق الرصاص، وفي نفس اللحظة سمع أحمد صوت اختراق رصاصة للزجاج الخلفي للسيارة، انحرف أحمد سريعا بالسيارة في الجهة المقابلة لسائق الدراجة ولكنه أحس بضغط هائل يخترق صدره، انقلبت سيارة أحمد على جانبها نتيجة للانحراف الشديد وفقد أحمد السيطرة على السيارة، اصطدمت السيارة بالحاجز الخرساني في منتصف الطريق، بدأت السنة اللهب تتصاعد من مقدمة السيارة وأخذت الناس في التهافت في محاولة لإخراج أحمد من السيارة قبل احتراقها.

-

الجمعة مساءً في إسرائيل هي ليلة يوم «السبت» والتي يستعد فيها اليهود ليوم الراحة (شابات)، كان هناك اتصال هاتفي يدور بين چوزيف وچاكوب:

- شالوم چاكوب، معذرة لاتصالى بك في ليلة الشابات.

- شالوم چوزيف، هل لديك جديد؟

- نعم، لقد تلقى الجهاز المركزي لشركة ASR إنذرا بمحاولة اختراق ومحاولة إعطاء إشارات زائفة لاستخدام أحد أجهزة التشفير من فرنسا، وفي نفس الوقت قامت أجهزتنا في الموساد بالتقاط إشارات من جهاز التتبع اللاسلكي الذي أضفناه إلى جهاز التشفير قبل إعطائه لحازم.

- لقد حاول حازم فك الشفرة إذن عن طريق بناء برنامج يحاكي البرنامج المركزي كما كنت تشك.

- نعم، وبالتعاون بين الـ إف بي آي وشركة ASR والتي أمدننها بموقع حازم تمكنت الـ إف بي آي من القبض على حازم.

- هل هو في حوزتهم الآن؟

- هو في المستشفى الآن تحت حراسة مشددة، لقد أصابه إعياء شديد وفقدان للوعي عند القبض عليه.

- هل وصلت هذه المعلومات إلى المخابرات المصرية؟

- لا أعتقد، الفترة الزمنية منذ أن تلقينا الإرسال من جهاز التشفير إلى أن تم القبض على حازم لم تتعدَ النصف ساعة، ولقد تأكدنا أنه لم يبعث بأي من الرسائل المشفرة لجهات أخرى، لقد وجد الـ ف اب أي بعض الصور لمحتويات الرسائل المشفرة على هاتفه المحمول، لا بد وأنه كان ينوي إرسالها إلى المخابرات المصرية.

- هل تعلم إن كانت المخابرات المصرية تعلم بسقوط حازم؟

- لا أدري بعد ولكن قامت إحدى الخلايا في القاهرة بالتخلص من أحمد همزة الوصل الرئيسية بحازم.

- ماذا تنوي أن تفعل؟

- لقد حجزت تذكرة للذهاب إلى واشنطن يوم الأحد، لا بد وأن أقابل حازم وإحضاره إلى إسرائيل.

- هل تضمن تعاون الـ إف بي آي؟

- نعم فيوجد الكثير من القضايا المشتركة والمعلومات الاستخباراتية التي يتم تبادلها معهم وسوف أحاول أن أقايض حازم بشخص آخر على قائمة المطلوبين لدى الـ إف بي آي

- و ماذا تنوي أن تفعل بحازم عند المجئ به إلى إسرائيل؟

- حازم لديه الكثير من المعلومات التي نرغب في الحصول عليها، سنستخدم معه أولا أسلوب الترغيب عن طريق مساعدته في إسقاط التهم التي سيوجهها له الـ إف بي آي ومعاملته معاملة جيدة هنا في إسرائيل، أتعشم أن يكون حازم عقلاني ويمدنا بالمعلومات التي نرغب بها.

- ماذا وإن رفض التعاون؟

- عندها سوف نستخدم أساليب أخرى، فجهاز الموساد لديه تاريخ حافل في استخلاص المعلومات ممن يقع تحت يده.

- حظا موفقا.

- شالوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العودة إلى إسرائيل

٢١ أبريل ٢٠١٩

استيقظ حازم من إغمائه، نظر حوله ببطء يستطلع ما حوله، هو على ما يبدو في غرفة في مستشفى، يوجد أنبوبا معلقا بجانبه ينتهي طرفه في ذراعه اليمنى ويسري فيه محلولا شفافا، ينتابه الإحساس بدوار شديد وبُطئ في التفكير لا بد وأنه تحت جرعة مركزة من المسكنات، آخر ما يتذكره هو إغمائه في الفندق عند محاولة إيقافه من قبل الـ إف بي آي، لا يدري بعد ما هي تهمته ولكنه يستطيع أن يستنتج بعض التهم مثل التخابر مع جهات اجنبية وتسريب تكنولوجيا متطورة إلى دولة أخرى.

لكن ما هي الأدلة التي يملكها الـ إف بي آي ضده؟

وجد حازم جرس استدعاء المساعدة بجانبه فضغط على الزر، في أقل من دقيقة وجد باب الغرفة يُفتح وتدخل منه ممرضة ممتلئة الحجم وفي يدها ملف أبيض لا بد وأنه الملف الخاص بحالة حازم.

- مساء الخير سيد حازم، كيف حالك الآن؟

- لا أدري، فإني اشعر بدوار وأحس أني ثقيل الحركة.

- هذا طبيعي، لقد قام الدكتور المعالج بإعطائك جرعات مكثفة من المسكنات والمهدئات، لقد جئت إلينا يوم الجمعة صباحًا وكانت درجة حرارتك ١٠٤ درجة فهرنهايت وتهذي بكلام غير مفهوم.

نظر حازم إلى الساعة المعلقة على الحائط فوجدها السابعة مساء فقال للممرضة: هل نمت من الصباح حتى الآن؟

ابتسمت الممرضة وقالت: اليوم الأحد وليس الجمعة، لقد ظللت في حالة متقلبة ما بين الإغماء والهذيان لمدة يومين كاملين حتى بدأت حالتك في الاستقرار النسبي اليوم.

- أين هاتفي المحمول؟ أريد أن أتفقد حال أسرتي.

- سيد حازم أريد أن أذكرك أنه تم إيقافك بواسطة البوليس يوم الجمعة، إنك حاليًا تحت الحراسة المشددة وعليّ أن أتحدث مع المحقق الذي يتولى قضيتك لكي أخبره بأنك تستطيع الكلام ويمكنه أن يأتي ويتحدث معك، لقد جاء عدة مرات ليستطلع حالتك أمس ولكن عندما طال إغمائك طلب منا أن نخبره عند إفاقتك خاصة أن اليوم هو عيد الفصح، عيد فصح سعيد!

- شكرا، هل تعلمين متى يمكنني الخروج من المستشفى؟

- التحاليل تُظهر أن جسدك بدأ يسترد نشاطاته الحيوية ولكنك تحتاج إلى الراحة لمدة يومين على الأقل حتى لا تحدث أي انتكاسة. سوف أحضر لك طعام العشاء

خلال ربع ساعة فلا بد وأنك جوعان، وسأخبرك أيضًا بما سوف يقوله لي المحقق بعد الاتصال به، هل ترغب في أي شيء آخر؟

- شكرا.

بينما كانت الممرضة تهم بالخروج من غرفة حازم لمح حازم شرطي بالزي الرسمي جالسًا على مقعد بجوار باب غرفته، أخذ حازم يفكر بمن يجب أن يتصل؟ هل يتصل بنادية؟ ولكن لا بد وأن المحامية قد أرسلت لها أوراق الطلاق وأنها في أشد حالات السخط عليه، هل يتصل بالسفارة المصرية؟ ولكن ذلك سوف يثبت التهم عليه أكثر، إنه يريد محامي لكي يحضر معه جلسات التحقيق ولا يتورط في تهم قد يكون هناك مخرجا منها، لا بد وأن يتصل بأشلي لعلها ترشح محاميًا متخصصًا في التحقيقات الفيدرالية ليحضر معه استجوابات الـ إف بي آي، ولكن اليوم عيد الفصح ولا بد أنها مشغولة بعائلتها، يا ترى كيف حال نادية وسلمى وفرح؟ هل يمكن أن يغفروا له في يوم من الأيام؟

دخلت الممرضة إلى غرفة حازم وهي تحمل الطعام: لقد تحدثت مع المحقق وقد أخبرني أنه سيأتي لرؤيتك غدًا في الصباح حتى وإن كان يوم الغد هو عيد الفصح، لقد سمح لك بإجراء مكالمة هاتفية عن طريق استخدام هاتف المستشفى ولكن لا بد أن تعطيني الرقم الذي سوف تطلبه ولمن يخص لكي أسجل هذه البيانات لدي.

مدت المرأة يدها إلى حازم الذي بدا مترددًا في أخذ الهاتف منها ثم قال: سأحتفظ بمكالمتي لوقت آخر، شكرا لكِ.

- لقد ظننت أنك قلت أنك تود التحدث إلى زوجتك.
- إنها مطلقتي، لا أريد أن أزعجهم في ليلة عيد الفصح.
- كما تحب، هل ترغب في أي شيء آخر؟
- شكرا.

بعد أن خرجت من الغرفة بدأ حازم يفكر، عليه أن يرتب أفكاره جيدًا لكي يتمكن من التعامل مع موقفه الحالي، لا بد وأن الموساد قد أضافت جهاز تعقب لاسلكي لجهاز التشفير الذي أعطاه له جولان، وعندما بدأ في استخدام الجهاز وإيصاله بالحاسب الآلي بدأ جهاز التعقب في إرسال إشارة للموساد بمكان تواجده ومحاولته لقراءة الرسائل التي أعطاها له أحمد، عندما تأكد الموساد من محاولة حازم لفك الشفرة والتلاعب بالبرنامج الرئيسي الذي تملكه شركة ASR قررت الموساد الاستعانة بالـ إف بي آي لتوقيفه ومنعه من إرسال أي معلومات للمخابرات المصرية.

كيف لم يتوقع أن يحدث شيء مثل هذا؟

لقد كان تفكيره منصبًا على تضليل جهاز التشفير عن طريق استخدام عناوين وهمية على شبكة الإنترنت ولكنه لم يتوقع وجود جهاز تعقب، لقد انتابه إعياء شديد منذ أن وصل من مصر، ومشادته مع نادية ومحاولة الإسراع لفك الشفرة قبل أن ترتاب الموساد كل ذلك لم يعطيه الوقت الكافي لكي يراجع كل هذه الاحتمالات.

لقد أقحم نفسه في لعبة أكبر من حجمه، في وقت ما اعتقد انه يستطيع أن يسيطر على مجرى الأمور وأنه سوف يستطيع أن يخرج منها سالمًا، لقد أراد بعض الإثارة في حياته ولقد حصل عليها والآن عليه أن يتعامل مع الفخ الذي وقع به.

هل كان من الأفضل أن يظل في منصبه قانعًا بحياته الرتيبة والتي تأكل منه كل يوم جزءًا؟ هل كان سيتحمل الاكتئاب الذي أصبح يسيطر عليه؟ لقد كان يموت موتًا بطيئًا ولا أحد يشعر به، كان لا بد وأن يجد لنفسه مخرجًا من حياة الميديوكر التي كان يعيشها.

لا بُد وأن يتماسك، القصة لم تنتهِ بعد، ما زال هو البطل، لقد انضمت الآن الـ إف بي آي إلى الموساد والمخابرات المصرية لمحاولة الحصول على معلومات منه، لا بد وأن يظل في وضع القوة، لقد أخطأ في أحد مراحل المهمة، ولكن هذا لا يعني أن يستسلم وينهار... إنه يشعر بالتعب من التفكير لا بُد وأنها المهدئات اللعينة تجعل عقله عاجز عن التفكير، فليعط لعقله بعض الراحة الآن ليتمكن من الاستعداد لمقابلة محقق الـ إف بي آي غدًا.

•

في القاهرة كان العقيد حسام يقف خارج غرفة العناية المركزة والتي يرقد فيها أحمد في مجمع المعادي الطبي للقوات المسلحة، إذا بالعميد محمد أبوالنجا مبعوث اللواء ناصر المدير العام للمخابرات المصرية يفاجأ حسام بوجوده.

- كيف حال أحمد يا حسام؟

- تمام يا فندم، ما زالت حالته حرجة، لقد أصابته رصاصة في الصدر وأخرى في الرقبة ولكن من حسن الحظ أن الرصاصة التي أصابت الصدر لم تمس القلب ولكن أحدثت تهتكات في الرئة.

- و كيف حال والدته؟

- لقد كانت متواجدة طوال اليوم هنا في المستشفى ولكني أصررت أن يأخذها أحد مندوبي الخدمة إلى البيت كي تستريح، فهي في حالة انهيار حزنًا على أحمد.

أطرق العميد محمد وجهه إلى الأرض قليلا تأثرًا بحالة والدة أحمد، ثم نظر إلى حسام وقال: هل هناك أي أخبار من X؟

- لقد أبلغتنا عناصر المراقبة أنه بعد عودته من مصر لم يظل في منزله إلا بضعة ساعات قليلة ثم ترك المنزل متوجهًا إلى فندق قريب، ظل متواجدًا في الفندق طوال الأسبوع ولم يغادره إلا لزيارة مكتب محاماة.

- أتدري لماذا ذهب الى مكتب المحاماة؟

- إن تصرفات X لا يمكن التنبؤ بها، فهو لا يتبع التعليمات ودائمًا ما يرتجل خطوته القادمة، المشكلة الكبيرة أن عناصر المراقبة شاهدوا عناصر الـ إف بي آي

وهي تقتحم الفندق الذي كان X يسكنه ورأوه وهو يغادر الفندق محمولاً على سرير طبي إلى سيارة الإسعاف.

- أين هو الآن؟

- في مستشفى چورچ واشنطن الجامعية في غرفة تحت حراسة مشددة.

- و كيف يمكننا الاتصال به؟

- نحن نضعه تحت المراقبة، لقد أعطاه أحمد رقم هاتف للاتصال بعميلنا في واشنطن لتسليم المعلومات وجهاز التشفير إليه في حالة نجاحه في فك الشفرة ولكن لم يتم أي اتصال من جهته.

- و ما هو تقييمك لما سوف يحدث؟

- كل الخيوط في يد X الآن، لقد فكرت في إرسال محام من السفارة ليعرف ما هي التهم الموجهة إليه كمواطن مصري، ولكن X يمتلك أيضا الجنسية الأمريكية وإرسال مبعوث رسمي من السفارة قد يزيد الأمور تعقيدا.

- لنكن على اتصال ولتخبرني أولًا بأول عن أي تطورات جديدة بخصوص أحمد وX.

- تمام يا فندم!

الاثنين ٢٢ أبريل ٢٠١٩

سمع حازم طرقا على باب غرفته، و كان قد بدأ يشعر بتحسن كبير مقارنة بالبارحة.

- تفضل.

دخل الغرفة رجل يرتدي بدلة بنية اللون، يعلق على صدره شارة لم يتمكن حازم من التحقق من الكلمات المكتوبة عليها جيدًا ولكن يبدو أنه محقق الـ إف بي آي.

- مرحبا سيد حازم، اسمي دوجلاس ويلوك من مكتب التحقيقات الفيدرالية والمسئول عن التحقيق في قضيتك.

أخرج دوجلاس محفظته وقرب من وجه حازم بطاقة تعريفه من مكتب التحقيقات الفيدر إلى الـ إف بي آي.

- و ما هي تهمتي يا سيد دوجلاس؟ إني أرغب في تواجد محام قبل الإدلاء بأي أقوال.

ابتسم دوجلاس ثم قال: يمكنك أن تناديني «دوج»، لم آتِ اليوم لاستجوابك سيد حازم ولكني جئت لأطمئن على حالتك الصحية ومتى يمكنك الخروج وأيضا إخبارك لماذا تم إيقافك من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالية.

- تفضل كلي آذان مُصغية، دوج.

- أما عن حالتك الصحية فلقد تم إخباري من قبل الفريق الطبي المشرف عليك أنك في تحسن مستمر وأنه يمكنك الخروج غدًا، ولكني أردت التأكد منك أنك تشعر بتحسن وموافق على رأي الفريق المعالج؟

- نعم، أنا أشعر بتحسن.

- جيد جدا، في الغد سأصطحبك إلى مكتب الـ إف بي أي لبدء التحقيقات وخلال فترة التحقيقات سيتم السماح لك باصطحاب محام خاص، وسيتم احتجازك في مكان ملحق بمكتب التحقيقات حتى يتم عرض قضيتك على قاضي.

- هل يمكنني أن أعرف ما هي تهمتي؟

أخرج دوج من حقيبته اليدوية ملفًا أبيض اللون تناول منه بعض الصور وأعطاها لحازم.

أخذ حازم ينظر إلى الصور فقد كانت صوره مع مندوب السفارة المصرية أمام منزله في واشنطن وفي الفندق عندما التقى بأحمد وريم لأول مرة، ثم صور له في هرتسليا وهو في البار يتحدث مع جولان أراد، ظل حازم صامتا فهو يدري أن أي كلمة سوف يقولها سوف تُأخذ ضده.

- لقد تم اعتراض رسائل ذات طابع مخابراتي وسري يوم الجمعة الماضية من غرفتك في الفندق، وعن طريق مصادر موثوقة تمكنّا من تحديد نوعية المعلومات ومكان تواجدك.

أدرك حازم أن المصادر الموثوقة التي يقصدها دوج هي الموساد، استطرد دوج قائلا: بدأنا البحث على ما قد يربطك بأجهزة مخابرات أجنبية، وعندما راجعنا كاميرات المراقبة في الأماكن المختلفة التي تواجدت بها في الأشهر القليلة الماضية، وجدنا هذه الصور والتي توضح بشكل لا يقبل الجدل اتصالك بعملاء المخابرات المصرية.

أخرج دوج المزيد من الصور والتي كانت هذه المرة لريم وأحمد ومحمد مندوب السفارة، أخذ حازم يقلب في الصور للحظات وهو حريص على ألا يدلي بأي كلام قد يورطه لاحقا.

- التهمة الموجه إليك يا سيد حازم هي التعامل مع جهاز مخابرات أجنبي وتسريب معلومات خاصة بإحدى الشركات الأمريكية بدون موافقة الشركة أو الجهات الأمنية وهو ما يخالف القانون الأمريكي.

صمت حازم قليلا لم تكن التهمة التي وجهها له دوج تمثل أي مفاجاة، من حسن الحظ أن لديه حتى الغد لكي يفكر كيف سيرد على هذه التهم، مد حازم يده بالصور لكي يعطيها لدوج ثم قال: شكرا دوج على إخبارك لي بالتهم الموجهة إليّ، لا يوجد لدي أي رد الآن.

لم يكن يتوقع دوج من حازم أي ردة فعل، فعادة من يعمل في الجاسوسية يكون في غاية الحرص في ردود أفعاله، لا بد وأن حازم ينتظر بعض العون من المخابرات

المصرية التي ورطته في هذه المهمة، ابتسم دوج لحازم ثم قال: وهو كذلك، كما أخبرتك مسبقا سآتي غدا في الصباح لاصطحابك إلى مكتب التحقيقات الفيدرالية، وحتى ذلك الوقت سوف تكون تحت الحراسة المشددة، أتمنى لك عيد فصح سعيد سيد حازم.

- و أنت كذلك.

•

الثلاثاء ٢٣ أبريل ٢٠١٩

كانت الساعة التاسعة صباحًا عندما اجتمع جوزيف مع دوج ومديره في العمل تود ستيل المسئول عن عمليات الاختراق والتجسس الأجنبي في مكتب التحقيقات الفيدرالي، بدأ جوزيف الحديث: لقد أتيت من إسرائيل خصيصا لأحضر التحقيق مع حازم، هل استطعتم الحصول على جهاز التشفير أو أي معلومات تمكن حازم من الحصول عليها بواسطة هذا الجهاز

رد دوج على جوزيف: ما زال عملاؤنا يبحثون في غرفة حازم والفندق على جهاز التشفير، لقد اصطحبت حازم من المستشفى هذا الصباح إلى هنا، وهو ينتظر وصول محاميه لكي نبدأ التحقيق، لقد رفض الإدلاء بأي معلومات بدون محامي.

- هل تعلم من هو المحامي الذي وكله، هل وكلته السفارة المصرية؟

- لا، هو من مكتب محاماة زاره حازم الخميس الماضي لإتمام إجراءات طلاقه من زوجته.

تساءل جوزيف في استنكار: هل طلق زوجته؟ أتعلم لماذا فعل ذلك؟

- لا نعلم سيد جوزيف، هذا شأن عائلي ولا أعتقد أن له دخل بالقضية، قد يكون أنه على خلاف مع طليقته.

- أو أنه لا يريد أن يزج بعائلته في القضية، هل يمكن أن أحضر التحقيق مع حازم بصورة شخصية؟

هنا تحدث تود موجها كلامه إلى جوزيف: نحن نقدر مساعدة الموساد في القبض على حازم وتزويدنا بموقعه والأدلة الخاصة بتورطه في تسريب معلومات خاصة بشركة ASR ولكن لن يمكن أن تحضر التحقيق مع حازم بشكل شخصي، يمكنك أن تستمع إلى الحديث الذي يُدار بين حازم والمحققين من وراء الحاجز الزجاجي المعتم.

بدا على وجه جوزيف الإحباط وقال: ولكن لديّ أسئلة لا بد وأن أسألها لحازم.

- للأسف ليس لك أي صفة قانونية هنا لتوجه أسئلة لحازم بصورة مباشرة.

- و لكن هناك الكثير من الأوقات التي أتاح فيها الموساد الفرصة لعناصر الـ إف بي آي باستجواب عناصر متورطة في عمليات إرهابية ضد أمريكا في إسرائيل وغيرها من البلاد.

- نعلم ذلك جيدًا ولهذا سمحنا لك بالاستماع للتحقيق والاطلاع على أي أدلة تخص القضية.

رن الهاتف بجوار تود فرفع السماعة ثم نظر إلى دوج وقال: لقد حضر محامي حازم، نستطيع أن نبدأ التحقيق الآن.

دخل دوج إلى غرفة التحقيقات حيث يوجد حازم ومحاميه بينما ظل تود وچوزيف في الخارج خلف الزجاج المعتم يراقبان ما يجري في التحقيق.

صافح دوج محامي حازم الذي بدأ بتعريف نفسه: مايكل سميث المحامي الخاص بالسيد حازم

هل يمكن أن أعرف ما هي تهمة موكلي؟

أخذ دوج يسرد تفاصيل الاتهام والأدلة والتي تدين حازم بالتخابر لصالح جهة اجنبية وسرقة معلومات سرية تخص تكنولوجيا متطورة مملوكة لشركة أمريكية.

بينما كان دوج يسرد الاتهامات كان مايكل محامي حازم يكتب بعض الملحوظات حتى انتهى دوج، توقف مايكل عن الكتابة ثم نظر إلى دوج: أين هو هذا الجهاز الذي تتهمون حازم بسرقته واستخدامه؟

- ما زال يتم البحث عنه.

- هل لديكم أي أدلة على امتلاك حازم لمعلومات أمنية سرية؟

- لقد اعترضنا رسالة قادمة من جهاز الكمبيوتر الشخصي لحازم بجانب بعض الصور لرسائل نصية وجدت على هاتفه.

- لقد تم تفتيش هاتف موكلي في غيابه وهذا إجراء غير قانوني قد تكون هذه الصور قد دُست في هاتفه عند فقدانه للوعي. هل يوجد أي أدلة قانونية أخرى تثبت أن حازم هو من قام بإرسال هذه المعلومات أو امتلاكها؟

- ما زال البحث جاريًا بواسطة عملاء الـ إف بي آي.

- أما بخصوص هذه الصور، فهي لأشخاص عاملين بالسفارة المصرية أو جهات أمنية في مصر ومن الطبيعي لموكلي أن يتعامل مع العاملين في هذه الجهات بحكم أنه مزدوج الجنسية، صراحة أنا لا أرى أي أساس لهذه القضية؟

كان چوزيف يستمع إلى الحديث من الخارج وهو يجز على أسنانه من الغيظ، ضرب بقبضته على المنضدة التي أمامه ثم توجه ببصره إلى تود وقال: لا بد وأن أتحدث مع حازم، هو يعرفني جيدًا وسأتمكن من إقناعه بالكلام.

أجابه تود بإصرار: لقد قلت لك مسبقًا أنه لا يمكنك أن تفعل ذلك.

ابتسم چوزيف بخبث ثم قال: لدي عرض لك صعب أن ترفضه.

نظر إليه تود في استغراب: عرض؟

- أبو مصعب البغدادي، أحد أهم المطلوبين من قبل الـ إف بي آي والمخابرات الأمريكية.

- ماذا عنه؟ المعلومات التي لدينا أنه قد مات في إحدي الغارات على مقر داعش في محافظة إدلب في سورية.

- هذا ما تريد داعش أن تصدقوه، ولكنه حي وفي قبضتنا.

- ماذا تقول؟

- كما أقول لك أنه حي وفي قبضتنا منذ شهر تقريبًا.

- و كيف لم نعلم بذلك؟

- لقد كنا في انتظار اللحظة المناسبة، وها قد أتت هذه اللحظة.

- ما هو عرضك؟

- تبادل حازم بـ أبومصعب.

- ولكن هذا مستحيل، حازم مواطن أمريكي ولديه محام ولا بد أن تُعرض قضيته على قاضي.

- دعني أتكلم معه وسوف أقنعه بالمجيء معي لإسرائيل وفي المقابل سوف نعطيكم أبو مصعب تفعلون معه ما تشاؤون.

- وكيف ستقنع حازم بالموافقة على الذهاب إلى إسرائيل؟

- دعني أدخل وأتكلم معه.

- هذا قرار لا أستطيع أن آخذه بمفردي، أعطني بعض الوقت لأجري بعض المكالمات.

خرج دوج من غرفة التحقيقات ونظر إلى تود وچوزيف قائلا: إن لم نستطع إيجاد جهاز التشفير ستكون القضية ضد حازم ضعيفة للغاية.

خرج تود لإجراء بعض المكالمات مع مرؤوسيه، بينما ظل چوزيف صامتًا يراقب حازم ومحاميه.

بعد فترة دخل تود وتوجه بكلامه إلى چوزيف: أمامك ٥ دقائق لتقنع حازم بالذهاب معك إلى إسرائيل وتحصل منه على موافقة كتابية أنه يقوم بذلك بإرادته ودون أي ضغوط.

- موافق.

- و أيضًا يتم تسليم أبومصعب للسفارة الأمريكية في القدس خلال يومين.

- موافق سأقوم باتصالاتي فور انتهاء حديثي مع حازم لترتيب حصولكم على أبومصعب.

أشار له تود بإمكانية الدخول إلى غرفة التحقيقات وعلى وجهه علامات عدم الارتياح والقلق مما سوف يحدث.

دخل چوزيف إلى غرفة التحقيقات، صعق حازم لرؤيته لم يكن ليتصور أن يبعث الموساد بأحد عملائهم إلى مكتب التحقيقات الفيدرالية لاستجوابه.

بدأ چوزيف الحديث بمصرية طليقة: أهلا يا حازم، كيف حالك؟

رد مايكل محامي حازم بالإنجليزية: أرجو أن تتحدث بالإنجليزية وتعرفنا بنفسك.

تجاهل چوزيف حديث مايكل واستمر في التحدث بالعربية إلى حازم: البقاء لله في أحمد يا حازم، قد لقي حتفه يوم الجمعة الماضية في حادثة، هناك من أطلق عليه الرصاص وهو يقود سيارته.

رد حازم وهو في حالة فزع شديدة: ماذا تقول؟ كيف حدث هذا؟ من قتل أحمد؟

ابتسم چوزيف ثم قال لحازم: اسمع يا حازم، لدي لك عرض مغري هل تريد سماعه؟ أم ترغب في أن تستمر في هذه التحقيقات مع مكتب التحقيقات الفيدرالية، إنها مسألة وقت حتى يجدوا الأدلة التي سوف تدينك وعندها سوف تفقد كل شيء، وظيفتك، حريتك فسوف تسجن من ١٥ إلى ٢٠ عام في سجن فيدرالي، وأسرتك وإن كنت قد علمت أنك طلقت زوجتك ولكن هل تتخيل أن لا تري أطفالك طوال هذه الفترة إلا في غرفة الزيارة في السجن؟

قاطعه محام حازم الأمريكي وهو يجز على أسنانه: لقد قلت لك أن تتحدث بالإنجليزية، لا يحق لك أن تتكلم مع موكلي بدون أن أدري ماذا تقول.

أشار حازم إلى المحامي بالسكوت، ثم توجه بنظره إلى چوزيف وقال له: ما هو عرضك؟

نظر چوزيف إلى المحامي ساخرًا ثم توجه بكلامه إلى حازم: سأجعل الـ إف بي آي يسقطون أي تهم موجهة إليك وبالتالي سوف يظل سجلك الأمني نظيف، وسوف أتواصل مع شركتك ASR لعدم اتخاذ أي إجراء تعسفي ضدك، قد يسندوا إليك وظيفة شرفية لا يتم فيها التعامل مع المعلومات الدقيقة ولكن سوف تظل تعمل لديهم وأخيرا سنضمن ألا يحدث أي مكروه لأفراد أسرتك سواء هنا أو في مصر مثل ما حدث لأحمد.

نظر إليه حازم في غضب واحتقار وهو يحدث نفسه بان يبصق في وجهه ولكنه تماسك وقال: وما هو المقابل؟

- استضافتك في إسرائيل لمدة وجيزة، فهناك بعض المعلومات التي تمتلكها ونرغب في الحصول عليها، سنقوم باستضافتك في أحد فنادق تل أبيب، سأضعك

تحت الحراسة بالتأكيد ولكن سنحسن معاملتك حتى تعطينا كافة المعلومات التي نرغب بها.

- و لماذا لا تقوم باستجوابي هنا؟

ابتسم چوزيف ثم قال: لكي نجد حريتنا في التحدث معك بدون تدخل الأمريكان وسوف يكون هذا لصالحك.

- كيف؟

- كلما عرف الأمريكان المزيد من المعلومات عنك وعن المهمة التي أسندتها إليك المخابرات المصرية كلما ازداد الضرر بك لأنه سوف يصبح لديهم المزيد من الأدلة التي سوف تدينك.

- ماذا وإن رفضت؟

- عندها لن تكن حياتك أنت فقط في خطر ولكن المقربين منك أيضًا، ليس لديك الكثير من الوقت للتفكير، عليك اتخاذ القرار الآن.

أحس حازم بألم شديد في رأسه، أي قرار هذا الذي يمكن أن يتخذه فهو ليس لديه الكثير من الخيارات، إن رفض وأرادت الموساد التخلص منه سيكون بإمكانهم فعل ذلك حتى وإن كان في أحد السجون الأمريكية.

بينما يفكر حازم في كلام چوزيف تذكر ما قاله له أحمد خلال تدريبه وإعداده لرحلته الأولى لإسرائيل.

«خلال تواجدك في إسرائيل أن تعرضت الى موقف فيه خطر على حياتك فلتقم بالاتصال من تليفون عام بهذا الرقم، إنه هاتف خاص بعيادة طبية في تل أبيب، اطلب التحدث مع الدكتور كوهين، وعند التحدث مع الدكتور كوهين قم بإخباره عن مُعاناتك من مرض في المعدة وعدم قدرتك على الاحتفاظ بأي أكل في معدتك والإحساس بالدوار والضعف وأنك في حاجة لرؤية طبيب، عندها سيعلم الدكتور كوهين، والذي هو النقيب عبد الرحمن، بأنك في حاجة إلى المساعدة وسيقوم باللازم لاستخلاصك من أيدي الموساد ونقلك إلى مكان آمن يتم منه تهريبك إلى مصر»

طرأ على عقل حازم فكرة شيطانية، نظر حازم إلى چوزيف وعيناه تلمعان: أنا موافق على الذهاب معك إلى إسرائيل.

ابتسم چوزيف فرحًا ثم قال لحازم: لقد كنت أعلم أن لديك الذكاء الكافي لكي توافق على عرضي، سأجهز إجراءات سفرك لكي يتم نقلك إلى إسرائيل خلال أيام معدودة وإسقاط كافة التهم الخاصة بك، شالوم حازم.

•

١ مايو ٢٠١٩

منتصف الليل بفندق الماريوت في تل أبيب، لم تكن قد مرت دقائق محدودة منذ أن دخل حازم الغرفة، لم يأخذ نفس الفترة الزمنية الطويلة في الجوازات الإسرائيلية عندما أتى أول مرة إلى إسرائيل، فقد كان چوزيف يصحبه ومعهم بعض أفراد الأمن الإسرائيلي لحراسة حازم ومنع أي محاولة لاختطافه.

بعد أن اتفق حازم مع چوزيف للذهاب إلى إسرائيل تطلب الأمر بعض الأيام من الـ إف بي آي والموساد لترتيب إجراءات نقل حازم، كما طلب حازم أن يلتقي بابنتيه سلمى وفرح قبل السفر لإسرائيل.

أخذهما حازم لتناول الغداء في المطعم المفضل لديهم، كانت من أصعب الأوقات التي أمضاها حازم، كان يعلم أنه سوف يكون لديهم أسئلة كثيرة عن سبب انفصاله عن نادية، ولماذا قرر تركهم والسفر.

- لقد جاءني عرض للعمل في فرنسا ومن شروط هذا العمل أن أكون بمفردي.

قالت سلمى والتي غالبا ما تجادل والديها في المنزل: ولماذا قبلت هذا العرض؟ ألا ترغب في الحياة معنا؟

حاول حازم الابتسام ولكن قلبه كان يعتصر ألمًا: ليس الأمر كذلك يا سلمى ولكن لقد مررت أنا ووالدتك بكثير من الصعوبات مؤخرًا، وأصبح التفاهم بيننا يشكل تحديًا من الصعب التغلب عليه، كل منا لديه الكثير من التوقعات من الآخر ولم ننجح في أن نجد شيئًا يقربنا من بعض.

ردت سلمى: نحن شيء مشترك بينكم، لماذا لم تحاولوا من أجلنا؟

إنها فتاة ذكية ولن تجعل حازم ينهي هذا الحديث بسهولة: يوجد وقت يا سلمى يكون أفضل للأزواج أن يبتعدوا عن بعض قليلا، يعيد كل منهم حساباته ليرى إن كان فعلًا يمثل حملًا على الآخر أم أنهم يمرون بمرحلة عاصفة في حياتهم وقد يتخذون قرار الرجوع إلى بعض مرة أخرى.

- هل معني هذا أنك وماما يمكن أن تتراجعوا عن قرار الانفصال؟

فكر حازم قليلا، لم يكن لنادية أي يد في هذا القرار لقد كان قراره هو: بالطبع يا سلمى، ولكني الآن لا بد وأن أذهب الى مقر عملي الجديد في فرنسا وسأظل على اتصال معكم.

- هل يمكننا زيارتك في الإجازة الصيفية؟

ابتسم حازم وضمها هي وفرح اليه ثم قال: بالطبع إن وافقت ماما.

بعد العشاء أخذهما حازم إلى المنزل، وقف بسيارته أمام الحديقة الأمامية للمنزل ودع سلمى وفرح وانتظر حتى تفتح نادية الباب لهما، رآها من سيارته لم يستطع أن يتبين ملامحها جيدًا، لا يدري إن كانت اختلست النظر ورأته أم لا ولكنها أسرعت بإدخال سلمى وفرح وأغلقت الباب. نظر حازم إلى منزله والذي أصبح منزل نادية

وابنتيه الآن، لقد احتواهم هذا المنزل كأسرة لزمن طويل، يوجد فيه الكثير من الذكريات السعيدة والأليمة، كان هذا المنزل شاهدًا على تطور مراحل نمو سلمى وفرح منذ وقت ولادتهما وحتى أصبحت سلمى في سن المراهقة الآن، وشاهدًا أيضا على تطور علاقته بنادية منذ أن أتت معه إلى الولايات المتحدة وكانت ما تزال في العشرين من العمر، انتقلت معه إلى مجتمع وثقافة لم تكن تدري عنهم أي شيء، لقد كانت لديه الفرصة لترسيخ علاقته بنادية وأن يكون سندًا لها، ولكن اهتمامه المفرط بعمله ودراسته لم يساعد على خلق هذه الروابط القوية بينه ونادية، لم تحاول هي أيضًا، لقد فقدت الأمل مبكرًا وأصبح لها اهتمامات أخرى لم يعد هو على رأسها، الآن يتحمل كل منهما آثار تراكمات كل هذه السنين من المشاعر السلبية وعدم الإصرار والصبر على ترسيخ العلاقة بينهما لكي تتحمل تقلبات الزمن.

أخذ حازم يخرج ملابسه من حقيبة السفر ويرتبها في دولاب الملابس في غرفته، ماذا يريد منه الموساد؟ ماذا سيفعلون به بعد أن يأخذوا ما يريدون منه؟

لم يذهب حازم إلى الفندق في واشنطن حيث يحتفظ بمفكرته مخبأة في دورة مياه المطعم، لم يرد أن يثير الشبهات حوله، لا بد وأن يجد طريقة ليتصل بالمخابرات المصرية لكي يحصلوا على هذه المفكرة، إن نجحت الفكرة التي جاءته في واشنطن عندها سيتمكن من إيصال المعلومات إلى عملاء المخابرات وإيجاد مخرج من هذا الفخ وإن لم تنجح فليس عنده أي خطة بديلة، غالبا ما سينتهي به الحال في أحد السجون الإسرائيلية وخاصة أن أمريكا قد تخلت عنه.

لا بد وأن يتصل بالمخابرات المصرية!

٢ مايو ٢٠١٩

جاء جوزيف صباحًا لاصطحاب حازم إلى مبنى الموساد، لاحظ حازم عند خروجه من غرفته وجود اثنين من الحراس، أحدهم أمام باب غرفته والآخر في ردهة المصعد، رأى حازم أيضًا عاملات التنظيف وكانت إحداهن تبدو أفريقية والأخرى تبدو عليها الملامح العربية.

في مبنى الموساد جلس حازم في غرفة شبيهة بغرفة التحقيقات في مكتب التحقيقات الفيدرالية وكان أمامه جوزيف ومحقق آخر يتكلم العربية أيضًا ولكن بلكنة لبنانية:

- سيد حازم نحن مقدرين تعاونك مع الموساد وقبولك المجيء لإسرائيل لإمدادنا بالمعلومات، وكما وعدك السيد جوزيف إن تعاونت معنا وأمدتنا بالمعلومات التي نريدها سوف يقلل هذا من خسائرك.

هنا تكلم جوزيف بلهجته المصرية الطليقة: حازم لن نسمح بأي ألاعيب أخرى، أعتقد أنك تدرك الآن أنك استهنت بالموساد وأنك لن تلفت منا إن قررت أن تمارس أي من ألاعيبك.

نظر حازم إلى جوزيف بتحدي ثم قال: ما هو المطلوب مني؟

بدأ الرجل الآخر في الحديث: ما هي المعلومات التي نجحت في فك شفرتها؟ أين تحتفظ بها ومن غيرك على علم بهذه المعلومات؟

رد حازم وهو يحاول التظاهر بالانفعال: أي معلومات تتكلم عنها، لقد تم إيقاف الجهاز عند محاولتي لاستخدامه وعندما حاولت أن أدرك ماذا يحدث كانت مباحث ال إف بي آي في الفندق وتم القبض علي، لم أتمكن من قراءة أي معلومات.

- ماذا عن الصور التي وجدت في هاتفك؟

- لا أعلم عنها أي شئ و لم يسمح لي إف بي آي برؤية هذه الصور المزعومة، لا بد و أنها كانت خدعة منهم لدفعي للاعتراف.

- أين الرسائل المشفرة التي أعطاها لك أحمد؟

- أتلفتها و ألقيت بها في المرحاض حتى لا تستخدم كدليل ضدي.

هنا قال جوزيف: لقد عثرت الـ إف بي آي على جهاز التشفير ومفتاح تخزين الرسائل محطمين تمامًا في مخالفات مجاري الفندق.

بدأ قلب حازم في الدق بعنف - هل تمكنوا من إيجاد مفكرته؟ هل يعلمون أنه يخدعهم و أنه يعلم بأمر الثعلب؟

- كيف كنت تنوي نقل المعلومات إلى المخابرات المصرية؟

- اتفقنا على أنهم سيقومون بالتواصل معي.

- هل تحاول أن تخدعنا مرة أخرى يا حازم؟ لقد كنت عاكفًا في الفندق تعمل على بناء برنامج يحاكي البرنامج المركزي، كيف لهم أن يعلموا أنك انتهيت وجاهز لتسليمهم المعلومات؟

- الاتفاق أني سوف أنتهي خلال أسبوع، أنا لا أحاول أن أقوم بأي ألاعيب.

- كيف تمكنت من تضليل البرنامج المركزي؟ هل هناك من ساعدك من شركة ASR؟

توالت الأسئلة لمدة ساعة تقريبًا، أحس حازم بصداع شديد فوضع يده على رأسه ثم نظر إلى جوزيف: إنني أشعر بإعياء شديد، وأعاني من الإرهاق من السفر وفرق التوقيت، هل يمكن الاكتفاء بما قلته اليوم، فأنا أرغب في أن أستريح بغرفتي في الفندق.

نظر جوزيف إلى زميله الآخر والذي أشار برأسه بعلامة الموافقة، رد جوزيف على حازم: حازم، المدة التي سوف تأخذها هذه التحقيقات متوقفة عليك وحدك، كلما أعطيتنا معلومات صحيحة ومفيدة كلما ساعدك ذلك على أن تنال حريتك بشكل أسرع.

أطرق حازم رأسه إلى الأرض وقال: مفهوم؛ ثم عاد ونظر إلى جوزيف وقال: ولكنني فعلا أشعر بإعياء شديد.

- وهو كذلك سوف أصطحبك إلى الفندق لكي تستريح باقي اليوم وسوف نكمل حديثنا في الغد.

- شكرا.

دخل حازم إلى غرفته، وهو في طريقه إلى غرفته لمح فتاتي تنظيف الغرف وهما ما زالتا تعملان في نفس الطابق.

أمسك حازم الهاتف وطلب رقم هاتف خدمة الغرف.

- صباح الخير سيدي، كيف أستطيع مساعدتك؟

- إنني أشعر بالتعب والصداع منذ الصباح، يبدو وأن الوسائد الموجودة قد أصابتني بصداع، هل من الممكن أن ترسل لي وسائدًا أخرى تكون أكثر ليونة؟

- أنا آسف سيد حازم إن لم تكن الوسائد في الغرفة مريحة لك، سوف أرسل لك وسائد أخرى، أي شيء أخر؟

- نعم، لقد سكبت زجاجة كوكاكولا على السرير بدون قصد، هل يمكن أن ترسل أحدًا ليغير الشراشف؟

- بالطبع من سيأتي بالوسائد سيحضر معه أيضًا شراشف جديدة.

- شكرا.

انتظر حازم بعض الوقت وأخيرًا طرق أحدهم على الباب، فتح حازم الباب وجد أمامه الفتاة العربية تحمل في يدها الوسائد والشراشف، سمح لها بالدخول ثم أغلق الباب.

أمسكها حازم من يدها بهدوء: هل تتحدثين العربية؟

- نعم.

- أنا اسمي حازم ومن مصر، أحتاج لمساعدتك.

نظرت إليه الفتاة في تردد ثم قالت: ماذا تريد؟

- أريد أن أجري مكالمة محلية قصيرة ولا أريد أن يعلم بها أحد، هل يمكنك مساعدتي؟

ترددت الفتاة لفترة قصيرة، قال لها حازم لا يوجد وقت فلا يمكنك أن تظلي هنا لفترة طويلة.

أخرجت الفتاة هاتفها المحمول من الجيب الخلفي لسروالها ومدت يدها لتعطيه لحازم، نظر حازم إليها في امتنان وأخذ الهاتف وطلب رقمًا.

جاء الرد على حازم بالعبرية.

تحدث حازم للطرف الآخر بالإنجليزية: عيادة الدكتور كوهين؟

صمت الطرف الآخر قليلا ثم جاء الرد بالإنجليزية: نعم كيف يمكنني مساعدتك؟

- أود التحدث إلى دكتور كوهين، اسمي حازم الدمنهوري.

- لحظة واحدة من فضلك.

بعد أقل من دقيقة سمع حازم صوت رجل يتحدث بالإنجليزية: أنا دكتور كوهين، من معي؟

تحدث حازم بالإنجليزية أيضًا: اسمي حازم وأشعر بآلام في المعدة شديدة ولا أستطيع الاحتفاظ بأي طعام فأنا دائم القيء، أريد المساعدة.

- ما عنوانك يا سيد حازم؟

أعطاه حازم عنوان الفندق ثم قال: يبدو أن هناك شخصية هامة في الفندق توجد حراسة في كل مكان.

- لا تقلق يا سيد حازم سوف نحضر لمساعدتك.

أعطى حازم الهاتف للفتاة، وأخذ منها الوسائد والشراشف ثم قال لها: يجب أن تذهبي الآن وأرجو ألا تخبري أي أحد بما سمعته.

أشارت الفتاة بوجهها أنها تفهم ما يقوله حازم ثم قالت: لا بد وأن آخذ معي الشراشف القديمة والوسائد.

أسرع حازم بلم الشراشف القديمة والتي كان سكب عليها الكوكاكولا وساعدته الفتاة بلم الوسائد القديمة من الغرفة ثم خرجت.

أخذ حازم حبتين من علبة الحبوب المهدئة ثم استلقى على السرير.

خلال ساعة من الزمن فُتح باب المصعد في الدور الحادي عشر وخرج منه دكتور وممرض يجر أمامه سرير طبي متحرك، أوقفهم حارس الأمن الذي يقف في الردهة متسائلا: من أنتم؟

أخرج الدكتور كوهين بطاقة تعريفه وقربها من حارس الأمن: دكتور كوهين، جاءنا بلاغ بوجود حالة طبية طارئة في الغرفة ١١١٥ وبينما يتطلع الحارس إلى بطاقة الدكتور كوهين لف الممرض من خلف الحارس وكممه بكمامة بها سائل مخدر، حاول الحارس التملص من الممرض ولكن الدكتور كوهين عالجه بضربة على الرأس أفقدته الوعي.

خرج الدكتور والممرض من ردهة المصعد وتحركا في الردهة ما بين الغرف في الدور الحادي عشر، كانت غرفة حازم رقم ١١١١ مرا أمامها وكان هناك حارس آخر ضخم، توقف الدكتور كوهين أمام الحارس مستفسرا: أين تقع الغرفة رقم ١١١٥؟

تحسس حارس الأمن مسدسه وأشار بيده الأخرى: ما زالت في الأمام.

قفز الممرض على ظهر الحارس في محاولة لتكميمه ولكن الحارس أمسك بذراع الممرض وقلبه على الأرض وأخذ يكيل له اللكمات، قام الدكتور كوهين بإخراج سرنجة طبية وقام بغرسها في رقبة الحارس وهو قابع فوق الممرض يحاول خنقه، أمسك الحارس بيد الدكتور كوهين وبها السرنجة وقام بإخراجها وهو يضغط على يده بعنف، ترك الحارس الممرض قابعًا على الأرض وأمسك برقبة الدكتور كوهين محاولًا خنقه بينما الدكتور كوهين يحاول الإفلات من قبضته، قام الممرض وأخذ حبلًا غليظًا من أسفل السرير الطبي وقام بخنق الحارس من الخلف، بدأت عضلات الحارس في التشنج، عالجه الدكتور كوهين بضربة قوية بقدمه في منطقته الحساسة، تأوه الحارس وترك رقبة الدكتور كوهين والذي تمكن من غرس السرنجة في رقبته وإفراغها في شريانه.

تصلب وجه الحارس لثواني معدودة ثم سقط على الأرض فاقد الإحساس.

قرع دكتور كوهين باب غرفة حازم في عجلة، فتح حازم الغرفة، اقتحم كوهين والممرض الغرفة وأغلقا الباب.

نظر كوهين إلى حازم: أنا النقيب عبد الرحمن، اطمئن يا دكتور حازم لقد جئت ومعي فريق مدرب لإنقاذك، إن شاء الله سوف تكون في مصر قريبًا.

احتضنه حازم وبدأت عيناه تمتلئ بالدموع، ابتسم له عبد الرحمن ثم قال: دكتور حازم ليس لدينا الكثير من الوقت، قد يكون أحدهم يشاهد كاميرات المراقبة الآن ورأى المعركة التي دارت بيننا وبين الحراس، لا بد وأن نتحرك، سوف أقوم بتخديرك كي ينطلي على العاملين في الفندق أن حالتك خطيرة ويستلزم نقلك إلى المستشفى، جاهز؟

أجابه حازم في ثقة: نعم، إنني جاهز.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النهاية

حازم- الضفة الغربية ١٠ مايو ٢٠١٩

لقد مر أكثر من أسبوع منذ أن نجحت المخابرات المصرية في تهريبي من فندق الماريوت بتل أبيب، لم أشعر بما حدث خلال العملية فقد كنت نائمًا تحت تأثير مخدر قوي، ما قاله لي النقيب عبدالرحمن أنها لم تكن عملية سهلة، وصلت قوات الأمن الإسرائيلية لحظة تحرك عربة الإسعاف من أمام الفندق وتم تبادل إطلاق النار بين عملاء المخابرات المصرية والأمن الإسرائيلي أثناء محاولة الفرار، استمرت المطاردة في شوارع تل أبيب وعند نقطة معينة في إحدى ضواحي تل أبيب تمكن فريق المخابرات المصرية من تبديل السيارات وتشتيت قوات الأمن الإسرائيلية عن طريق مساندة من أفراد المقاومة الفلسطينية والتي تقوم المخابرات بالتنسيق معهم في مثل هذه العمليات، لقد أصيب الممرض الذي كان يساعد النقيب عبد الرحمن في كتفه بطلق ناري ولكنه يتعافى من الإصابة وفي تحسن مستمر.

لم يعطني عبد الرحمن الكثير من التفاصيل عما حدث، فقد حكى لي قصة تهريبي باقتضاب ثم قال « من الأفضل ألا تعلم الكثير، إن فشلت المهمة لا قدر الله، فلن يتمكن الإسرائيليون من استخراج أي معلومات مفيدة منك»

ظللت مختبئا في منزل آمن لمدة خمسة أيام، تمكن أفراد المخابرات فيها من توفير جواز سفر أردني يخص رجل أعمال اسمه فراس الرويشد، طُلب مني ألا أحلق شعر وجهي فشخصيتي الجديدة لها ذقن خفيفة وشارب، وقام بعض أفراد الفريق بتغيير ملامحي لكي أشبه الصورة الموجود في جواز السفر، لقد كانت صورتي على أي حال ولكن تم تغير بعض الملامح باستخدام الفوتوشوب، وبينما أنتظر الخطوة القادمة من هذا المنزل في تل أبيب بدأت كتابة مذكراتي، لا أدري ماذا سأفعل بها بعد ولكني طلبت من عبد الرحمن إن حدث لي أي مكروه أن يقوم بإيصال هذه المذكرات لسلمى وفرح، لعلهما عندما تقرآنها تتفهمان ما كنت أمر به من صراعٍ نفسي ولماذا اتخذت القرار بالابتعاد عنهما في ذلك الوقت، لكم أتمنى أن تكونا فخورتان بوالدهما وأن تستفيدا من هذه المذكرات في حياتهما.

بعد مرور خمسة أيام تحركت في سيارة مع رجل أعمال أردني آخر لنعبر أحد المعابر بين إسرائيل والضفة الغربية، أبو مازن يشتغل بالتجارة بين الأردن والضفة وعرب إسرائيل، تم استجوابنا لمدة ساعتين على المعبر الحدودي وقد قام أبو مازن بتعريفي لأفراد الأمن كمستثمر أردني يرغب في التجارة مع عرب القدس.

كنت في غاية القلق خلال فترة انتظارنا في المعبر الحدودي بين إسرائيل والضفة، كنت أعلم أن أفراد الأمن على المعبر سوف يقومون بالتأكد من تواريخ الدخول والخروج وحقيقة عملي وكافة البيانات التي أعطيتها لهم، لا بد وأن الموساد قد أرسل صورتي إلى جميع المعابر الحدودية والمطارات، ما أعطاني بعض الثقة أن أبو مازن كان معروف لدى أفراد الأمن في هذا المعبر ويتعاملون معه بطريقة ودية.

ظللت في إحدى القرى في الضفة الغربية لبضعة أيام، كان أبو مازن يقوم خلالها بأنشطة تجارية ويعقد بعض الصفقات مع التجار العرب في القرى المختلفة، ما زال هناك معبر حدودي آخر توجد عليه قوات أمن إسرائيلية بين الضفة والأردن ولكن ما أسمعه أن الإجراءات الأمنية عليه أخف من المعبر الإسرائيلي، ما زلت لا أعلم كيف سأصل مصر ولكني أسبح مع التيار فليس بيدي أي اختيارات أخرى.

أخبرني عبد الرحمن قبل خروجي من إسرائيل أن أحمد ما زال حيا وتخطى المرحلة الحرجة ولكنه ما زال في المستشفى تحت العناية الطبية، لا أدري ماذا تخبئ الحياة لأحمد بعد شفائه؟

تساءلت هل سيتمكن من العمل في جهاز المخابرات مرة أخرى أم سيكتفي بوظيفة إدارية في الجيش؟

أخبرت عبد الرحمن بالمكان الذي خبأت فيه مفكرتي الشخصية والتي تحتوي على المعلومات التي تريدها المخابرات المصرية، لا أدري إن كانت المخابرات المصرية سوف تستطيع الحصول عليها أم أنها سوف تقع في يد الـ إف بي آي؟ ما زلت أتذكر الكثير من المعلومات التي دونتها في المفكرة واستطعت أن أعطي عبد الرحمن مواعيد الاجتماعات وأسماء الأشخاص الذين حضروا هذه الاجتماعات مع الثعلب، ولكنني لم أتذكر أسماء البنوك والحسابات التي أرادت الخلية تحويل الأموال إليها.

جاءتني فكرة وأنا أكتب كلماتي هذه جعلتني ابتسم، يمكنني أنا وأحمد تشكيل فريق عمل ممتاز لتنفيذ مهام جاسوسية خطيرة، وسيكتمل هذا الفريق إن تمكنّا من إقناع ريم وسُهى بالانضمام إلينا، ما زال بداخلي إحساس أنني أريد أن أستمر في هذا المجال، مجال المخابرات والجاسوسية، لقد ساعدتني هذه المغامرة على اكتشاف نفسي من جديد، لقد استطعت أن أثبت لنفسي أنني قادر على مواجهة المخاطر ولديّ القدرة على المناورة وإقناع من أمامي برأيّ وتحقيق ما أريده، في حياتي السابقة قبل هذه المهمة كنت أعمل لتحقيق ما يريده الآخرين، ما يريده رئيسي في العمل من تحقيق أرباح متنامية عام بعد عام للشركة، ما تريده نادية من تكوين أسرة نسخة طبق الأصل مما ألفت عليه منزلِ أهلها، ما يحتاجه المجتمع من أن أكون ميديوكر أَتبع التعليمات بدقة ولا أُناقش أو أُجادل، ما تريده الدولة من أن أدفع الضرائب دون أن يكون لي رأي في أين تُصرف، أن ألهثٍ وراء متطلبات الحياة في حلقة مفرغة لا أستطيع فيها أن أكتشف من أنا، وماذا أُحب أن أفعل بحياتي، وكيف أصل إلى تطلعاتي وآمالي.

في الواقع لقد كنت أسيرًا وجاءت هذه المهمة لكي تحررني من سجني.

لقد قرأت عن أشخاص أمضوا فترات طويلة في السجن بعد الحكم بإدانتهم في جرائم ارتكبوها، وعند خروجهم من السجن لم يستطيعوا أن يتأقلموا مع الحرية، كانت أقصى آمالهم أن يرجعوا مرة أخرى إلى الحياة التي تعودوا عليها في السجن، حيث كان يأتي الطعام إليهم في أوقات محددة، وينامون ويصحون في أوقات محددة، ويُطلب منهم القيام بأعمال تعودوا عليها وأصبحوا يؤدونها تلقائيًا بدون

تفكير، لقد قتل السجن فيهم روح الطموح والإصرار على المحاولة حتى أصبحوا يألفون هذا النمط من الحياة ولا يستطيعون تغييره.

هكذا كُنت أنا، يأتيني المرتب كل شهر مقابل عمل اعتدت على أدائه لسنين طويلة، كان لي روتين يومي ما بين العمل وطلبات الأسرة، مع الوقت وتكرار الروتين وركود المشاعر نشأت حواجز بيني وبين نادية، ولكن كان عليّ أن أحافظ على هذا النمط المتكرر لكي أضمن دخلًا ثابتًا للأسرة يكفل لها حياة مستقرة وسعيدة ويمكنني من تلبية طلباتها، كان هذا هو الهدف «الاستقرار» ومن أجله كان لا بد وأن أرضخ وأستمر في هذه الحلقة المفرغة التي لا نهاية لها، لست وحدي من يعاني من هذا السجن الافتراضي ولكن الكثير من الناس تأقلموا معه وألفوه، بل وتوارثوا هذا الأسلوب في الحياة وأصبحوا يلقنون أبناءهم كيف يسيرون على نفس الخطى.

كان لا بد لي أن أتمرد، لقد انتظرت كثيرا، كنت مثل السجين الذي لا يدري ماذا يفعل إن خرج من منظومة السجن، من الممكن أن يكون قد مر أمامي المئات من الفرص ولكني لم أرها لكوني منغمسًا في أداء دوري كـ ميديوكر، ولكن هذه المرة جاءتني الفرصة لأتحدى العادات والتقاليد الموروثة وأخوض المغامرة دون الخوف من تهديد حياتي المستقرة الرتيبة.

لقد تعلمت الدرس من جرّاء خوضي لهذه التجربة - لا تجعل الآخرين يقررون لك ما تفعل، فإنك وحدك من ستتحمل عواقب أفعالك، لن يشعر بك أحد عندما تصبح غنيمة الاكتئاب بل سيحثونك على التأقلم مع الواقع، ادرس ما تريد وليس ما يريده لك الآخرين، أعمل في المجال الذي تريده أنت وليس ما يعتقد الآخرون أنها الوظيفة المناسبة لك، تزوج ممن تريد وليس من يراها الآخرون بنت الحلال، عندما تكون أنت صاحب القرار سيكون من السهل عليك تصحيح أخطائك ولكن إن لم يكن القرار قرارك فدائما ما ستشعر بأنك الضحية.

عندما اتخذت قراري بأن أشترك في هذه المهمة كنت مدركًا تمامًا أنني صاحب القرار، بذلت قصارى جهدي لكي أنجح في هذه المهمة، وقعت في الكثير من الأخطاء، ولكن كان لا بد لي من النهوض مرة أخرى والمحاولة كي لا أفشل، استمتعت بالتجربة ودائمًا ما كنت أنظر إلى الجانب الإيجابي منها وإن عاد بي الزمن سأتخذ نفس القرار وأخوض التجربة مرة أخرى.

تعلمتُ ألا أخاف من المخاطرة، فمع الفشل تكتسب الخبرة والنضج وتمهد الطريق لتجربة جديدة ناجحة. تعلمت أن أكون خلاقا، مختلفا ومبدعا فلا يوجد مستحيل مع الإصرار والعزيمة، تعلمتُ ألا أسمح للإحباط بأن يتملكني فذلك هو ما يريده الآخرين.

لكم كنت أتمنى أن أتمكن من خوض هذه المغامرة في سن أصغر من سني هذا، فكلما تقدم بك العمر قلّت الفرص أمامك وزادت القيود، هي نصيحة أعطيها لكل الشباب من الفتيات والفتيان: - استثمر شبابك في تحصيل الخبرات، سافر، اشتغل في وظائف مختلفة، لا تتردد في تغيير مسار حياتك إن لم تجد في نفسك راحة بهِ، ابدأ من جديد، فمن الأفضل أن تبدأ من الصفر بدلًا من أن تستمر في المسار الخطأ.

لا تنتظر مني الكثير من النصائح فحياتي الفعلية قد بدأت من ١٠ أشهر فقط، عندما فكرت في زيارة إسرائيل، والتي كانت بالنسبة لي مخاطرة أردت بها أن أكسر الروتين في حياتي فقد كنت دائمًا ما أقوم بما يُريده مني الآخرين ولم أكن أفكر في ماذا أريد، الآن أفعل ما أريده أنا وأفاجأ به الآخرين.

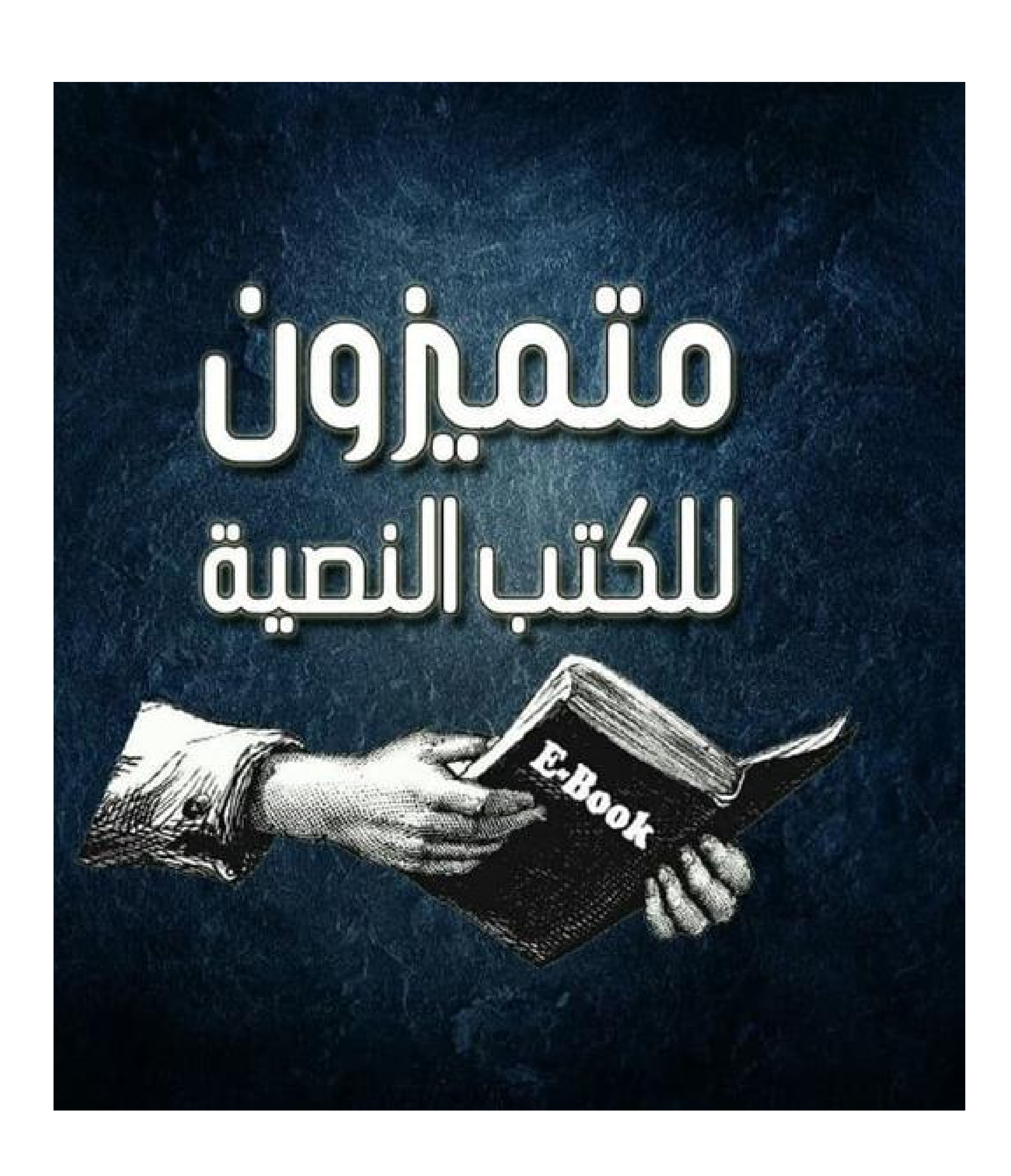
الآن أشعر بأنني حُر

حازم الدمنهوري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞


متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..